مطبوع نصف سنوي يتضمن مختارات
من المواد المنشورة على منصة رواحل

رواحل

إنما الناس كإبل مائة

الإصدار الأول 2021م – 1443هـ

الإصدار الأول 2021م – 1443هـ

رواحل
إنما الناس كإبل مائة

مطبوع نصف سنوي

يتضمن أبرز مقالات منصة رواحل التربوية

الإصدار الأول: 2021م – 1443هـ

رئيس مجلس الإدارة

علي عايض القحطاني

رئيس التحرير

سعود رحيل الشمري

هيئة التحرير

محمد الغباشي

عبد الرحمن ضاحي

إشراف عام

د. محمد سعيد الهجري

فِهرس

مقدمة 7

مرحلة البراعم

التربية باللعب.. الضرورة والآليات 11
استثمار الذكاء اللغوي للبراعم في تنمية المهارات الدعوية 16
فن رواية القصة للأطفال مهارات أساسية في الحكْي 22
مجالات البناء المعرفي في الطفولة المبكرة 26
أفلام الرسوم المتحركة العالمية عقائد شاذة وقيم منحرفة 34
توظيف الوسائل التعليمية في الأنشطة الدعوية 40

عتبة المراهقة

المقاييس والاختبارات النفسية والإفادة منها تربويًّا 49
أعراض جائحة كورونا على المحاضن التربوية كيف نتلافاها؟! 57
بناء العقل الناقد كيف نحمي أبناءنا من الهجمات المعرفية الشاذة؟! 62
تدريس العقيدة الإسلامية باستخدام مهارات التفكير 72
الكوكايين البصري الإباحية والتحدّي التربوي الكبير 89

أهم مشكلات الأطفال الموهوبين وكيف نتجاوزها؟ 97

زهرة

ندرة الكوادر النسائية في الحقل الدعوي 107
توجيه عاطفة الفتاة في مرحلة المراهقة؟! 112
التربية الفكرية للفتاة المسلمة الضرورة والوسائل................................ 118

المرحلة الجامعية

المراحل الأولية لتأسيس عمل دعوي تربوي داخل الجامعة 127
مربو الجامعة ودورهم في مواجهة الإلحاد................................ 134
الكيانات الدعوية.. لماذا الحدود تراب؟!................................ 141
الثقافة الغربية وأثرها في تديُّن الشباب 146
معايير اختيار الكفاءات الدعوية 150
أَرْشَفَة التجارب الدعوية والتربوية مُستودَع الخبرات................................ 157
مركزية التزكية الإسلامية في العمل التربوي 165
التربية على القول الواحد بين الضرر والضرورة 170

حوارات رواحل

حوار رواحل مع فضيلة الدكتور محمد العبدة................................ 177

استشارات رواحل

الرهاب الاجتماعي وانعزال الطلبة في المحاضن التربوية كيف أعالجه؟! 189

طفلي العنيف.. هل سيصير داعية عنيفًا؟! 197

ابني مدمن للألعاب الإلكترونية.. كيف أعالجه؟!................................ 204

أشعر بالتناقض بين كوني مربيًا وإيماني الضعيف فهل أستقيل؟! 210

الرسول يربي

الأبعاد النفسية في تربية النبي ﷺ لأصحابه.................................... 219

سفير الإسلام (مصعب بن عمير) ركائز التكوين ومآثر التمكين 224

النبي ﷺ وتوظيف المواهب 242

كيف ربى النبي ﷺ في أصحابه التنوُّع ومراعاة الفروق الفردية؟!.................. 246

المتابعة التربوية وقت الشدائد والأزمات 253

مهارات تربوية

بناء المهارات القيادية والإدارية للمربي 263

تطوير المشرفين والمربِّين وتدريبهم وأثره في العملية التربوية 278

المتابعة الإلكترونية الفعَّالة في المحاضن التربوية.................................. 282

ثلاثيات النجاح في المحاضن التربوية 288

جذورنا التربوية

المنهج التربوي للمماليك وأثره الاستراتيجي على العالم الإسلامي 297

إنفوجراف وكاريكاتير

إنفوجراف وكاريكاتير 309

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على سيد المخلوقات محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

قبل ستِّ سنوات كانت (رواحل) مجرد حلم ورؤيا في الخيال، لم تكن سوى خطة على الورق تحبو على قدمين هزيلين لتفتش عن مكان بين مَنْ سبق في مضمار التربية الواسع، حتى تكلَّل هذا التخطيط بالنجاح وصدرت أول نسخة مطبوعة من مجلة (رواحل) التربوية في مايو من العام 2016، ثم تكللت مساعي التطوير والتحديث بالمزيد من النجاح لتنطلق منصات (رواحل) الإلكترونية في أبريل من العام الجاري 2021، لتزخر بالمزيد من المواد والأبحاث والمقالات المتميزة في مختلف مجالات التربية، بالإضافة إلى منصات التواصل الاجتماعي التي كنا حريصين من خلالها على الوصول لأكبر عدد ممكن من المستفيدين، سواء أكانوا آباءً وأمهات، أم مربين، أم مشرفين في مختلف المحاضن التربوية على مستوى العالم.

كنا -ولا نزال- حريصين كل الحرص على أن نستقطب الأقلام والعقول المتميزة المتخصصة في التربية والتربية الدعوية على مستوى العالم العربي والإسلامي، وألا ننشر في مطبوعاتنا أو منصاتنا إلا ما كان على أرقى مستويات التخصص والكفاءة العلمية، بمنهجية تجمع بين رقي الكلمة وعمق الفكرة وبين بساطة الأسلوب وسهولة وصوله للمتلقي بلا عناء، لذا كانت مهمتنا صعبة للغاية، ولكننا اضطلعنا بها إيمانًا منا برسالتنا في إخراج منتج

تربوي قوي ومتميز يضيف أبعادًا قِيَمِيَّة جديدة للأسرة العربية والمسلمة، ويقدِّم خدمات متقنة للمحاضن التربوية على اختلاف أنواعها وتخصصاتها.

وها نحن في هذا المطبوع نحقّق حلمًا جديدًا مما تمنيناه، ونهدي لقرائنا ومتابعينا مجموعة من أفضل ما قدّمته (رواحل) مقسمًا على أبواب حسب المراحل العمرية والتخصصات التربوية، والتي جاءت كالتالي: (مرحلة البراعم، عتبة المراهقة، زهرة، المرحلة الجامعية، حوارات رواحل، استشارات رواحل، الرسول يربي، مهارات تربوية، جذورنا التربوية، إنفوجراف وكاريكاتير)؛ حيث جمعنا بين دفتيْ هذا المطبوع مجموعة منتقاة بعناية من أبرز ما خطَّته باقة من الأكاديميين والمتخصصين والممارسين للعمل التربوي والدعوي على مستوى العالم، والذين نفخر بهم وبانضمامهم إلى فريق (رواحل) الذي زادوه تألقًا وتميزًا، فكأنها ساحة منافسة بينهم، ألقى كل منهم فيها بخير ما جادت به قريحته وذائقته العلمية والأدبية؛ ليخرج لنا هذا المنتَج البهيّ الذي نرجو أن ينال قبولكم واستحسانكم، وأن يكون عونًا لكم على أداء رسالتكم التربوية السامية.

وإننا إذ نهديكم هذا السِّفر المتميز؛ فإننا نسأل الله أن يفتح له القلوب والعقول، وأن يتقبله منا خالصًا من كل شائبه تعكِّر صفو خلاصه، وأن يجعله لبنة في صرح نهضة هذه الأمة المترقِّبة..

وبالله التوفيق وعليه التكلان.

هيئة التحرير

مرحلة البراعم

التربية باللعب.. الضرورة والآليات

مريم هشام مطر

باحثة تربوية

(نِعْمَ الجملُ جَمَلُكُما، ونِعْمَ العِدْلانِ أنتمَا)[1].

جملةٌ كان يقولها رسولُ الله ﷺ للحسن والحسين حين كان يلاعبهما، ويحبو بهما، ويرسل إليهما من خلال اللعبِ الثقةَ بالنفس والرضى والحبّ.

ومن هنا كان اللعب منهجًا من مناهج الحياة، لا يمكن الاستغناء عنه، والتربيةُ باللعب كانت ومازالت إلى الآن في تنوُّع سريع وتطوُّر مستمر، فصارت بذلك علمًا يُدرس وأسلوبًا يُنتهج، لا يمكننا أن نربّي أبناءنا بدونه.

تقول الدكتورة سهير كامل أحمد: «إن اللعب حتى مرحلة الطفولة المبكرة هو طريقة الطفل الخاصَّة للانفتاح على العالم المحيط به، وإن الطفل يعبرِّ في أثناء اللعب عن إحساساته الكامنة حيالَ الأفراد المحيطين به؛ وتكشفُ لُعَبُ الأطفال عن حياتهم الوجدانية التخيُّلِيَّةِ»[2].

أهمية اللعب للتربية:

- اللعب يساعد الطفل على إدراك محيطه بشكل أفضل، ويعلّمه كيف يتعامل معه.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (2661) والدولابي في «الكنى والأسماء» (1149).

(2) سيكولوجية نمو الطفل؛ د. سهير كامل أحمد.

- يساعد الطفل على اكتساب القيم والأخلاق، وخاصة إن كان المربي قدوةً يحبّها الطفل ويحترمها.
- يجعل الطفل إنسانًا مقبولاً اجتماعيًّا؛ لأن اللعب يُكسِب الطفل المهارات الاجتماعية التي تساعده على كيفية التعامل مع الآخرين.
- يُكسب الطفلَ سرعة البديهة، ويكشف عن جوانب من شخصيته، تمكِّن المربي من اكتشاف مزايا وعيوب شخصية الطفل؛ لتطويرها أو معالجتها.
- يعلّمه التعاون مع الآخرين واحترامهم، واحترام القوانين والانتماء لأُمته ودينه.

أنواع اللعب:

أولاً: اللعب الإيجابي:

1) **اللعب القولي (الحُقَن التربوية)**: وهو عبارة عن إرسال كلمات وجُمَل تزرع في شخصية الطفل الصفات الإيجابية، وتغرس فيه حبّ القيم والمبادئ، ومن ذلك:

نقرأ له بعض القصص، ونريه بعض البرامج المناسبة لعمره التي تشجّعه على الصدق والشجاعة وحبّ العلم والمعرفة، وخاصة القصص التي يُنتقَى لها الوقتُ والمكانُ المناسبان:

- قبل النوم: قصص الأنبياء.
- عند الأكل: آداب الطعام.
- عند الاستحمام: نَعْت الطفل بأنك نظيفٌ وجميلٌ، وذلك أثناء لعبه بالماء والصابون.

2) **اللعب البدني والحركي**: وهو من العناصر المعزِّزة لتربية الطفل، واكتشاف القدرات والصفات التي يتمتع بها الطفل، ومنها:

المسابقات الرياضية: (الركض، الفروسية، السباحة، والرماية)؛ تزرع فيه حبّ المنافسة والتحدي والصبر والمقاومة، وتزرع فيه أيضًا العمل على تحقيق الهدف، والمثابرة للوصول إليه.

الرياضات البدنية: (كاراتيه، جمباز، كرة القدم والسلة، وغيرها) تزرع فيه الثقة بالنفس والشجاعة.

3) **اللعب بالمشاهدة**: أن نقوم بعرض بعض الفيديوهات والمقاطع القصيرة، أو ما يراه خلال حياته اليومية في الشارع أو المدرسة، ثم نطلب رأيه بما رآه، وهنا يأتي دور (العملية التربوية) في تعزيز القيم التي يراها وتنفيره من الصفات السلبية.

4) **اللعب الذهني**: هو تعريض الطفل لألعاب الذكاء والألغاز، والتي تهدف لتنمية ذهن الطفل؛ ما يدفعه إلى تقبُّل المعلومات، وإبداع طرق لحل المشكلات، والعمل بها في حياته بشكل أسرع، ومنها:

- ألغاز الذكاء (كوضع أشياء مختلفة في كيس، ثم تغميض عيني الطفل، وسؤاله عن ماهية هذه الأشياء)، والحيل الرياضية (ألعاب الحساب والعمليات الرياضية).

- الألعاب اللغوية (السؤال والجواب، الذاكرة، صحيح وخطأ)، ومهارات التناظر (الفروقات بين الصورة) والترتيب والتركيب.

ثانيًا: اللعب السلبي:

هو الذي يهدف إلى نفور الطفل من صفات سلبية، سواء كانت من صفاته، أم من صفات غيره من مجتمعه المحيط به، فعلى المربي أن يجنِّب الطفلَ مثل هذه الألعاب، مثل:

- الألعاب التي تزرع فيه الأنانية: (خمسة أطفال يتسابقون إلى أربعة كراسي، والذي لا

يحصل على كرسي يخسر).

- الألعاب التي تشجّعه على الجشع والطمع (مسابقات الأكل).

- الألعاب الإلكترونية (تعلمه الكسل والخمول والروتين، وتحطيم الذكاء والإبداع عنده).

- الألعاب التي تحتوي على إهانة النفس وإشعارها بالدونية (لعبة الكف والضربة الأقوى، تمثيل أدوار الحيوانات).

- الألعاب التي تحتوي على مخالفات شرعية (الألعاب التي تعطي الطفل ادعاء قوة خارقة، أو تحوي رموزًا تخالف العقيدة مثل الصليب، أو تحتوي على أغانٍ وموسيقى).

مرحلة ما بعد اللعب:

وتهدف هذه المرحلة إلى تثبيت ما تم زرعه خلال اللعب، والتأكيد عليه:

- هل سيكون وراءها تعليم إيجابي أم سلبي؟!

- هل ستترك وراءها ذهنًا نشيطًا أم محبطًا؟!

- هل ستدرّب الطفل على المجاهدة والصبر لإتمامها؟ أم أنها ستجعله يملّ منها بسرعةٍ؟!

لأجل كل ذلك تأتي أهمية وخطورة هذه المرحلة؛ فإذا ما لاحظ المربّي ضعفًا وترددًا عند الطفل ساعده وقوّى من عزيمته، وإذا فشل شجَّعه على تكرار اللعبة ليُثْبِت ذاته، وإذا أحسن إتقان اللعبة أثنَى عليه، وهكذا.

معايير اللعبة التربوية:

- الواقعية: أن تُلامس اللعبة مشكلات الواقع التربوي والاجتماعي.
- الشمول: أن تكون اللعبة شاملة لنفس الطفل وجسمه وذهنه ودينه.
- الوضوح: أن تكون سهلةً ومناسبةً لعمر الطفل.
- إمكانية التطبيق: أن تلائم نفسية الطفل وتدفعه إلى لعبها وعدم إجباره على ممارستها.

توجيهات هادفة:

الألعاب التربوية مهمة في بناء نفسية الطفل وتنمية مهاراته، فيجب انتقاء الألعاب ومراقبة الطفل ومشاركة الأهل أو الآخرين في اللعب.

ويجب التنبه إلى التدرج في الألعاب التربوية وانتقاء الألعاب؛ بحيث يكون الطفل قد أدرك كيفية اللعب الصحيح، ويبتعد عن الألعاب السلبية، ومِن ثَمَّ يبدأ بتكوين نفسه، ويشغّل ذهنه في ابتكار واختراع أفكار وألعاب جديدة يحبها ويتعلمها.

حرمان الطفل من اللعب قد يؤدي إلى سلبيات كثيرة؛ منها: شعوره بالنقص، أو دفعه للسرقة أو الكذب أو الانطواء الاجتماعي.

من خلال ما تقدم يتبيّن لنا وجوب الصبر والمجاهدة في بناء الطفل وتربيته، ودعم ذلك كله بالدعاء والتضرع لله ﷻ أن يُصلح الأولاد ويربّيهم، ويعيننا على فعل الأسباب الموجبة لصلاح أبنائنا.

استثمار الذكاء اللغوي للبراعم

في تنمية المهارات الدعوية

د. فاطمة فرهود

مسؤولة قسم الشريعة بجامعة بلاد الشام سابقًا - دمشق

حاجة الدعوة إلى المؤثرين اليوم لا تقتصر على الباكي الذي يستثير عواطف السامعين، ولا على الصارخ الذي يؤجّج الحماس في قلوبهم؛ بل هي أعمق من أن يتصدر لها كلّ أحد. وإن أقوى سلاح يملكه الداعي في توجيه كلامه ليصل إلى الآخرين هو اللغة، ولإيصال الدعوة إلى الأفهام لا بد للداعي من لغة القرآن، فإذا استطاع أن يقف على دُرَرِها، ويلتقط شواردها، ويلتمس نوادرها، ويوظّف حروفها ضمن معانيها المختصة بها؛ فلا يناله الفشل، ولا يعتريه خزي التعبير ولا الملل.

ولكل فنّ مَلَكة، ومَلَكة اللغة هي ذكاء وبداهة، ومن المعروف أن أنواع الذكاء سبعة؛ ومنها: الذكاء اللغوي، وهو باختصار: إيصال المعلومة بأقلّ تكلفة، وهو يشمل: (الكلمات– الحديث – الكتابة – القراءة – والاستماع).

وهذا الذكاء المنشود لا يأتي إلا بعد حبّ ورغبة في اللغة، وقد صُنِّفَ على أنه من أنواع العقل، وليس كل إنسان مؤهلاً أن يفصح عما في خلده بطريقة مفهومة، فكم عايَنتْ أبصارنا، وسمعتْ آذاننا أناسًا تكلموا وتفوّهوا وتشدّقوا ولم يكن في آخر المآل إلا القيل والقال، ولا منفعة تُجدي من كلامهم أو شيء يدل على فهم حالهم؛ لذا فأصل الذكاء اللغوي أن نعرف متى نتكلم! وماذا نتكلم! وكيف نوصّل الفكرة للآخرين دون تعقيد ولا إسهاب!!

وإن أولى مَن يجدر الانتباه لمقدراتهم واستثمارها في مجال الدعوة هم أولئك الصغار الذين نصفهم بالبراعم الغضَّة الطرية، التي تكاد تتفتح أزهارًا يفوح شذاها، فإذا ما أهملناها لم تُؤتِ الثمرة المرجوة.

كيف نستثمر الذكاء اللغوي عند الأطفال في تنمية مهاراتهم الدعوية؟!

أولاً: اكتشف شَغفهم: فمنهم مَن لا يصلح إلا أن يكون طبيبًا أو مهندسًا، أو ربما نجارًا أو حدادًا أو خياطًا، فإذا حظيت منهم بمحبٍّ للقراءة، أو للكتابة أو للتعبير أو للشعر، أو مَن يحب أن يتكلم بالفصحى أو مَن يستخدم كلمات جديدة، فحسبك هو، ولك أن تدخر العِلم عنده، وتستثمر الذكاء اللغوي لديه، فهذا مؤهل أولاً أن يكون حافظًا للقرآن أو خطيبًا أو شاعرًا أو صحفيًّا أو داعيًا أو مذيعًا... ونحو ذلك من الأعمال التي ترتبط باللغة بشكل خاص.

ثانيًا: لا تربط بين ذكائهم اللغوي وبين التحصيل الدراسي: فلربما يتفوق تلميذ على أقرانه بالفصاحة ولا ينبغ في التكنولوجيا مثلاً. ويقع على عاتق المربي أن يكتشف مهارات الطالب اللغوية وطريقة تعبيره.

وأسرد في هذا المقال بعض الوسائل المعينة على ذلك:

أولاً: ابدأ بالحوار والحديث، ولكن انتبه! فلعلك تجد من لا يجيد الكلام بسبب شحٍّ تربوي في بيئته، ولعله يجيد الكتابة. فهذا لا نُقِلّ الجهد معه، فالبيئة المتمثلة بالأسرة والمدرسة والشارع والجامع تبني عند الصغار توجّهاتٍ كلامية حسب قوة تأثيرها، وهذا واضح عند معلم الصف الذي يجد طالبًا يستخدم كلماتٍ دقيقة معبرة وراقية، وآخر يستخدم كلمات اللوم أو الشتم والسباب، وثالث يستخدم جملاً كثيرة بدل كلمة واحدة تفي بالمراد.

وهنا يبرز دور المربي في زرع كلمات قوية في عقل الطفل تجعله يشعر بالثقة في نفسه، لذلك فالحوار أولاً، وبه يتدرب التلميذ على مهارة الإنصات؛ لأنه يريد أن يفهم ليعرف كيف يحاور، وأيضًا يكتسب مهارة الكلام، وهي ركن من أركان الذكاء اللغوي، فمثلاً ربما يدور الحوار حول ما حصل مع التلميذ في المدرسة، ومناقشة تصرفات بعض الطلاب وموازنتها على الكتاب والسُّنة.

ثانيًا: يمكن أن تطالب تلميذك الذي لفت انتباهَك ذكاؤه أن يكتب مذكراته اليومية، أو يقوم بكتابة قصة قصيرة من خياله؛ فأصحاب الذكاء اللغوي يتميزون بخيال واسع ودقة في الملاحظة.

ثالثًا: لا بد من تنمية القراءة السليمة لديه مع اختيار ما يقرأ، على أن تكون قصصًا تاريخية عن حياة الصحابة والتابعين، أو روايات أدبية، أو دواوين شعرية تتدرج بالطفل حسب مستواه، فإذا امتلك رصيدًا من الكلمات الجديدة طلبنا منه أن يستخدمها في جمل مفيدة، وعندما نناقش معه أمرًا جديدًا نحاول أن نحفّز الكلمات الجديدة عنده.

ولا ننسى أهم ما يتوّج هذا كله؛ وهو أن نُحِيله بين فينة وأخرى إلى الأحاديث الشريفة، ونطلب منه أن يشرح ما فهم منها، ثم نوجّهه أنَّ كل ذلك الشرح مختصرٌ في جوامع كَلِمه ﷺ، ومثال ذلك: حديث: **(يا غلام! سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك)**[1]. فهذه ثلاث كلمات اختصرت جملاً كثيرة في التأديب والتوجيه، فيغدو الطفل ممتثلاً لطريقة الأمر بالمعروف، وكذا فيما لو علّمناه شيئًا من الشعر؛ كـ(لامية ابن الوردي، أو منظومات الآداب)، فهذه وسائل معينة للطالب كي يصبح لديه مخزون علمي أدبي يعرف كيف يطرحه.

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (5061)، ومسلم (2022).

رابعًا: إحالة التلميذ ليتعلم لغات أخرى، فمن لديه الذكاء اللغوي لا يصعب عليه إتقان لغة أخرى بأقل جهد وأقصر وقت من غيره، وعندما ينتقي المربي الأذكياء لغويًّا، ويستثمر طاقاتهم؛ فيختصر على نفسه تعب الآمال التي يضعها في غير محلها عند طلابٍ لا يملكون القدرة الكافية لتحقيق ما يرجوه منهم.

وإن إجادة اللغات الأخرى مَهَمَّة تقع على عاتق الداعي؛ ليستطيع تبليغ هذا الدين بأقصى ما يملك من إمكانيات، كما أن تعلُّم لغة أخرى تشكل رصيدًا مهمًّا يُضاف إلى مخزونه الذهني.

خامسًا: بثُّ الثقة في نفس الطالب، مع المتعة والراحة في أيّ موضوع يناقشه، أو شيء يقرؤه، أو رأي يطرحه، فهذا يعزّز لديه مهارات التواصل الاجتماعي، وهو ضروري لتربيته أن يكون داعيًا.

سادسًا: تطوير مفردات التلميذ، وتجديد معلوماته العامة على الدوام، فقد يكون مستوى ذكائه أفضل من المتوقع، ومع ذلك فيجب أن يعرف أنه بحاجة للازدياد لتبعد عن نفسه أمراض الغرور والكبرياء.

سابعًا: يستطيع الطالب الذي يملك الذكاء اللغوي أن يختصر الدروس عبر خرائط ذهنية توضيحية، فيستحسن من المربي أن يطلب منه القيام بذلك، على أن يبادر بتعليمه من خلال عروض تدريبية إثرائية؛ لتتوفر في ذهنه مادة مهمة تمهّد له سبل القيام بالخرائط الذهنية على كافة الأصعدة، سواء في طريقة حفظ آية طويلة أو حديث، أو تلخيص درس، أو طرح فكرة بشكل منطقي مرتب، فالتعلم المتناغم مع طريقة العقل بالتفكير هو من أسرع أنواع التعلم.

ثامنًا: اجعل للألغاز مكانًا في استثمار ذكاء التلميذ وتنميته؛ فهي تجعله حذِقًا، ولا يمكن

للخِبِّ أن يخدعه، فأخطر ما تعاني منه الأُمَّة اليوم مَن يستغلّون قلة فهم الآخرين للدين، ويوجهون الناس بذكائهم اللغوي إلى سبل الضلال؛ من خلال تلميع ألفاظهم وإتيانهم بالغريب العجيب، مما يصعّب على العامة فهمه، فيبرزون لهم وكأنهم أذكى الخلق، فيضِلون ويُضِلون بخروجهم من أحكام الدين والتعامل بالعقل المحض.

تاسعًا: أضِف إلى المخزون اللغوي عند الطالب مخزونًا علميًّا دينيًّا، وعلِّمه مسائل ومناقشات، ويمكن الاستفادة من مناقشات الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- للمعتزلة؛ فلعل الطالب لا يَفهم تلك العبارات التي عفا عليها الزمن، ولكنّ القصد هو طريقة المحاكمة العقلية وطريقة الافتراضات والرد عليها، فلا ينبغ طالب العلم حتى يقيم الدليل على الشيء وضدّه.

عاشرًا: اصحب التلميذ لحضور مؤتمرات وندوات؛ ليتأثر بالأشخاص الذين يملكون ثروة لغوية كبيرة، وستراه يغبط مَن يستطيع الكلام بطلاقة أمام الجمهور، ويشعر أمام المثقفين باحترام ممزوج بالرهبة، وأهمّ ما يثريه دينيًّا هي خطبة الجمعة، فلا تكن في منأى عنه فيما يسمعه كل جمعة، فبادر معه بتعليمه الخطابة مع أُسُسها ومقوماتها، مستعينًا بخُطَب السابقين من الصحابة والتابعين -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-.

وأخيرًا: لعل هذه الأمور يعرفها كلّ مربٍّ، ولكن عندما يصبّ المربي اهتمامه لما يُعَلِّمُهُ بهدف تطوير الذكاء اللغوي عند طلابه فسينتج لديه نتائج مُرْضية، وخاصة أنه القدوة، فلا يمكن لمعلِّم لا يملك الذكاء اللغوي أن نُضيف لمهامه كيفية استثمار الذكاء اللغوي لدى طلابه.

ومن المهم أن يحبِّب المربي طلابه إليه؛ فأسرَع باب للتعلم هو التعلُّم بالحبّ؛ لأن الطالب يُقلّد أستاذه، ولعله يستعمل نفس عباراته؛ فليحرصْ المربي كلّ الحرص على انتقاء ما يخرج

من بين شفتيه، فإنما الطلاب أمانةٌ بين أيدي أساتذتهم، فأحسِنُوا حفظ الأمانة.

وفي ختام المطاف حول استثمار الذكاء اللغوي أوجّه كلمة للمربين؛ عسى أن يكتب الله لها القبول في قلوبهم. وهي: الابتعاد أشد البعد عما يسمى بوسائل التواصل الاجتماعي، فهي قاتلةٌ للّغة، مدمرةٌ لها، وتكاد أن تعدمها، وخاصة لدى الصغار، فأنت -أيها المربي- تردّد بلسان الحال:

أريده داعيًا مؤثرًا، أريده بليغًا، أريده رائدًا صادحًا بالحق وعنه منافحًا، ولكن العدو يدمّر ما تصنع بشتى الوسائل، ولعل الأهل أحيانًا -ومع الأسف- سببٌ من أسباب الهدم، وهنا تكمن صعوبة الأمر؛ إذ لا بد من تواصل المربي مع الأهل ليطمئن على سلامة سير عمله، ولا يكن كمن يبني وغيره يهدم. نسأل الله العافية والتوفيق في القول والعمل.

فن رواية القصة للأطفال..

مهارات أساسية في الحكْي

د. محمد فؤاد الحوامدة

أستاذ مشارك مناهج اللغة العربية وأساليب تدريسها، جامعة اليرموك، الأردن

انصبت عناية أدباء الأطفال على القصة، متخذين منها طريقًا للوصول إلى قلوب الأطفال، ومِفتاحًا إلى أحاسيسهم، وبثّهم الأفكار والقيم والمبادئ من خلال طرحٍ راقٍ للقصة، وأسلوبٍ شائقٍ يلامس شغاف أفئدتهم، ويغرس في نفوسهم حبّ الخير، وبغض الشر، ويزيد ذواتهم تهذيبًا، وعقولهم صقلاً وتنويرًا؛ مراعين ميول الطفل واتجاهاته فيما يطرحون من القصص الهادفة الناصحة من غير إهمال للتسلية والإمتاع، ومن غير إغفال لنفسية الطفل التي تملّ الوعظ المباشر والتطويل المملّ؛ إذ الطفل بطبيعته يحبّ القصّة القصيرة التي تُشبع فضوله، وتدغدغ مشاعره، وتنفذ إلى وجدانه بعفوية ودون تكلّف.

ولتحقيق ذلك كلّه، تُعدّ رواية القصّة من أهم أساليب تقديم القصّة للأطفال، فرواية القصّة أسلوب يختلف عن قراءة القصّة مباشرة من الكتاب؛ فعمليّة التفاعل بين الراوي والأطفال وأسلوب أداء رواية القصّة والموقف الذي رُويتْ فيه، والأهداف الخفيّة وراء اختيارها؛ كلّها عوامل تشكل حدث رواية القصّة.

أهمية رواية القصّة:

- رواية القصّة تنمّي الإبداع لدى الأطفال، من خلال تعريضهم لكَمٍّ أكبر من الخبرات، وإتاحة الفرصة أمامهم لإنتاج أفكار جديدة.

- رواية القصّة تمكّن الطفل من أن يكون قادرًا على التعبير عن أفكاره ومشاعره.
- أداة ممتعة لممارسة مهارات الاستماع والتعبير اللفظيّ.
- تمكّن المربين من تقديم نموذج مثير للاهتمام ينمّي القدرة التعبيريّة للأطفال.
- تيسير فهم القصة، أو القدرة على بناء خريطة عقليّة للأحداث الرئيسة للقصّة.
- تنمي الخيال وحبّ الاستطلاع والبحث.
- وتشجّع طلاقة الأفكار والصور، ومرونة التفكير وأصالته، والسعي وراء التفاصيل.

خصائص راوي القصّة:

إنّ رواية القصة فنّ إبداعيّ، يوجب على الراوي أن تكون له ذاتية واضحة، وأفكار جديدة، وقوًى تلقائية مبدعة، والراوي صاحب الخبرة الطويلة هو الذي تبدو القصة وكأنها من إبداعه وابتكاره. فرواة القصص يجب ألّا يهتموا فقط بالنصِّ الذي يُقال، بل يجب أن يهتموا كذلك بكيفية الرواية. ولكي ينجح الراوي في رواية القصة فإنه يجب أن يتمتع بالخصائص الآتية:

- يجب أن يكون محبًّا للأطفال بشكل كبير.
- توفر الموهبة مع الخبرة والتدريب المستمر.
- القدرة على اختيار القصة المناسبة.
- الحفاظ على روح الطفولة خلال عملية الحكي بتقليد الشخصيات أو التحكم في الأصوات.

- القدرة على التخيل والابتكار.
- القدرة على مزج النفس بأفكار الشخصيات وأحاسيسها والتعبير عنها.
- أن يكون ذا صوت متميز، ولديه السيطرة على توظيفه توظيفًا جيدًا.
- الأُلفة باللغة والقدرة على السيطرة عليها وجعلها مناسبة للأطفال.
- أن يكون لديه قدرٌ كبيرٌ من الثقة بالنفس.
- الإحساس الواعي بالأطفال، والقدرة على الارتقاء إلى مستواهم.
- أن يتمتع بروح الدعابة والمرح.

مراحل فنّ رواية القصّة للأطفال:

أولاً: مرحلة الإعداد (تعلُّم القصة):

- اختيار القصة المناسبة.
- نقرأ القصَّة عدَّة مرّاتٍ قبل قراءتها للأطفال، ثم نفهم مقاصد القصَّة، ونضع لأنفسنا إشارات على ما يتوجَّب علينا التشديدُ عليه بالصَّوت، أو لغة الجسد، أو تعابير الوجه.

ثانيًا: مرحلة التقديم:

- التهيئة وحسن الاستهلال.
- اسأل سؤالاً، أو أعطِ تعليقًا شخصيًّا، أو اعرض كتابًا معك لتجعل الأطفال يشتركون في القصة.
- يفضل جلوس الأطفال بالقرب من بعضهم كمجموعات، ويُفضل أن يجلس

الأطفال في شكل نصف دائري.

ثالثًا: مرحلة رواية القصّة بسعادة وإحساس (تحويل الجمل الكلامية إلى جمل حركية أيضًا):

- نعرض عنوان القصَّة، واسم المؤلّف أمام الأطفال، ثمّ نشرعُ برواية القصّة.
- التحكم بمهارة في طبقة الصوت أثناء رواية القصّة تعد عاملاً مؤثرًا وفعالاً في إحداث تأثيرها النفسي الانفعالي على الأطفال.
- نحافظ على صلة بصريَّة في أثناء رواية مع الأطفال.

رابعًا: مرحلة إنهاء القصص:

- إنهاء القصة مهمّ تمامًا مثل تقديمها، والأطفال يتشوقون لمعرفة كيف انتهت.
- يمكنك التأكد من ذلك بسؤال الأطفال عن أفضل شيء أحبوه في القصة، ويمكنك أيضًا طرح أسئلة حول الشخصيات، والحبكة، والأحداث.

خامسًا: بعد الانتهاء من رواية القصة:

- إجابة المربّي عن أسئلة الأطفال حول ما استمعوا إليه، وإتاحة الفرصة لهم بالحوار والنقاش، وإبداء الرأي.
- تكليف الأطفال بتلخيص القصة.
- تكليف الأطفال بإعادة رواية القصة.
- تمثيل الأطفال بعض أحداث القصة.

مجالات البناء المعرفي في الطفولة المبكرة

يسرا جلال

مؤسسة مشروع أكاديمية غراس العقيدة

هل سبق أن سمعت من أحد البالغين هذه العبارة: (ليتني عرفت هذا وأنا صغير)؟!

كثيرًا ما نعضّ أصابع الندم على أيامٍ ولَّت من عمرنا لم نكن نعرف فيها الله حقَّ المعرفة، وكثيرًا ما أمضينا أيامًا طوالاً في محاولات تحصيل علوم ومعارف كانت متاحة لنا بيسر وقت فراغ الطفولة.

هناك أساسيات ومعارف ضرورية يحتاج الطفل إلى معرفتها قبل نضجه، لتختلط بلحمه ودمه، ولذلك يبدأ البناء المعرفي للفرد مبكرًا؛ حيث توضع الأساسات واللبنات الأولى التي تنبني عليها معارفه، هذه المعارف التي تشكّل نظرته للحياة وشخصيته ودوره في أسرته ومجتمعه وأمته.

أهمية البناء المعرفي المبكر:

1- البناء المعرفي المبكر سياج أمان؛ فهناك معارف يحتاج الطفل إليها قبل أن يشبّ عن الطوق ويواجه العالم بنفسه، ويتعرض للشبهات التي قد تزلزل كيانه واعتقاده. البناء العقدي هنا ضروري جدًّا لتحصين الطفل وتكوين ما يشبه (المرشح)؛ تمر عبره الأفكار والعلوم، وتتكون عنده القدرة على تنقيتها واختيار ما يلائمه ونبذ ما لا يلائمه.

2- في زمن تشعّب التخصصات تسهِّل البداية المبكرة على الطفل اتخاذ قراره بالتخصص في مرحلة شبابه، يهيئ البناء المعرفي المبكر الفرصة لتجربة عملية قبل اتخاذ قرار.

3- توفر البداية المبكرة الوقت؛ حيث يبدأ الفرد من الخطوة الثانية أو الثالثة بعد أن يكون أسس الخطوة الأولى في طفولته.

مجالات البناء المعرفي:

أولاً: المجال الإيماني:

المجال الإيماني والعقدي أهم مجالات البناء المعرفي؛ فهو البوصلة التي ستضبط كل المعارف التي يتعرض لها الطفل، والمرشح الذي ينقّي من خلاله كل المدخلات المعرفية في عالمه.

1- معرفة الله عَزَّوَجَلَّ:

ولأن الإيمان بالله فطرةٌ مركوزةٌ في نفس الصبي، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]؛ فإن دعم هذه الفطرة وتعزيزها وصيانتها من أهمّ المهمات وأيسرها على المربّي الذي لا يستجلب معارف دخيلة على نفس الطفل ويسعى لغرسها، وإنما يجد صدى حديثه عن الله مع الطفل يسيرًا مقبولاً من الصغير مادام قد التزم الحقائق ولم يحرّف.

وأهم وسائل البناء العقدي: وسيلة التربية بالغَمْر، دون مبالغة أو تصنُّع للمواقف ينبّه المربّي طفله على وجود الله وآثاره ورزقه وبديع صُنعه في الكون.

من الأهمية بمكان أن يعرف الطفل أنه عبدٌ مربوب، محدود القدرات، محتاج إلى خالقه

(1) سورة الروم، آية 30.

الصمد ليصلح قلبه ودنياه، فيتعلم أهمية العبادة وضرورة الدعاء والالتجاء للخالق في كل كبيرة وصغيرة، ويتقبل كونه إنسانًا يخطئ ويصيب، ويستغفر فيغفر الله له.

2- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

القرآن الكريم ركيزةٌ أساسية في البناء المعرفي للطفل؛ يشرح الله بالقرآن صدره، ويتعلم من خلاله عقيدته وعباداته وقصص الأنبياء -عليهم السلام-. يقوّم القرآن لسانَه، ويرفع قدرته على الحفظ والتذكر، كما يدعم نموّه الإدراكي.

وإلى جانب كونه من أهم مجالات البناء المعرفي؛ فإن القرآن الكريم يوفّر منهجية معرفية للطفل يعرف من خلاله أهمية الاستدلال وغائية الحياة وهدفها الأسمى.

كما ينمّي لدى الطفل مهارات المذاكرة؛ حيث يتعلم الطفل كيف يضع خطة للحفظ، وكيف يكون مرنًا في التعاطي معها، وكيف يُقيّمها ويعدلها.

كما يتعرف -من خلاله- على اعتقاده كمسلم: يتعرّف إلى الله وإلى رسوله، ويتعلم العبادات المطلوبة منه.

وننوّه هنا إلى أهمية التدبر الذي يشكّل مع حِفظ القرآن جناحي الطائر؛ فيساعد المربي الطفل على معرفة المعاني الإجمالية للآيات، والمستفاد منها، دون أن يعطّل مَلَكة الحفظ في سنّ الحفظ الذهبية.

---

(1) سورة المائدة، من الآيتين: 15، و16.

3- الحديث الشريف:

يمكن للمربي أن يختار أحاديث قصيرة المبنى، وقد أُوتي الرسول ﷺ جوامع الكلم ليحفظها ويعرف معناها، ومن الممكن إجراء مسابقات مع الأطفال في حفظ أحاديث يحددها المربي مسبقًا تهتمّ بجانب العقائد والآداب والأخلاق. وهناك الكثير من المصادر التي تعرض أحاديث صحيحة للصغار.

4- قصص الأنبياء وعلى رأسهم قصة نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

وقصص الأنبياء ليست حكايات لتمضية الوقت أو للثرثرة، بل هي أحسن القصص، وأهم ما يتعلمه الطفل منها انتماؤه لأمة التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى محمد؛ فالأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد.

وكذا قضايا الإيمان والكفر وعاقبة التكذيب والمعصية، ومركزية التوحيد والعبادة في الحياة، فمهما استطالت الحضارات وارتفع بناؤها -ما لم يكن في المركز منها توحيد الله-؛ فالهلاك والدمار مصيرها في الدنيا قبل الآخرة.

القِيَم الأخلاقية المبثوثة في سياق قصص الأنبياء؛ كالعفة في قصة يوسف عليه السلام، والأمانة في الكيل في قصة شعيب عليه السلام، والتواضع للمعلم في قصة موسى والخضر، والصبر على المخالف في قصة يونس عليه السلام... كلها معانٍ يستقيم بها قلب الطفل قبل عقله، وتضيء حياته.

أما قصة النبي الخاتم ﷺ وصحابته وجهاده في نشر الدين، فحريٌّ بالمربي أن يتمثّلها صباح مساء، وينتفع بالاقتداء بالنبي ﷺ، وتنعكس سيرة النبي ﷺ على حياته.

وهذا يدفعنا إلى القول بأن هناك مدرستين لعرض السيرة على الطفل؛ الأُولى تفضّل التزام السرد التاريخي بالترتيب. بينما تفضل الثانية عرض الوقائع حسب حاجة الطفل

وحسب خطة التعلم، مع إرجاء الترتيب لمرحلة تالية. والحق أن الطفل يحتاج سماع سيرة الرسول ﷺ عدة مرات بصور مختلفة.

5- العبادات:

قبل الوصول لسنّ التكليف؛ يجب أن يتدرب الصغير على العبادات بعد أن غرسنا في قلبه معاني حبّ الله ووجوب طاعته، كما يحتاج أن يدرس الخطوط العريضة لفقه العبادات التي سيحتاج إلى تأديتها؛ فنبدأ بالطهارة، وأحكام الوضوء، والصلاة، ثم أحكام الصيام إذا حل رمضان.

والتدريب على الصلاة يبدأ مبكرًا في مرحلة المحاكاة من عمر ثلاث سنوات؛ حيث يحاكي الصغير والديه، ولا بأس من اصطحابه للمسجد مادام محافظًا على نظافة المسجد وطهارته، ومراعيًا لآدابه.

ومع سنّ السبع سنوات -بالتقويم القمري وليس الميلادي- نبدأ في التدريب الرسمي، ويستمر التدريب حتى عشر سنوات، والتدريب المبكر للصلاة يحتاج مقامًا من الصبر فوق الصبر، وهو مقام الاصطبار، قال تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾[1].

ثانيًا: المجال اللغوي:

وللغة العربية في هذا المجال سلطانها؛ فهي لغة الوحي، وهي هوية الطفل المسلم، وهي قالب يصيغ فيها أفكاره ومشاعره؛ لذا يجب على المربي أن يهتم بالتحدث بالفصحى مع الصغير، أو حتى بتخصيص وقت في اليوم لذلك.

كما يحسن إِطلاع الطفل على أشعار فصيحة، وديوان الطفل العربي تضيء فيه نجوم

(1) سورة طه، الآية: 132.

لامعة كأحمد شوقي وسليمان العيسى ومحمد جمال عمرو، يحفظ من أشعارهم وينشدها.

وفي مرحلة متقدمة يمكن للمربي عرض قواعد النحو والإعراب التي يضبط بها الصغير لغته، ويقدم له القواعد في صورة رشيقة تعتمد على ضرب الأمثلة قبل التقعيد، ثم تدريبات خفيفة ترسخ القاعدة النحوية. ولا ننسى هنا دور القرآن الكريم في ضبط لسان الطفل، وتجويد مخارج حروفه، ودعم سليقته اللغوية.

ولا بأس بتعليم الطفل لغة أجنبية بعد تأسيس قواعد العربية وتمكينه منها؛ لينفتح على ثقافة أخرى، ويتمكن من مطالعة العلوم والآداب بلغة أهلها.

ثالثًا: المجال العلمي:

تتيقظ حواس الصغير في عمر الثلاث سنوات قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾[1]؛ حيث يحتاج الطفل في هذه المرحلة إلى إمداده بمهارات التجريب والملاحظة، وعرض حقائق العالم عليه، مع إرشاده لحكمة الخالق -سبحانه- في سلطانه على الكون؛ كتحرُّك الأفلاك وسلاسل الغذاء، وقوانين الفيزياء والكيمياء، مع التأكيد على السماح للطفل بالتأمل والإبداع، ومساعدته في الوصول لهذه الحقائق دون إملائها عليه.

رابعًا: المجال الرياضي المنطقي:

مهارات الحساب الأولى، ومعرفة فلسفة العد، وعلاقات الأعداد، وعمليات الجمع والطرح، وكذا مبادئ الهندسة والجبر؛ مجال مهمّ يفتح للطفل الباب على مصراعيه للتفكير المنطقي، وأسس الاستدلال والوصول لحل المسائل الرياضية بطرق مبتكرة.

---

(1) سورة النحل، الآية: 78.

خامسًا: المجال التقني:

المعارف التقنية، ومهارات استخدام الحاسوب؛ فريضة في عصرنا الحالي، أثبت الأطفال فيها تفوقهم على الكبار في مجالات التصميم والبرمجة.

وتعليم الطفل تقنيات الحاسوب ليس هدفًا في حدّ ذاته بقدر ما هو وسيلة يستطيع من خلالها التعبير عن باقي المعارف، باستخدام الحاسوب في إجراء إحصاءات أو عروض تقديمية أو مقاطع مرئية يلخص فيها ما تعلمه.

سادسًا: المعارف النفسية:

حين تحدثنا عن دعم الفطرة في بداية كلامنا كان هذا محاولة لدعم نفسية الطفل ودعم سلامه واتزانه النفسي. ونعود ها فنؤكد ضرورة الوعي النفسي، وأهمية أن يعرف الطفل مشاعره ويستطيع إعطاءها اسمًا، ويتفاعل معها ولا يرفضها؛ فيفهم أنه غاضب يحتاج إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والوضوء، ويفهم أنه غار من أخيه فيذكّر نفسه بالرضا بقضاء الله، ويعرف كذلك مشاعر الآخرين حوله ويتعاطف معهم، ويسعى لمشاركتهم مشاركة حقيقية.

محاذير البناء المعرفي للطفل:

ذمَّ القرآن في غير موضع مسألة الاهتمام بالعلم والمعارف على حساب تزكية النفس وتصفيتها، وحذرنا من مصير بلعام بن باعوراء الذي آتاه الله آياته وعلَّمه، ولكنه انسلخ منها، ولم تزكُ بها نفسه قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾[1].

لذا من الضروري أن نُولي اهتمامنا -مع البناء المعرفي- بالتربية النفسية والتزكية التي تثمر عن التقوى التي تحرس العلم وتنفع به صاحبه.

كما يجب الحذر أيضًا -في سياق البناء المعرفي- من الاهتمام بالمفضول على حساب الفاضل؛ فالقرآن أَوْلَى من الحديث ومن متون الاعتقاد، واللغة العربية أَوْلَى من غيرها من اللغات، فالمربّي يحتاج هنا أن يرتّب أولويات لبنات البناء المعرفي.

ولا يصح أن يسلك المسلمون في بناء معارفهم «مسالك ومناهج علماء التربية والاجتماع الغربيين؛ ويتعلمون ويدرسون في مدارسهم ومعاهدهم نظريات ومناهج تقدّس المادة، ولا تؤمن إلا بالمحسوس الملموس... وشتان ما بين ثقافتنا وثقافتهم، وأهداف التربية عندنا وعندهم؛ إن أهداف التربية عندنا أهداف نبيلة، والهدف الأساس هو تكوين الإنسان الصالح المصلح، وهدف التعليم عندنا هو تكوين العالِم العامل النافع لأُمّته وللبشرية، أما عندهم حيث ثقافة الشهوات، والعلمانية اللادينية والحياة اللاأخروية فإن الأمور تختلف... ولأن التربية عندنا عبادة؛ فإن لها أساليب ووسائل وأهدافًا، ونحن متعبَّدون بالأخذ بالأسباب والأساليب والوسائل الشرعية المأخوذة من كتاب ربنا وسُنة نبينا؛ وصولاً إلى الأهداف المشروعة المنشودة. أما هُم فالغاية عندهم تبرّر الوسيلة في كثيرٍ من الأحيان[2].

أخيرًا علينا أن نحذر من فوضى التلقّي المعتمدة على شبكة الإنترنت كمصدر للمعرفة دون توثيق المصادر وتنقيحها.

---

(1) سورة الأعراف، الآيتان: 175-176.

(2) أهمية البناء النفسي قبل المعرفي، أمين يوسف الدميري، مجلة البيان.

أفلام الرسوم المتحركة العالمية..

عقائد شاذة وقيم منحرفة

عمرو كامل

كاتب وباحث في الدراسات الإسلامية

في حادث غريب من نوعه، نشر موقع الإندبندنت الإنجليزي في فبراير من عام 2019م خبرًا عن حادث اغتصاب ارتكبه طفلٌ يبلغ من العمر اثني عشر عامًا لأخته البالغة من العمر ست سنوات، بغرض محاكاة مشهد ما في لعبة **GTA** الإلكترونية المعروفة.

مما ذكره الخبر أنها لم تكن الواقعة الأولى التي تتعرض لها الفتاة للاغتصاب من أخيها، وأنه في أثناء المحاكمة، تعهَّد الطفلُ بعدم تكرار هذا الفعل مستقبلاً مادام عرف أنه خطأ كبير!

هذا الخبر المزعج لا يعكس مدى خطورة غياب الأبوين عن متابعة وتقويم الأبناء وحسْب؛ بل يعكس ملامح أخرى للمسألة بالغة الخطورة.

فبدايةً، يعكس الخبرُ أهمية العناية بالتصنيفات العمرية لأي منتج ترفيهي، سواء أكان لعبة أم فيلمَ رسوم متحركة -والذي هو محور حديثنا-، أم أي شيء من هذا القبيل، فهذه التصنيفات لم تُقدَّر اعتباطًا؛ بل بناءً على ما تحتويه هذه المنتجات، ومدى ملاءمتها للفئة العمرية المشار إليها. ويمكن تعرُّفُ تفاصيل هذه التصنيفات بسهولة عن طريق محركات البحث على الإنترنت، مع الوضع في الاعتبار -وهذا هو الأهم- أن هذه التصنيفات لا تعبِّر بالضرورة عن سلامة المحتوى؛ بل يجب علينا إخضاعها هي الأخرى إلى معاييرنا

الدينية والأخلاقية.

وإذا تجاوزنا الحديث عن بعض الآثار السلبية المترتبة على هذه الأعمال والمنتجات؛ كتسويغ العنف والأفعال الشريرة، وحب الشر، وما إلى ذلك، مما ألقينا عليه الضوء في مواطنَ أخرى، ومما أفاض وأجاد فيه الكثيرون؛ فإنه من المستقرِّ بداهةً والمسلَّم به أن شركات الترفيه الضخمة -كشركة ديزني المتوحشة العابرة للقارات- لا تضخ ملياراتها في هذه الصناعة لمجرد الترفيه وجنْي المزيد من المال وحسْب؛ بل هذه -بقناعة تامة منها أو بإيعاز من غيرها من ذوي النفوذ، خضوعًا لعقيدتها البرجماتية- تحمل على عاتقها تشكيل وعي وشخصية النشء الصغار على مرّ الأجيال، من خلال المناورات الذهنية والرسائل الخفية للتأثير على لاوعيه غير المُدرِك للفرق بين الحقيقة والخيال، بما يتناسب مع سمات كل عصر وأجندته، وبوجه خاص الجيل الألفيني التائه في هذا العصر ما بعد الحداثي المائع، الذي يلهث فيه الأبوان ليل نهار خلف المادة، ولا شيء يُلهي هؤلاء الصغار ويملأ أدمغتهم سوى الشاشات الذكية المفتوحة على عالم متمرِّد يُهين كل ما هو تقليدي، وبالتالي يَسْخر من كل أصل أو ثابت تربينا عليه وتوارثناه جيلاً بعد جيل، وذلك تحت مِظلة «الحرية» البراقة.

أمثلة خطيرة.. معتقدات وثنية:

ومن ذلك إفساح المجال لاستعراض المعتقدات الوثنية؛ كالاعتقاد في السحر وقوة الطبيعة والاتحاد معها. ونضرب لذلك مثالاً بفيلم Raya and the last dragon الصادر عن ديزني عام 2021م، وكذلك الجزء الثاني من فيلم Frozen الصادر عام 2019م، واللذين يتخذان من هذه الفكرة إطارًا عامًّا لهما، إضافةً إلى توجيه الرسالة بالثقة في أصحاب هذه الاعتقادات.. ويتضح ذلك جليًّا عند اكتشاف الأميرة إلسا -في فيلم فروزن- أن جَدَّها لأبيها هو السبب في غضب الطبيعة وعقابها لشعب أمها الذي يُمارس

هذه الاعتقادات، وذلك لرفض جَدِّها الوثوقَ بهم لامتلاكهم قُوًى سحريةً خارقةً تصنع منهم وحوشًا وأشرارًا، فقالت إلسا في غضب: Fear is what can't be trusted.. واتضح لاحقًا من الأحداث أنها مُحِقة، وأنهم كانوا قومًا أخيارًا.

نتفق أنَّ العالم الخيالي جميلٌ وممتعٌ، والمساحة الإبداعية فيه شاسعة، لكنَّ ربْطَه باعتقادات وثنية يتحقق فيها الإشراك بالله في ألوهيته وربوبيته، فهذا أمرٌ في غاية الخطورة، خاصَّةً عند تقديمه لأطفال صغار اعتقادهم ما يزال في طور التشكيل.

حتى وإن كانت معامل الدبلجة العربية لا تزال تجتهد في مقاومة هذه الأفكار -الأمر يُذكرني بمسألة قديمة أشار إليها شيخ الترجمة أنيس عبيد في قوله: «على المترجم أن يأخذ حذره دائمًا، وأن يتجنّب الألفاظ الشائكة أدبيًّا وسياسيًّا، وأن يكون رقيبًا ثانيًا على بعض الأفلام»-، لكنْ أخشى بأن هذا لو لم يكن متوازيًا مع توعية جريئة للأبناء -لا سيما مع غلبة التعليم باللغة الإنجليزية- أن تَخورَ القوى أمام هذا المَد الشديد.

العلاقات بين الجنسين:

مثال آخر لا يقل خطورة، عن حُرية العلاقة بين الشباب والفتيات خارج الإطار الشرعي الرسمي، وهو كذلك في الجزء الثاني من فيلم «فروزن»؛ حيث يظهر كريستوف وصديقه حيوان الرنّة وهما يعيشان مع الأميرتين «إلسا» و»آنا» في قصرهما بلا أيّ علاقة رسمية واضحة، اللهم إلا بعض الإعجاب والحب بينه وبين «آنا» يتبادلانها من الجزء الأول من الفيلم، ويسعى «كريستوف» جاهدًا حتى آخر الفيلم أن يتجرأ ويقدم لها Marriage Proposal (أي: يجثو على ركبته ويفاجئها بخاتم الزواج)، كما ظهرت إحدى هذه المحاولات الفاشلة في أول الفيلم وهو يقيم معها في القصر.

ويمكنك استنتاج ومعاينة كيف يتم ترسيخ مفهوم العلاقة قبل الزواج عن عمْد في

أذهان ملايين الفتيات المفتونات بـ«إلسا» و«آنا»؛ بل وفي أذهان الصِّبْية كذلك، بأن هذا النمط من الحياة حلوٌ وأُسطوريٌّ.

التعايش مع الشذوذ:

ولعل القضية التي تَحظى بالعناية الكبرى في العَقد الأخير، هي قضية التعايش ونبذ التمييز ضد الآخر، والتي على الرغم من جمال ظاهرها وبريقه -بل وبعض مكتسباتها الظاهرة كذلك- إلا أنها تحمل في ثناياها أهدفًا سلبية خطيرة.

ومن ذلك: أن هذا التعايش المنشود يخضع لقواعدَ عامةٍ لا تجعلك -كمواطن مسلم في مجتمع ديمقراطي غربي- مقبولاً مرضيًّا عنك إلا إذا خلعت على أعتابه بعضًا من مبادئك وثوابتك التي لا تَقبل الانصهار في هذه البوتقة العالمية. والمبني على هذا الانصهار هو التزامك بتقبُّل كل ما هو مختلف عنك، حتى لو عرفت من الشَّارِعِ -جل شأنه- بكلام قطعي ثابت، أن هذا منكر لا ينبغي قبوله أو التكيف معه.

ومثال ذلك: تقبُّل العلاقات الجنسية الشاذة، أو ما يقال عنها بصيغة إعلامية مخففة «المثلية».. فمادُمتَ -أيها المسلم- ارتضيتَ الدخول إلى هذا الفردوس الأرضي، فعليك أن تخضع لهذه القواعد، وأن تتعايش مع الجميع، وإلا سيكون جزاؤك الطردَ والحرمانَ، وستَلقى مصير «مُنْكِرِي المَحرَقة».

ولقد صار لزامًا على الأفلام أن تُقحِم شخصيةً «شاذة/ مثليةً» في العمل، وأن تأخذ دورًا إيجابيًّا مُلهِمًا، على عكس الماضي حينما كانت تُقدَّم هذه الشخصيةُ -إن تم تقديمها- في إطار سلبي ساخر. ومثالُ ذلك من أفلام ديزني، ذات التصنيف العائلي العام، فيلمَا الـ«لايف أكشن» -أي إعادة إنتاج لأفلام قديمة وبشخصيات حقيقية- وهما فيلم الجميلة والوحش Beauty & the beast 2017م وفيلم Cruella 2021م.

وأما عن الأعمال التي تبثها مِنَصَّتَا «نِتفليكس» أو «كارتون نِتوورك»، فحدِّثْ ولا حرجَ.

ويُعَدُّ فيلم Luca لديزني-بيكسار 2021م نقلةً نوعيةً جديرةً بالذكر؛ فعلى الرغم من الطرافة والبهجة التي يَبُثُّها الفيلم، والمعاني الجميلة التي تنتصر فيها ديزني لمن أسْمتهم «المستضعفين»؛ أي: المنبوذين الكريهين الموسومين بالوحوش، والذين هم في الحقيقة أطيب خلق الله، الذين لا يَسعَون لشيء سوى نيل الحرية والعيش في سلام وأمان من تهديد بعض البشر الأشرار والمشوَّهين فكريًّا، كما تقول الجدَّة في النهاية: «بعض الناس لن يتقبلوهم مطلقًا، ولكن البعض الآخر سيتقبلهم، ويبدو أنَّ «لوكا» يعرف كيف يجد هؤلاء.. فالفيلم كما يتبين مليء بالشعارات والعبارات الرائقة التي تُلهب المشاعر، لكنَّ الغرض منها هو الإسقاط كالعادة على مجتمع الـ«ميم» أو الشواذ جنسيًّا، ولا شيء سوى ذلك..

وهذا من الممكن للمشاهد استشعاره في العلاقة غير المريحة بين الصديقين «لوكا» و«ألبرتو»، وفي دور السيدتين العجوزين اللتين أخفيتا حقيقتيهما المثلية حتى آخر الفيلم، وهو الأمر الذي جزمت به مجلة Business Insider حينما صرحت في الرابع من يوليو بأن الكثير ممن شاهدوا الفيلم لاحظوا العلاقة الشاذة المبطنة في الصديقين، وقالت بأن ديزني-بيكسار لم تكن جريئة بما يكفي للالتزام كاملاً بإجلاء الصورة في فيلمها «الشاذ» الأول من نوعه.

وصراحة.. كان الله في عوننا، وفي عون الأجيال الجديدة، وكل المستضعفين بحق!

ما الحل؟!

لا أعتقد أن المنع هو الحل الناجع للحد من هذا البلاء، في زمان أصبح كل شيء فيه في المتناول، ولكن أرى أن المواجهة الجادة هي الأسلوب الأفضل رغم صعوبته؛ فبناء علاقة سوية مع الأبناء، وإقامة حوارات مفتوحة، وتسديد الملاحظات بحكمةٍ وفق مناسبتها لكل

سنّ دون غيره؛ هذه الأمور تساهم في تقوية الجهاز المناعي لدى الأبناء، وتعزيز الرقابة الذاتية لديهم، وتقوية ارتباطها بالرقابة الإلهية، ومع تحجيم التعرض -قدر الإمكان- لهذه المؤثرات الضارة يكون ذلك بمثابة التطعيم الوقائي للأبناء، الذي يساهم في تكوين مَلَكة التمييز بين الخطأ والصواب لديهم.. وقبل ذلك كله؛ التوجّه بالدعاء إلى الله بالحفظ والوقاية، من شر الفتن، ما ظهَر منها وما بطَن.

توظيف الوسائل التعليمية
في الأنشطة الدعوية

علي السمهري

معلم رياضيات في أكاديمية قطر للقادة

لقد كان التدريس من أهم الوسائل التربوية منذ القدم، ولا يزال يتسع نطاقه، وتتجدد مناهجه التي تَدخُل عليها بعض التحسينات والتغييرات على مرّ الزمن، وفي الحقيقة إننا في القرن الواحد والعشرين نشهد تطورًا ملحوظًا في أساليب ومهارات واستراتيجيات التدريس التي تُعدّ جزءًا أساسيًّا من التربية الحديثة وأصبحت مطلبًا؛ والتي تجعل التعليم يتحلق حول اهتمامات المتعلم؛ ما يساهم في تكوين عادات ومهارات وقيم وتحسين للبيئة التعليمية المحفزة ورفع دافعية المتعلمين للتعلم.

إن التدريس ينتقل من هدف تحقيق النموّ المعرفي فقط إلى تحقيق النمو المعرفي والمهاري القِيَمي، ولا شك أن التنويع في طرق التدريس يُعدّ محط اهتمام المتعلمين، ويلفت انتباههم، ويجذبهم إلى الحصة الدراسية.

أهمية توظيف الأنشطة التعليمية:

ومن بين الطرق التي يحتاجها المعلمون داخل الصفوف الدراسية أو في المحاضن التربوية والدعوية: توظيف الأنشطة التعليمية أو بالمصطلح العصري (التعليم باللعب)، والتي تربط بين النشاط الفكري واليدوي للطالب؛ فالأنشطة التعليمية عبارة عن وسيلة تهدف إلى رفع مستوى فهم المتعلم، وتساهم في زيادة دافعيته للتعلم من خلال كسر جمود

وروتين الحصة بما يخدم المادة العلمية وأهدافها؛ حيث تعد هذه الأنشطة مهمة في هذا الزمن ولهذا الجيل؛ نظرًا للتقدم والتطور الحاصل، بالإضافة إلى توفر الموارد والإمكانيات؛ حيث تكمن أهميتها في الإجابة عن سؤال (لماذا الأنشطة مهمة؟!).

الأنشطة تساعد المتعلم على استخلاص المعلومة، وتزيد من استيعابه لها، وتثبّت المعلومة في ذهنه، وأيضًا تتولد القدرة لديه على اكتشاف أخطائه وتصحيحها بالطريقة المناسبة، كما تساهم الأنشطة في زرع وتعزيز كثير من القِيَم والمفاهيم التربوية مثل: العمل الجماعي، والقيادة والتخطيط، ومهارات التواصل... وغيرها. وعليه تقوم الأنشطة بدور ربط المادة العلمية بالحياة اليومية المحيطة بالمتعلم؛ ما يزيد من قناعته بأهمية العلم الذي يتعلمه، كما تراعي الأنشطة أنماط التعلم المختلفة (السمعي، البصري، الحركي) لدى المتعلمين، وتراعي فروقاتهم الفردية.

بالإضافة إلى ذلك، تساعد أنشطة المعلم على إيصال المعلومة للمتعلم بطريقة سهلة ومبتكرة؛ ما يساعد على ترسيخ المعلومة، وخلق أجواء ممتعة غير مملة داخل القاعة الدراسية؛ ما يُحبِّب المادة العلمية في نفوس المتعلمين.

لقد أثبتت الدراسات أن الألعاب التدريبية والتعليمية تجعل المتعلم يعيش التجربة بكافة حواسه ويشارك فيها -قولاً- من خلال إبداء رأيه ومناقشة وجهات النظر الأخرى المطروحة من زملائه في المجموعة، وفعلاً من خلال المشاركة الجسدية والذهنية مع أفراد المجموعة لإيجاد الحل الصحيح والمناسب للمسألة أو المشكلة. وهذا يساهم في رفع نسبة التعليم وتذكّر النشاط إلى أعلى مستويات الاستيعاب والتذكر والفهم. وقد وضح ذلك هرم (إيدجار ديلي) للتعلم والخبرة؛ حيث يحتل التعليم بمحاكاة الخبرات الحقيقية وتجربة الأعمال الحقيقية نسبة 90 ٪ من إمكانية تذكر المعلومة.

فالأنشطة التعليمية تتيح فرصًا مجانية وبيئة آمنة للمتعلم لخوض تجربة النجاح والفشل، والتعرف على معالم الطريق المؤدي لكل منهما دون خسائر، وتتيح للمتعلم فرصة المشاركة الفكرية والاجتماعية والبدنية مع المجموعة؛ ما يمنحه القدرة على التأقلم مع المواقف المشابهة لها في الحياة العملية.

ولا يخفى علينا أن التعليم باللعب يخاطب أكثر من حاسة لدى الإنسان، فالشرح بالطريقة التقليدية كإلقاء المحاضرة يعتمد على حاسة السمع لاستقبال المعلومة، ويجعل المتعلم بمثابة جهاز استقبال للمعلومة، بينما تستخدم الألعاب التعليمية السمع والبصر واللمس، وفي أحيان أخرى الشم والتذوق، وكلما تمت مخاطبة أكثر من حاسة خلال عملية التعلم كانت المعلومة أو السلوك أكثر ثباتًا وفهمًا لدى المتعلم.

وعلى جانب آخر؛ فإن الألعاب والأنشطة هي أقرب أسلوب تعلُم يحاكي الواقع، فالسلوك الصادر من المتعلم خلال اللعب ما هو إلا انعكاس الأسلوب الأكثر احتمالاً من الفرد والمتعلم في الواقع الميداني؛ ما يساعد المعلم على تحليل شخصيات المتعلمين وفهمها ومعرفة الطريقة المثلى للتعامل والتواصل معها.

والتعلم باللعب ينقل المتعلم من كونه متلقيًا ومستقبِل معلومات إلى مشارك في تشكيل المعلومة واستنتاج الدروس المستفادة من النشاط، وهذا ما يطلق عليه بـ(التعلم المتمحور حول المتعلم).

معايير اختيار الأنشطة التعليمية:

ونظرًا لتعدّد وتنوّع الأنشطة فقد تعددت الآراء حول المعايير التي يمكن في ضوئها اختيار أنشطة المنهج، وعلى الرغم من تعدد الآراء إلا أنها تتفق على أن يتم الاختيار وفق

المعايير التالية:

1- أن يتم مراعاة تحقيق أهداف المنهج في المقام الأول، ولا يتم تطبيق النشاط قبل التحقق من فهم المتعلمين لأهداف الدرس.

2- أن تكون الأنشطة مناسبة لمستوى نضج المتعلمين، ويكونوا قادرين على القيام به، ويساعدهم على تعلم الجديد، ويتيح لهم الفرصة لتطبيق ما تعلموه.

3- أن يلامس النشاط اهتمام وحاجات المتعلمين الشخصية والنفسية والاجتماعية؛ فهذا يجعل التعلم أكثر فعالية.

4- أن يتم تحقيق التنوع بين النشاط المختار والأنشطة الأخرى، فيساهم في النمو الشامل للمتعلم والتوازن في تنمية شخصيته.

5- أن يكون النشاط هادفًا، وتنعكس فائدته على المتعلمين.

6- أن يكون التنفيذ ممكنًا في حدود الإمكانيات المادية وغيرها لدى المعلم، ولا تشكل عليه أي عبء، وهنا يكمن إبداع المعلم.

7- أن يكون للنشاط دور في تحقيق التوازن بين احتياجات نمو الفرد ومتطلبات المجتمع، ومرتبطًا بواقع حياة المتعلم؛ ما يحقق استفادة أكبر لديه.

مراحل إعداد الأنشطة التعليمية:

ولا شك أن النجاح في تقديم النشاط الصفي وتحقيق الأهداف المرسومة له يكون بالإعداد والتحضير المسبق، فالنشاط يمُرّ في عدة مراحل قبل التطبيق يمكن تقسيمها على مرحلتين رئيستين:

المرحلة الأولى: التخطيط:

يقوم المعلم فيها بإعداد خطة النشاط، ويتم تحديد المعايير والأهداف والطرق والأساليب والاستراتيجيات المختلفة لتطبيق النشاط، بالإضافة إلى تحديد نوع النشاط والاحتياجات المادية ومعرفة الظروف المحيطة.

المرحلة الثانية: البناء:

يتم من خلالها بناء النشاط، من خلال توفير الاحتياجات والمواد المطلوبة، وتصميم وسائل النشاط، وكتابة شرح خطوات تطبيق النشاط ليتم شرحه للطلاب، وأيضًا يتم تحديد الوقت المطلوب لتطبيق النشاط.

وبعد تخطيط وبناء النشاط يجب على المعلم أن يراعي المرتكزات الأساسية وقت تطبيق النشاط داخل القاعة الدراسية حتى يخرج بأحسن صورة، وتتحقق أهدافه، بالإضافة إلى كسر جمود الحصة وتحقق المتعة، فمرتكزات النشاط تتمثل في النقاط التالية:

1- الإعداد والتحضير الجيد: على المعلم أن يكون على استعداد تامّ من خلال مرحلة التخطيط من حيث وضوح تفاصيل تطبيق النشاط، ويجب عليه توفير جميع الاحتياجات بالكمية المطلوبة، ويتم أخذ جميع الاحتياطات اللازمة، ويراعي في النشاط سلامة المتعلمين.

2- الإرشادات الواضحة: يجب على المعلم قبل بداية النشاط أن تكون إرشاداته واضحة وسهلة الفهم للمتعلمين، والتي تتمثل في قوانين النشاط وكيفية تطبيقه، ولا يمنع أن يقوم المعلم بالتطبيق عن طريق الإجابة عن سؤال واحد كمثال حتى يستوعب المتعلمون ذلك، ويجب على المعلم أن لا يقوم بإعطاء أي تعليمات عامة أثناء تطبيق النشاط؛ حيث إن المتعلمين منشغلون بأداء النشاط.

3- وضوح الأهداف: يجب أن تكون الأهداف المطلوبة من النشاط واضحة لدى المعلم حتى تكون واضحة للمتعلمين، ويتم تحقيقها من خلال النشاط.

4- قوة المعلم وحماسه: حضور المعلم القويّ وقت تطبيق النشاط من خلال ضبط الصف وحماسه ينعكس على حماس المتعلمين وتفاعلهم، بالإضافة إلى قدرته على السيطرة على المتعلمين ولفت انتباههم بعد تأدية النشاط.

5- ضبط الوقت: يتم ضبط وقت للنشاط، وعلى المعلم الحرص على زيادة وقت إضافي للنشاط على الوقت الأصلي له، مع مراعاة وضوح مؤشر التوقيت أمام نظر المتعلمين، على سبيل المثال إذا كان النشاط يحتاج إلى 10 دقائق فيقوم المعلم بإضافة دقائق إضافية بسيطة.

6- التحفيز: يجب العلم أن النشاط لا قيمة له في نظر المتعلمين إذا لم يكن هناك دافع وحافز لهم لتطبيق النشاط، فيجب أن يكون هناك نظام واضح للتقييم كجمع النقاط أو غيرها من الطرق والحوافز؛ حتى يتم تشجيع المتعلمين على تطبيق النشاط.

وأخيرًا.. فإن الخروج عن النمط التقليدي وتطبيق الأنشطة في البيئة الصفية التي تكتظ بأعداد كبيرة من الطلاب الحركيين يُعدّ مخاطرة، وستكون هناك صعوبات وتحديات، وقد يفشل المعلم في التجارب الأولى، لكن يجب على المعلم ألا يستسلم من البداية، وعليه بتقييم النشاط، وأن يجد الحلول لتفادي تلك التحديات في الأنشطة الأخرى ليحقق أكبر قدر من الفائدة والاستفادة، وكما قيل في المَثَل الصيني: (قل لي وسوف أنسى، أرني وربما أتذكر، أشركني وسوف أحفظ).

عتبة المراهقة

المقاييس والاختبارات النفسية..
والإفادة منها تربويًّا

د. أحمد عبادي الربيعي
أستاذ مساعد علم النفس التربوي - جامعة العلوم والتكنولوجيا - اليمن

اهتم علماء النفس والتربية بدراسة السلوك الإنساني دراسة علمية؛ وذلك من أجل فهم أفضل لخصائص هذا السلوك، وتوجيهه لخير الإنسان ورفاهية مجتمعه، وفي هذا الصدد طوَّر العلماء والباحثون أدوات دقيقة لقياس الجوانب المختلفة من شخصية الإنسان، سواء أكانت جسمية أم عقلية أم انفعالية، والحقيقة أنه كلما كانت وسائل وأساليب وأدوات القياس دقيقة استطعنا أن نحدد الجوانب الإيجابية في شخصية الفرد لغرض دعمها وإنمائها وتعزيزها، وكذلك تحديد الجوانب السلبية أو الضعف في شخصية الفرد من أجل مساعدته على تجاوزها وتحقيق التوافق والاتزان مع نفسه ومجتمعه.

وعندما يقوم المربي بأداء مهامه المهنية، وأثناء تعامله مع طلابه؛ يهتم بسلوكهم وميولهم وتوجهاتهم وإنجازاتهم، وكل ما يمكنهم إنجازه مستقبلاً؛ لكي يحقق أهداف العملية التربوية والتعليمية المرجوة، وفي هذه الحالة ينبغي للمربّي اتخاذ قرارات لا يشوبها الحدس أو الذاتية أو التحيز بالاعتماد على الملاحظة الشخصية غير الدقيقة، وإنما يجب أن يستند إلى الأساليب العلمية في انتقاء الطلاب وتصنيفهم وتشخيص سلوكياتهم وترقيتهم. ومن هذا المنطلق تبرز أهمية أن يكتسب المعنيون بالعملية التربوية والتعليمية المعارف الأساسية والمهارات الإجرائية والكفايات اللازمة المتعلقة بالقياس والتقويم التربوي والنفسي.

ونظرًا لما للاختبارات والمقاييس التربوية والنفسية من أهمية كأداة وتقنية حديثة لقياس وتقويم الطلاب في المحاضن التربوية والمؤسسات التعليمية، من خلال الكشف عن اتجاهاتهم وميولهم وسمات شخصياتهم وقياس درجات ذكاءاتهم، سنوضح في هذا المقال مفهوم الاختبارات والمقاييس النفسية وأهميتها وأنواعها ومواصفاتها ومبادئها، وما يمكن أن تضيفه للمربين في الجانبين المعرفي والمهارى.

مفهوم الاختبار التربوي والنفسي:

باستخدام عملية القياس التربوي والنفسي يمكننا أن نقيس سمات الفرد بصورة كمية طبقًا لقواعد محددة تحديدًا دقيقًا وباستخدام الأرقام أو الرموز، ولكن سمات الفرد لا يمكن قياسها مباشرة، وإنما نستدل عليها من أنماط السلوك الملاحظ، فنحن بالطبع لا نستطيع قياس الفرد ككل، وإنما نهتم بقياس بعض سماته التي تسهم في اتخاذ قرار معين بشأنه، وهذه السمات قد تتعلق بالجوانب الجسمية العضوية والفسيولوجية أو الجوانب النفسية والعقلية والوجدانية.

ويعرف الاختبار التربوي والنفسي بأنه: إجراء منظّم يحتوي على مجموعة من المثيرات (أسئلة أو عبارات) وُضِعَتْ لتقيس عينة من السلوك وبعض المعطيات العقلية والخصائص النفسية بطريقة كمية أو كيفية، وتؤدي هذه المثيرات إلى إحداث استجابات يمنح على أساسها الفرد درجة معينة، أو هو أداة قياس مقنَّنة يصمّم للحصول على قياس موضوعي لعينة من السلوك بهدف موازنة أداء الفرد بمعيار أو بمستوى أداء محدد.

أهداف الاختبارات والمقاييس النفسية:

1. الوصف (المسح): تعني حصر الإمكانيات لدى فرد أو عينة من الأفراد من أجل توظيفها بصورة أفضل.

2. التشخيص: بناءً على درجات الطلاب في الاختبارات والمقاييس نتعرف على جوانب القوة والضعف لدى كل منهم، والعمل على تعزيز جوانب القوة ومعالجة جوانب الضعف.

3. التنبؤ: بناءً على فهم قدرات الأفراد نستطيع توجيههم نحو الدراسة أو المهنة التي يكون احتمال نجاحهم فيها مرتفعًا، أو التنبؤ بكيفية تصرف الأفراد في الموقف المختلفة.

أهمية الاختبارات والمقاييس النفسية:

1- اكتشاف حالات المتفوقين والمبدعين والعباقرة والموهوبين في الذكاء والقدرات العقلية الخاصة؛ فهؤلاء يعدون ثروة بشرية ينبغي الاهتمام بهم ورعايتهم واستثمار طاقاتهم وقدراتهم لتطوير وتنمية المجتمع، بما يضمن استمرار تفوقهم والانتفاع بطاقتهم العقلية إلى أقصى حد ممكن.

2- اكتشاف حالات التأخر الدراسي، وبحث عوامله وأسبابه العقلية أو التحصيلية، وفي هذه الحالات يتم التعرف على مواطن الضعف عند كل تلميذ، وإعطاؤه الخطة العلاجية المناسبة؛ ما يساعد التلاميذ الضعفاء على استرداد الثقة بأنفسهم.

3- التوجيه والإرشاد النفسي للتلاميذ أثناء سيرهم الدراسي، وذلك ببحث الأسباب التي أدت إلى حدوث المشكلات التي يعانون منها، ومساعدتهم على حلها والتغلب عليها مستقبلاً، وتوجيههم إلى التخصصات والمهن التي تتناسب مع قدراتهم وميولهم واستعداداتهم وأنماط شخصياتهم.

4- مساعدة المدرسين والقائمين على العملية التعليمية في تصنيف الطلبة إلى مجموعات متجانسة وفق قدراتهم العقلية وميولهم النفسية؛ حتى يتم مراعاة الفروق الفردية فيما بينهم، ومن أجل تقسيمهم إلى فصول أو مجموعات متجانسة، تخصص بعضها للمتفوقين وأخرى

للمتوسطين وأخرى للضعفاء، بحيث تسير كل مجموعة في الدراسة بالسرعة المناسبة لها.

5- المفاضلة بين التلاميذ عند الالتحاق بالمدارس؛ حيث تُجرَى بعض الاختبارات والمقاييس للتأكد من صلاحية التلاميذ للسير بنجاح في المراحل الدراسية التالية؛ الأمر الذي يعتمد على القيمة التنبؤية للاختبارات والمقاييس النفسية.

مبادئ أساسية للاختبارات النفسية:

- لا يمكن للاختبارات النفسية أن تقدم إجابة عن كل شيء، وإنما تقدم معلومات حول مجالات جزئية من الشخصية كالسمات والمهارات والقدرات وأنماط السلوك.
- لا يتم استخدام الاختبار النفسي إلا بعد خضوعه للتجريب والتأكد من صلاحيته.
- لا يقوم بعملية الاختبار النفسي وتصحيحه وتفسير نتائجه إلا متخصّص في نفس المجال.
- نتائج الاختبارات والمقاييس النفسية يجب أن تُحاط بسرية تامة ولا يطّلع عليها إلا المعنيون بها.
- يُستحسن دومًا الاعتماد على أكثر من اختبار لضمان مصداقية النتائج.
- عند الاستجابة لأي اختبارات نفسية بعيدًا عن المختصين؛ يجب قراءة الدليل الذي يشرح هدفها، وكيفية استعمالها، ومفتاح التصحيح، وكيفية تفسير النتائج.

مواصفات الاختبارات والمقاييس النفسية الجيدة:

- التقنين: ويعني أن يكون بناء الاختبار وتصحيحه وتفسير نتائجه مستندًا إلى قواعد محددة بحيث يكون قابلاً للتكرار.
- الموضوعية (Objectivity): وتعني عدم تعلق تطبيق الاختبار واستخدامه

وتفسير نتائجه بالشخص الفاحص.

- الموثوقية (Reliability): وتعني الثبات أو الدقة في النتائج.
- الصدق (Validity): أن يقيس الاختبار ما وُضِعَ لقياسه فقط، ولا يقيس أي شيء آخر.
- الشمول (Extensive): أن تكون فقرات الاختبار شاملة لجميع مكونات السلوك الذي نريد قياسه.

أنواع المقاييس والاختبارات النفسية:

1. اختبارات الذكاء والقدرة العقلية العامة Intelligence Tests (IQ): تهدف إلى معرفة درجة ذكاء الفرد ومستوى قدرته العقلية العامة، التي تنعكس على سرعة الفهم والقدرة على التعلم وسرعة إدراك المواقف والمشكلات والقدرة على التكيف، ومن أهمها مقاييس: ستانفورد - بينيه، ووكسلر - بلفيو، والمصفوفات المتتابعة لرافن، والذكاء العام (IQ).

2- اختبارات الاستعدادات والقدرات العقلية الخاصة Aptitudes Tests: تستخدم للتنبؤ بالنجاح الدراسي والنجاح المهني؛ حيث تقيس مدى قدرة الفرد على التعلم أو التدريب والوصول إلى مستوى متقدم في مجال معين، كاختبار الاستعداد الأكاديمي (APT)، واختبار (ثرستون) للقدرات العقلية الذي يقيس القدرات اللغوية والعددية والإدراك المكاني.

3- اختبارات الشخصية Personality Tests: تقيس هذه الاختبارات الجوانب الانفعالية من السلوك كمقياس التوافق الانفعالي ومقاييس السمات، كالخضوع والسيطرة

والانطواء والانبساط، مثل اختبار تحليل الشخصية (MBTI).

4- اختبارات الميول Interest Tests: تقيس هذه الاختبارات مدى إقبال أو تفضيل أو انجذاب الطلبة لنوع معين من الأنشطة أو الموضوعات، وتستخدم في الإرشاد المهني لقدرتها على تحديد ميول الفرد نحو المهنة التي تناسبه، مثل اختباري: (سترونج)، و(كيودر) للميول المهنية، ومقياس اختيار التخصص الجامعي.

5- مقاييس الاتجاهات Attitude Tests: تُستخدم للتنبؤ بالسلوك من أجل تحديد أو تغيير الاتجاهات والمواقف مثل مقياسي: (ليكرت)، و(ثيرستون).

6- اختبارات القيم Values Tests: تهدف إلى قياس القيم المختلفة التي تؤدي إلى توافق الفرد مع نفسه أو مع المجتمع: مثل اختبار مخزون الدافعية والقيم (VMI)، ومقياس قيم العمل.

أصناف الاختبارات النفسية:

1- اختبارات فردية في مقابل اختبارات جماعية: فالاختبارات الفردية يتم تطبيقها في مقابلة شخصية بين المختص والمستجيب؛ من أجل تقديم التعليمات اللازمة، أما الاختبارات الجماعية فتطبق على مجموعة كبيرة من الأفراد في وقت واحد، وتكون تعليماتها واضحة مثل اختبارات التحصيل.

2- اختبارات لفظية في مقابل اختبارات الأداء: فالاختبار اللفظي يعتمد على استخدام الرمز اللفظي، سواء أكان حرفًا أم رقمًا، أما اختبارات الأداء فتتطلب القيام بعمل ما لحل مشكلة معينة، مثل اختبارات القدرات الميكانيكية والهندسية والموسيقية.

3- اختبارات السرعة في مقابل اختبارات القوة: فاختبارات السرعة يكون المطلوب

فيها معرفة أكبر عدد ممكن من الإجابات الصحيحة في زمن معين، بينما اختبارات القوة تهتم بقياس القدرة بغض النظر عن الزمن.

4- اختبارات معرفية في مقابل اختبارات وجدانية: فالاختبارات المعرفية لقياس القدرات العقلية والتحصيل مثل اختبار الاستعداد اللغوي، أما الاختبارات الوجدانية فتقيس سلوك الفرد في المواقف الانفعالية مثل اختبار أنماط الشخصية.

قائمة الاختبارات والمقاييس النفسية للمربي:

تنتشر الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية على نطاق واسع، وتم تحديد أهم الاختبارات التي يمكن للمربين الإفادة منها باستخدامها وتوظيفها في المجال التربوي والتعليمي، وهي مقاييس: المهارات الاجتماعية، فاعلية الذات، المعاملة الوالدية، أنماط التفكير، الدافعية للتعلم، تنظيم الوقت، عادة القراءة، الاتجاه نحو العبادة، غضب المراهقين، إدمان الإنترنت، الذكاءات المتعددة، الموهبة، أنماط الشخصية، تحديد التخصص الجامعي، الميول المهنية، قلق الامتحان، تقدير الذات، التعصب، السلوك العدواني، الذكاء العاطفي، التفكير الابتكاري، الذكاء الوجداني، التنمر، الشخصية القيادية، الحاجات النفسية، الاتجاه نحو الحياة، الصلابة النفسية، المهارات الدراسية، الدافع للإنجاز، الطموح، التواصل... وغيرها.

ما الذي ستضيفه الاختبارات والمقاييس النفسية للمربين؟

استخدام المقاييس والاختبارات النفسية يعد إضافة نوعية وقيمة تنافسية لأيّ مؤسسة تعليمية تتبناها؛ حيث سيعمل على تعزيز الصورة الذهنية للمؤسسة لدى المجتمع، باعتبار هذه المقاييس من الطرق الحديثة التي تقلل من الهدر في الوقت والجهد والتكلفة، وتعمل على ضبط عملية القياس والتقويم.

كما أن تبني المربين للاختبارات والمقاييس النفسية في عملهم التربوي سيحقق لهم نموًّا مهنيًّا وشخصيًّا سريعًا على المدى القصير، فنتائج الاختبارات تُعدّ مؤشرًا لقياس كمية الجهود التي يبذلها المربون في عملهم ونحو طلابهم، كما أنها تقنيات حديثة تسهّل على المربين عملية القياس والتقويم لطلابهم في الوقت المحدد بالخطة.

ومن واقع المسؤولية الملقاة على عاتق المربي؛ فإنه لا يستطيع الاعتماد على الملاحظة الشخصية غير الدقيقة لمعرفة طلابه، وتجنبًا للذاتية والعوامل المؤثرة على عملية القياس، يحتم على المربي اتباع الأسلوب العلمي في الحصول على ما يريد من بيانات عن طلابه، وبالتالي فالمقاييس والاختبارات النفسية تقوم بهذا الدور؛ حيث تقيس بدقة عالية وبجهد أقل مقارنة بالوسائل التقليدية القديمة؛ ما يسهم في زيادة الثقة لدى المربي ورفع مستوى أدائه ورضاه عن عمله وعن المؤسسة التي يعمل فيها، بالإضافة إلى أن مهارات إعداد المقاييس والاختبارات النفسية وتطبيقها وتفسير نتائجها وتوظيفها في المجال التربوي والتعليمي تعد خبرة إضافية ستضاف إلى سجل كل مربٍّ اهتم بها وأتقنها وأبدع فيها، وهذه الخبرة ستمكّن المربي من إجراء البحوث والدراسات الميدانية التي تعتمد بدرجة أساس على المقاييس والاختبارات كأدوات للبحث، سواء في مجال عمله المهني أم عند التحاقه بالدراسات العليا.

أما الطلاب وأولياء أمورهم فسيشعرون بدرجة عالية من الأمان نحو المربين والمؤسسة التعليمية والتربوية، لا سيما عندما يشعرون بأن هذه الاختبارات والمقاييس تسهم في حلّ مشكلاتهم ومساعدتهم في التعرف على قدراتهم واتجاهاتهم وميولهم، واتخاذ قرارات مهمة في حياتهم مثل اختيار التخصص أو المهنة.

أعراض جائحة كورونا على المحاضن التربوية..
كيف نتلافاها؟!

معاوية العايش

كاتب ومدوّن تربوي - الكويت

في شهر رجب من عام 1441هـ الموافق شهر مارس من عام 2020م أُصيب العالم بجائحة كورونا التي أوقفت وعطّلت العالم لعام كامل تقريبًا، وقد تأثر العالم بهذا على جميع الأصعدة، سواءً في المجال الاقتصادي أو التعليمي أو غيرها، ومن أهم الأمور التي توقفت كليًّا أو جزئيًّا- هي المحاضن التربوية والحلقات القرآنية.

وإن كان بعضها قد استمر عبر «وسائل التواصل»، إلا أنه ينبغي عمل رَصْد للآثار التربوية خلال تلك الفترة، والسعي إلى تدارك ما يُمكن اعتباره خسائر لتلك المرحلة بآليات مدروسة، مع العمل على التعامل مع المرحلة التي تلي مرحلة التوقف بطريقة تربوية استثنائية يتم فيها مراعاة هذه المرحلة وظروفها.

وإن كانت الشركات الكبرى تقوم بدراسات طارئة لخسائرها من الجوائح والكوارث؛ فإن مصانع الرجال ومُقوِّمات الفِكْر والعقول «المحاضن التربوية»- أَوْلى بهذه الدراسات.

وفي هذه الورقة أحاول معالجة شيءٍ يسيرٍ من إشكاليات هذه المرحلة، ولعل هذه الورقة تكون بوابة للمتخصصين في هذا الحقل لدراسة وتقييم الواقع مع إيجاد حلول تربوية مدروسة.

الفراغ التربوي والمدخَّلات الجديدة:

مما هو معروف أن المحضن التربوي هو ذلك الطالب وذلك المربي وتلك البيئة التي تتم خلالها العملية التربوية، فإذا نظرنا إلى الواقع التربوي خلال هذه الفترة -فترة التوقف- نجد أن هناك فراغًا تربويًّا كبيرًا قد حصل نتيجة لتوقف البرامج التربوية، ونتيجة لتوقف أهم عملية تربوية وهي المعايشة بين المربي والمتربي.

والإشكال الكبير الذي لا ينبغي التهاون فيه هو الكمية الكبيرة للمُدْخَلات المعرفية الجديدة (مجهولة الحال) التي حصلت للطلاب خلال فترة الفراغ التربوي، وهذه المُدْخَلات الجديدة للطالب هي نتيجةٌ حتميةٌ لتوقف العملية التربوية للمحضن، بالإضافة إلى الفراغ الذي أدى إلى لجوء الطالب إلى مؤثّرين سلبيين أو فارغين على الأقل سواءً على وسائل التواصل أو غيرها.

والخطير في هذه المدْخَلات الجديدة على الطالب؛ أنها جاءت كوجبة دسمة متتابعة خلال عام تقريبًا، لا يكاد يوجد مُعارضٍ لها، وإن وُجِدَ فهو قليلٌ لا يكاد يؤثّر على ما يقابلها من المُدْخَلات الجديدة.

إشكالية العادات الجديدة:

هذه المُدْخَلات المتكررة في فترة وجيزة، هي بيئةٌ خصبةٌ لتكوّن العادات الجديدة لدى المتربي، فيبدأ هنا المتربي بالتأثّر في الواقع الجديد الذي دخل عليه خلال هذه الفترة، وكلُّ متربٍّ سيتأثرُ بالبيئةِ الافتراضيةِ الجديدةِ سواءً كانت بيئة شهوات أو بيئة شبهات، أو بيئة طلب علم.

فيبدأ المتربي بالتأثّر بتلك البيئة حتى يظهر على الطالب شيئًا فشيئًا أثر ذلك التغيّر، سواءً في أخلاقهِ أو تعاملاتهِ أو ديانتهِ، وقد يصل الحال إلى تغيّر بعض القناعات المهمة التي كانت تعتبر هي الأساس في بقائه في المحضن التربوي.

مما ينبغي التنبّه له، أن التغيّرات الطارئة والجديدة على المتربي والتي جاءت كأثرٍ لتلك الفترة، قد لا تظهرُ في البدايةِ بشكلٍ واضحٍ لدى المربي، لكون المربي سيُعاملُ الطالبَ بناءً على آخرِ تحديثٍ خالطهُ فيهِ أي: قبل فترة الانقطاع، إلى أن تبدأ التغيّرات تظهر شيئًا فشيئًا كلٌّ بحسب ما طرأ عليه من تغيّرات سلبيةٍ أو إيجابيةٍ.

التعامل الأمثل للمربي مع مرحلة الاستئناف:

مما لا شك فيه أن المربي يُراوح في أساليبِهِ بحسب الواقع ومستجداته، وحين النظر إلى الواقعِ الحالي بعد هذه الجائحة، نجدُ أن الواقعَ يتطلب من المربي عدةَ أمورٍ على سبيلِ الاستحداثِ أو التأكيدِ، وأهمها التالي:

أولاً: محاولةُ تحديث الخلفيةِ المسبقةِ للمربي حولَ كل طالب، أو ما يمكن تسميته «بإعادة دراسة الحالة»، سواءً في أخلاقه أو التزامه أو قناعاته، أو مستواه العلمي، أو غيرها؛ حيث إن هذه الجائحة -كما قلنا سابقًا- قد أثّرت في حال الكثير إما سلبًا أو إيجابًا، فينبغي عمل إعادة نظرٍ حول تقييمنا للطلاب، وينتج عن هذا: محاولة انتشال من ضَعُفَ التزامهُ، ورَفعُ من حَسُنَ حالهُ.

ثانيًا: السعي للإكثار من المدْخَلات التربوية، ومزاحمة غيرها من المدخلات، والواقع يشهد أن صاحب المدخلات الأكثر هو الذي ينجح في التربية وفي تكوين العادات، فالنجاح الحقيقي في التأثير يكمن في مزاحمة الطالب بالمدخلات التربوية مع مراعاة الجوانب الحاجيّة والضروريّة للمتربي، لِيَكونَ هذا أدعى لقبولِ الطالبِ لتلكَ المدْخَلات، وحتى يؤْثر الطالب المدْخَلات التربوية على غيرها.

ثالثًا: التأكيد على مسألة المعايشة التربوية وإعمالها بصورة يتمكن فيها المربي من انتشال المتربي من المدْخَلات الجديدة التي أثّرت سلبًا عليه، وليكون المربي قادرًا على تنفيذ ما ذُكر

في النقطة الثانية بشكل يتناسب مع الواقع الجديد.

رابعًا: ينبغي للمربي أن يتهيأ للتغيُّر الحاصل للمتربين، سواءً كان هذا التغيُّر سلبًا أو إيجابًا، ونشير هنا إلى أن المربي ينبغي عليه أن يتعامل مع التغيّر السلبي بشكل أكثر لطفًا من السابق؛ وذلك لأن دواعي التغيّر السلبي للطالب كثيرةٌ ومتنوعةٌ خلال تلك الفترة، فينبغي مراعاة هذا الأمر، والسعي لإصلاح هذا التغيّر، واستبعاد طريقة الطرد والتعنيف الشديد خلال هذه الفترة.

وأما عن التغيّر الإيجابي، فينبغي عدم الاستعجال في الحُكم على أصحاب هذا التغيّر، سواءً بالسعي لتصدير هذا المتربي، أو تكليفه أو غيرها، حتى يتأكد المربي من صحة ما ظَهر له من تغيّرات إيجابية لدى ذلك المتربي، ومن رسوخ تلك التغيّرات فيه.

خامسًا: محاولة إصلاح الخلل الناتج من الصراع حول النمط المنزلي الإلكتروني ونمط التفاعل الواقعي مع البيئة الدعوية، فالفترة الآنفة قد رسخت لدى الطالب: النمط المنزلي وتلبية رغبته بالتفاعل مع بيئته بطريقة التفاعل عن بُعد بالوسائل المختلفة بدلاً من الحضور الواقعي للبيئة الدعوية.

ومما لا شك فيه أن هذا النمط هو نمط انسحابي بطريقة غير مباشرة، فينبغي السعي إلى انتشال الطالب من هذا النمط، عبر التواصل معه مباشرة، أو عن طريق مَن يميل لهم من أصدقائه؛ ليتفاعل مباشرة مع المحضن التربوي؛ لأن بقاء الطالب على هذا النمط سيؤدي به إلى الموت البطيء من الوجود في المحضن التربوي.

سادسًا: توقفُ المحضن التَربوي لعامٍ كاملٍ، يعني توقفُ عامٍ كاملٍ من الطُلابِ الجددِ، مما قد يؤثّر في المخرجات النهائية للمحضن التربوي من ناحية الكم، فينبغي مراعاة هذا الأمر والسعي إما بتركيز الجهد على الموجود، أو -إن كان هناك وفرة بالكوادر- بالسعي إلى

استجلاب طلابٍ جددٍ، بطريقةٍ يَدرُسها المحضن لتعويض النقص العددي؛ والغرض هنا هو الإشارة فحسب إلى هذه الثغرة.

سابعًا: السعي الحثيث من المربّين للتأكيد على أهمية صلاة الجماعة وما فيها من الثواب والأجر، والتذكير أن فتوى التوقف عن الجمعة والجماعة كانت للضرورة، وبزوال الضرورة يرجع الحكم إلى ما كان عليه.

إضافة إلى معالجة ما في النفوس من تبريرٍ لعدم حضور الجماعة، والتأكيد على مسألة صلاة الجماعة ليس فقط لكونها فريضة، بل لكون الصلاة أيضًا من مُهذِّبات النفس، فهي ناهيةٌ للعبد عن الفحشاء والمنكر؛ لذلك تتأكد أهمية هذه المسألة.

العاملون في المحضن والجائحة:

مما لا شك فيه أن الانقطاع الحاصل في المحاضن قد تسبب بشيءٍ من الفتور لدَى المربين، بل قد يكون المربي ممن تأثّر سلبًا في تلك الفترة، فلا يَأمن أحدنا الفتنة، فينبغي هنا إلى محاولة استنهاض الهمم وبث الروح في نفوس العاملين، واستحضار وحشد المحركات القرآنية والنبوية لدى العاملين، والتذكير بمسألة الإخلاص فهي من أعظم محركات العمل.

ومما ينبغي للقائمين على المحضن التربوي: السعي لإشاعة الروح الأخوية بين العاملين، والعمل على تنقية الأجواء من الخلافات التي قد تطرأ نتيجة التباعد وقلة الالتقاءات وتوقّف العمل، وهذه من المهام الأساسية للقائمين على المحضن التربوي في احتضان الكوادر ورعايتهم وإزالة ما يُعكّر صفوَ علاقاتهم.

ختامًا.. الغرض من هذه الورقة هو الإشارة السريعة إلى الخلل الحاصل خلال هذه الجائحة؛ والمحاضن التربوية أَوْلى بإعمال دراساتٍ دوريةٍ لما يمكن تسميته بالخسائر أو الأضرار خلال الجوائح والكوارث، ثم السعي لتدارك وتعويض هذه الخسائر وإصلاح ما يمكن إصلاحه.

بناء العقل الناقد..

كيف نحمي أبناءنا من الهجمات المعرفية الشاذة؟!

إسلام أنور المهدي

مؤسس (كايزن) لإنتاج وسائل تنمية المهارات للأطفال

الإعلام -ووسائل التواصل الاجتماعي تحديدًا- بحر تموج فيه الأفكار والمعتقدات، وهي التي تربي أولادنا الآن؛ لأنهم يخوضون بحرها أكثر مما يجلسون معنا، وهي العالم الذي يعيشون فيه على الحقيقة لا عالم الواقع، ولا يمكن حبسهم عنها، لكن واجبنا صناعة السفينة المثلى التي يخوضون بها غمار تلك الأمواج، وتعليمهم ما يصيدون من أسماك ذلك البحر وما يتركون، وهذه السفينة هي سفينة (النقد)، الذي هو في معناه اللغوي تفحُّص الشيء وتمييز جيده من رديئه.

فعلى أيّ شيء ينبني النقد؟! إنه ينبني على معرفة واعية بـ(نموذج الصواب)، وبأشكال هذا النموذج، وفق اختلاف الثقافات التي قد تتباين عن بعضها تباين قراءات القرآن في النطق لا في المفهوم الأساسي، وكذلك معرفة واعية بالشر وطرائقه المختلفة في الدخول إلى النفس، ومن ثَمَّ الظهور في السلوك:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر يقع فيه

فالنقد سفينة نعم، لكنه سفينة حربية مسلّحة، فما هي مجالات التسليح الواجب تزويد سفينة الناشئة بها ليخوضوا غمار هذا البحر؟! دعونا نرى:

1- سلاح الترشيد لا المنع:

ربما يظن المربي أن العزلة عن المجتمعات هي الحل، وأن سحب الأجهزة اللوحية هو العلاج الناجع، لكن (العزلة) وَهْم لا يمكن تطبيقه، ومحاولة تطبيقها تأتي بأضرار أكبر من الاندماج في الواقع كسائر محاولات الجري وراء الأساطير، حتى مجتمع المدينة في عهد النبوة لم يكن منعزلاً، بل كان فيه من كل صنفٍ ولونٍ، فماذا كان العلاج النبوي لواقع الأطياف المتباينة هذا؟! كان سلاح الوعي أو ما نص عليه القرآن أنه (البصيرة) قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[1]؛ فهي: بصيرة بالحق وطريقه، وبصيرة في الباطل وطرائقه، وبصيرة بكيفية العيش بالحق وسط الحق والباطل.

وعليه فإنه يمكننا تقليل ساعات البقاء على وسائل التواصل، سواء باستخدام تطبيقات تغلق اتصال الهاتف بالشبكة بعد ساعات استخدام معينة، أو عبر نظام اتفاق مع الفتى والفتاة، وتنمية لقيمة الأمانة ومراقبة الذات في التزام عدد الساعات المتفق عليه يوميًّا دون زيادة منهم ولا نقصان منا.

لأنه في الحقيقة وسائل التواصل ليست شرًّا كلها، بل هي سلاح ذو حدين، ينبغي لنا استعمالها فيما يرضي الله وينفعنا، فربما تقرأ مقالتي هذه عبر رابط على وسائل التواصل، أو ربما تقرؤها وتنفذ منها إلى صفحات ومواقع أخرى نافعة على الوسيلة نفسها.

فالترشيد انتقاءٌ للخير من بين الشر، وإعطاء وقت متوازن لهذا الاستخدام على كل حال.

2- درع الحوار المفتوح بلا حرج:

القناعات هي أساس السلوك؛ ولذلك فإن الفتى والفتاة والطفل والطفلة لا ينبغي أن

(1) سورة يوسف، آية 108.

تكون علاقتنا معهم أوامر ينبغي عليهم تنفيذها؛ ذلك أن (الأمر) عمره قصير في السلوك، فلو علم الله أن الأمر هو شأن التغيير لأنزل كتبه بلا أنبياء، لكنه -تبارك وتعالى- أنزلها على أنبياء، وأنزل أوامره نجومًا تِباعًا، وجعل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- للحوار والإقناع والتبيين والتفهيم، وكذلك لضرب المثل البشري على الطاعة والعمل.

والحوار هو النقد الجماعي، وهو الدرع الذي يدافع به بعد أن يكون وحده؛ لأنه ينبغي له أن يتعلم الحوار معنا ومع غيرنا، وأن ينقد فكرة وسلوكًا ما معنا، أو مع أقرانه أو حتى مخالفيه؛ فالحوار: تدريب هو الآخر على ملكة النقد جماعيًا والوصول في النهاية للمشتركات للتمسك بها، ومن ثم تمييز الاختلافات للدوران حولها.

فحوارنا مع الطفل على قدر عقله لازم لغرس المفهوم، والذي سيثمر بالتبعية التزامًا بالاتفاق بيننا وبينه على الوقت والانتقاء.

والحوار ينمّي عقل الطفل ويفتح مداركه، وكذلك يُكسب المراهقَ الثقةَ، ويُعينه على نفسه، وهذا درع حماية نفسية قويّ قويم بلا شك، يسهم في تنمية العقل وتوثيق الذات، ونرى في قصة حوار يعقوب مع يوسف -عليهما السلام- حول منام الكواكب، نموذجًا جليلاً جميلاً في ثقة يوسف الطفل أولاً أن يحكي لأبيه، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ﴾[1]، فهو يعلم أن باب الحوار مفتوح على الدوام لأيّ شيء يخطر بباله، ثم نرى جمال النموذج يتألق في التأسيس للسر بينهما قال تعالى: ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾[2]؛ فهذا حوار خاص جدًّا داخل الأسرة، يكون فيه الوالد سرّ ولده، وهكذا ينبغي أن يكون الحوار.

فندير نحن الحوار في عصرنا مثلاً حول خطورة ما يبثه الغرب والشرق، وما يستهدفون

---

(1) سورة يوسف، آية 4.

(2) سورة يوسف، آية 5.

به ديننا، ومدى الاختلاف بين عقائدنا وعقائدهم، ومدى التباعد بين سلوكياتنا في القضايا المختلفة وسلوكياتهم، وكيف ينبغي للمسلم أن يكون متميزًا بدينه في الواقع على وسائل التواصل، فكما أنهم يعلنون دعمهم لقضاياهم؛ ينبغي أن تكون حساباتنا وصفحاتنا وقنواتنا، بل وألعابنا، واضحة الإسلام معلنة أخلاقياته، إذا رآها غير المسلم أصبح بين اختيارين: الأول أن يتعامل معنا باحترام عقائدنا ولا يؤذينا بما يخالفها، والآخر: ألا يتعامل معنا. واختياره حسب تحمله هو للاختلاف ورضاه بالتعاون في الخيرات ليس إلا.

3- وسائل اتصال الصداقة مع الاحترام:

هنا يتجلى نموذج إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- في الملازمة بينهما والمصاحبة ودوام ركوب إبراهيم البراق من الشام إلى مكة ليكون مع ابنه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ ﴾[1]، وإشراك الوالد لولده في الأمور العظيمة قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآ ﴾[2]، وهذا فيه أنها مصاحَبة لم تُلغِ هيبة الابن لأبيه ولا طاعته له، ولم تذهب بما بينهما من الاحترام والتبجيل قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[3]، فما أجمل هذا الاتصال المثمر لكل خير!!

الأب المؤمن الناجح يجعل أولاده أقرب أصحابه إلى نفسه، ويدمجهم في حياته وأعماله، فينجح في نقل المسؤوليات إليهم بسلاسة، أفلا ينجح في الاتفاق معهم على أن تتعامل في كذا ولا تتعامل في كذا؟! تشاهد ذلك ولا تشاهد ذاك؟! أن تقطع صداقتك الافتراضية بهؤلاء ولا تقطعها بأولئك؟! لا بد سينجح؛ لأن الوسيلة هنا المستخدَمة في الطاعة ليست

---

(1) سورة الصافات، آية 102.

(2) سورة البقرة، آية 127.

(3) سورة الصافات، آية 102.

الرهبة ولا الإلزام، ولكنها الاستثمار والتنمية، سيطيعه ولده لأنه يرى النمو في هذه الطاعة، لن يراها حجرًا ولا تضييقًا.

4- الوصايا العملية (الذكريات):

جاوزتُ الأربعين، لكنني أذكر دومًا كلمة واحدة ثابتة كان أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكررها كلما عُرض عليه أمر لا يُرضي الله في شأن العمل أو في شؤون الأسرة، كان يقول: (حرام، شرع ودين ربنا)، وهكذا طوال حياتي كلما وقفتُ أمام اختيار فيه الحلال والحرام أذكر هذه الكلمة تلقائيًّا، بل أرى والدي بخيالي أمامي يجلس جلسته المعهودة جوار النافذة ويقولها في رسوخ! وهذا هو نوع الذكريات الذي ينبغي أن نتركه لأولادنا، يحميهم وهم في خلوتهم لا يراهم إلا الله، فقد قال الله تعالى في الآية: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[1]، حين عصم الله نبيه يوسف من الفاحشة أنه رأى أباه يعقوب ماثلاً أمامه، فهذه الذكرى: ذكرى الأب الصالح والعمل الصالح يعصم الله بها الأبناء في مواقف يكونون فيها وحدهم؛ لأننا نموت ونفنى، وتبقى الأعمال والذكريات.

وهذا بلا شك من آثار قول الله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٩﴾[2]؛ فالقول السديد لا يكون مجرد كلام نكرره على مسامع أولادنا، وإلا ما أسماه الله (سَدِيدًا)؛ فسداد القول أن يكون مسددًا كالسهم يصيب موضعه، وأعني أن الآية تشير إلى أن القول الذي يحفظ الله به الأبناء ليس مجرد (النصيحة) التي نكررها عليهم، ولكنها (القول الفصل) الذي نقوله في موقف، فيعلق في أذهانهم القول بموقفه، فيحاكونه طوال حياتهم وإن كنا نحن قد رحلنا عن الحياة.

(1) سورة يوسف، آية 24.

(2) سورة النساء، آية 9.

فها هو الطفل تأتيه رسالة تطلب منه أن يرى هذه الصورة المخلة، أو تغريه فتاة أن يرى بعض جسدها فيقول دون تفكير: (معاذ الله)، فيغلق المحادثة ويلغي طلب الصداقة، وربما قام عن الجهاز الذي هو بين يديه، أو اندفع ليستمع إلى القرآن أو إلى محاضرة مفيدة، كل هذا لأنه شهد مشهدًا قلنا نحن لله فيه مقالاً، فتربَّى خليفتنا على الرسوخ والثبات أمام الفتن ولو كان وحيدًا بعيدًا كيوسف عليه السلام.

وهذا الباب كله نشأ في ظلال قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، يعظمها بالفعل الذي ينغرس في النفس لا بالقول الذي يذهب أدراج الرياح، فهو إن شهد الذكرى معك تتحرَّى الحلال وتتجنّب الحرام، تتحرّى الحقيقة بعيدًا عن التطرف والتفريط، بل ربما شهدك تصمت عند الأذان، فربما كان صدوح الأذان عند الفجر وهو سهران على الإنترنت يُفيقه من غفلة ربما كانت لتسحبه في أمواج الضلال أو الفاحشة بعيدًا بعيدًا.

5- بناء القدرة على تمييز المصادر الموثوقة:

هنا نبدأ تبعًا لتعظيم شعائر الله، فأول المصادر والمراجع: كتاب الله وسُنة رسوله، أما بعد ذلك فكل ما تابعهما أخذناه، وكل ما خالفهما تركناه، وهذا في كل مسألة مطروحة على الإنترنت وفي الواقع، فطفلك يشاهد في الأنمي والكرتون مشاهد مبهرة لأبطال يقومون بدور آلهة قوية قاهرة، ويشاهد مقاطع أخرى فيها علاقات بين ذكور وإناث، وأخرى فيها علاقات بين إناث وإناث أو ذكور وذكور، كل هذا في مادةٍ الأصلُ فيها أنها موجهة للطفل، لكنهم في الغرب يفتحون أعين أبنائهم مبكرًا، ويدسون ما يخالف الفطرة باكرًا على منوال ما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلُّ مولود يُولد على الفطرة؛ فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو

---

(1) سورة الحج، آية 32.

يمجسّانه)[1]، فهما كذلك يشذّذانه أو يفحّشانه... وهكذا.

ونحن نعلّم أبناءنا أن الصواب ما وافق الله ورسوله، وأن الفساد ما خالف الله ورسوله، فهذا هو الحصن المتين، حتى إنه حصن يواجه الانحراف الفكري والتطرف، فكل فكرة متطرفة أو منحرفة مبنية على قول بشر، انتشر هذا القول وانتشر واعتنقه أتباعه، فهم يقنعون به الناس، خاصة على وسائل التواصل الاجتماعي، ونحن حين نحصّن أبناءنا بأنه (كُلّ يُؤخذ منه ويُردّ عليه إلا رسول الله)؛ فهم في حصن من تفسير منحرف لآية يدسها متطرف، أو تفسير فاسد لحديث يروّجه منحرف، وهكذا، فلا تستصغر عقل طفلك.

فالفطرة طريق لقلوبهم، والبساطة عنوان الحوار، فحتى طفل السنوات الثلاث حين تخاطبه بكل بساطة: (أنا أحب الله؛ لذلك أترك ما في يدي ساعة الأذان لألبّي موعده)، هكذا ببساطة، يظل يفعلها طوال حياته، فإذا شاهد معك الكرتون والأنمي فوجد وجهك محمرًا غضبًا لمشهد لا يجوز، ثم تقول له: إنه عيب لا يرضي الله ولا يناسبنا، وتحوّل القناة إلى كرتون آخر أو أنمي آخر يناسبنا؛ سيفعل مثلك سواء بسواء، والأشبال من الأسود، والزهرات من الفروع الناضرة.

وحتى في الأخبار العلمية والاكتشافات كما في نظرية التطور واكتشاف الحفريات: لقد خلقنا الله يا بني، والله تعالى قال: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾[2]، وفي استكشاف الفضاء وانتظار مخلوقاته: يا بني! حقًّا هناك مخلوقات في الفضاء، ويزوروننا باستمرار هم الملائكة والجن، كذلك يسافرون إلى

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (1385)، ومسلم (2658).

(2) سورة الكهف، آية 51.

الفضاء القريب، وهناك أيضًا في السماء سيدنا عيسى سينزل في آخر الزمان، وهكذا نضع أساسات الحقائق ليحيا بها ويواجه بها كل شيء.

وعمليًّا قبل أن يقرأ يميّز المصدر ذاته وطريقة عرضه، فيجب أن يكون اسم الكاتب واضحًا، ومصادره مذكورة في آخر مقالته، وأين تم نشر هذه المعلومة، ومن قام بإجازتها قبل نشرها، لينشأ ناشئ الفتيان منا على طرائق قبول المعلومات أولاً قبل استيعابها، فلا يقرأ أصلاً أي شيء، بل لا يقرأ ولا يشاهد إلا الثابت السليم.

6- تنمية القدرة على ربط المعلومات بطريقة سليمة:

يكتسب الإنسان القدرة على الربط المنطقي بداهةً من غياب ما يعيق الترابط المنطقي، فالأصل -وهو الفطرة- أن المعلومات السليمة مترابطة بطبعها، يقود بعضها إلى بعض في تسلسل سَلِس، لكن قد يعيق ذلك عوائق مثل: (اضطراب فرط الحركة، وتشتت التركيز والانتباه)، وهذا تسببه وتزيد فيه ألعاب الفيديو وقضاء الساعات أمام الشاشات المضيئة؛ ما يتطلب -كما قلنا في أول واجب- ترشيد استخدام وسائل التواصل، وهنا نزيد ترشيد استخدام الأجهزة المضيئة عمومًا؛ حيث تؤثر مباشرة على الجهاز العصبي، وترفع انتباهه لدرجة مبالغ فيها؛ ما يؤدّي لانهياره، ومن ثَمَّ تشتت الانتباه.

ويمكن إجراء تمرينات (التدريب البصري) لتفادي حدوث ذلك، وتجري هذه التمرينات من عمر يوم واحد وحتى عمر ستة أشهر باستخدام أشكال متباينة بين اللونين الأبيض والأسود، ثم أشكال من ثلاثة ألوان متباينة؛ هي الأبيض والأسود والأحمر، وذلك على مسافات متباعدة من عين الرضيع كلما ازداد في العمر وازدادت قدرته على الإبصار، وكذلك تقنية (الشمعة الحمراء) التي تنقط شمعها المنصهر رويدًا على ورقة بيضاء في غرفة

تامة الإظلام في حالة تأهيل طفل جرى له بالفعل تشتت الانتباه، بالإضافة لكثير من التقنيات الأخرى، لكن المهم هنا أن نراعي (التركيز والانتباه).

ومما يُرَاعَى الربط السليم للمعلومات في ذهن الطفل كأن نمتنع تمامًا عن أساطير الجدات وعن أفلام كرتون المبالغات التي يطير فيها البشر أو يضيئون أو تتكلم فيها الجمادات وهكذا، هذه أشياء تزرع مفاهيم مغلوطة عن المنطق، وتدمر قدرة الطفل على الربط السليم بين ما يراه -سواء على الشاشات أو في الواقع- وبين ما ينبغي أن يفكر فيه ويتخذه من أفعال تجاه ما رآه وسمعه.

وهكذا فنحن في هذا الواجب نتكلم عن (رعاية المنطق وصيانته)، نرعاه ونصونه مما يُدخل عليه اللامنطق والخيال الموغل في البعد عن الحقيقة.

وتقول القاعدة: (الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره)، فلكي يكون حكم الطفل والمراهق سليمًا على ما يراه ويسمعه، وما يرسل إليه عبر وسائل التواصل؛ ينبغي أن يكون تصوره عن الأشياء سليمًا، وما من تصور سليم ينبني على معلومات مغلوطة، ولا تصوّر سليم يمكن تكوينه في ذهن انقلب فيه المنطق وانحرفت فيه البديهة عن مسارها. فينبغي تصحيح التصور لضمان سلامة الحكم.

وختامًا..

فإنه من المعلوم لدى المربين أن الأطفال والمراهقين يأخذون وينفذون كلمات مدرسيهم ومرشديهم الأكاديميين، لكنهم غالبًا لا يأخذون ولا ينفذون كلمات آبائهم، بل يأخذون ويقتفون سلوكهم، فينبغي للأب والأم ألا يُشاهدا ما ينهيان الأطفال عنه، ولا يكون لهما وقت خاص يتابعان فيه مواد مرئية أو مسموعة أو مقروءة يمنعان منها الأطفال والمراهقين،

اللهم إلا إذا كان هذا المنع من باب الترتيب الزمني للتعليم، أو أن المادة التي يتابعونها مثلاً فيها نوع من العنف لا يزال غير مناسب لسن الطفل، لكن الواجب الحتمي ألا يشاهدا شيئًا ممنوعًا منعًا باتًّا كمواد محرمة أو كتابات منحرفة؛ فإنما القدوة أساس التربية.

وعلى كل حال؛ فنحن في زمان تعمّ به بلوى المعلومات المضللة من كل لون وصنف، ونحن نريد لأولادنا النجاح والفلاح في هذا الزمان والمرور إلى الذي يليه، فعلينا تسليحهم بذلك السلاح الذي ذكرت مكوناته في مقالتي تلك، سلاح النقد، عليهم أن يخوضوا بحر المعلومات بسفينة نقد مسلحة تامة التسليح ومدرعة تمام التدريع، فكما علّمناهم التمييز بين ما يأكلون وما لا يأكلون، ما يلبسون وما لا يلبسون، فالواجب الأولى هو: تعليمهم التمييز بين ما يعتنقون وما يرفضون، وبين ما يؤيدون وما يعارضون، فغذاء العقل والروح أخطر ولا شك من غذاء البطون، وما انستر في العقل أقوى إغراءً مما تستره الثياب. وفّق الله الجميع لتربية ذرية تثقل الموازين.

تدريس العقيدة الإسلامية باستخدام مهارات التفكير

(دراسة الحالة - التفكير التحليلي)

د. شفاء الفقيه

أستاذ الحديث المساعد بكلية الشريعة – الجامعة الأردنية

يعتقد كثيرٌ من المعلّمين أنّ تدريس الموضوعات الإيمانية يكفي فيه الاقتصار على تلقين الطّلبة أصول الإيمان وأركانه، دون الدّخول في أيّ تفاصيلَ أو إشكالاتٍ قد تشوّش على المتعلمين، وعلى هذا سار كثيرٌ من المعلّمين والمعلّمات سنينَ طويلةً، بل إنّ كثيرًا منهم لا يفسحون الفرصة أمام أسئلة الطّلبة؛ خشيةَ أنّ تؤدّي إلى إثارة إشكالياتٍ أمام البقية، فيمارسون الاستبداد الفكريّ من حيث يعلمون أو لا يعلمون.

وعوضًا عن لجوء الطّلبة إلى مدرسيهم لفهم القضايا الإيمانية العالقة في أذهانهم، تنتقل المناقشات إلى أروِقة المدارس، وعلى صفحات التّواصل الاجتماعيّ؛ ليتجاذبها الطّلبة فيما بينهم، فتفتح الباب على مِصراعيه لتَبادُل وطرحِ كثيرٍ من الشّبهات والتّساؤلات دون وجود مَن يجيب عنها إجاباتٍ صحيحةً تَشفي غليل السّائلين، فتبقى حبيسة العقول لتؤثّر بعدها على إيمانهم.

تطوير أساليب تدريس العقيدة الإسلامية ضرورةٌ ملحّةٌ:

وما يحدث يؤكّد لِزامًا ضرورة تطوير الوسائل والأساليب التّعليمية في تدريس العقيدة الإسلامية؛ فالوسائل والطّرق المستخدمة حاليًّا في كثيرٍ من المدارس، وحتى الجامعات والمعاهد لا تُملِّك الطّلبة القدرة على مواجهة الشّبهات التي تُثار هنا وهناك، ممّا يُفسِّر

انحراف كثيرٍ من الطّلبة عن جادة الحق والصّواب، وتأثرهم بما يُطرح عليهم من شبهاتٍ.

وحتى ندلّل على كلامنا نوجّه القارئ إلى الدّراسات العلميّة والتّربويّة التي تناولت واقع أساليب تدريس التّربية الإسلاميّة في عددٍ من الدول العربية؛ لنكتشف من خلال عشرات الدّراسات أنّ تفعيل الوسائل التعليمية الحديثة، وتوظيف التّعلم الإلكترونيّ، وتنمية التّفكير ضعيف جدًّا، ولا تكاد تُذكر نسبته مِن قِبَل مدرسي التربية الإسلاميّة.

هذا بالإضافة إلى ما أصبحنا نراه اليوم من انتشار ظاهرة الإلحاد، وتزايدها في مرحلة المراهقة المتأخرة، أو عند دخولهم الجامعات، وادّعاء إنكار وجود الله، والتّباهي بهذا؛ على الرغم من أنّ كثيرًا من هذه الادّعاءات، ليس إلحادًا حقيقيًّا، بقدر ما هي رغبةٌ في الاستقلال، والتّحرّر، والعدوان على المجتمع، وهذا ما يؤكّده التّربويّون.

وينبغي التّنويه هنا إلى أنّ الوسائل التّقليدية القديمة لا تتفق أيضًا مع منهج القرآن الكريم في ترسيخ العقيدة، ومناقشة القضايا الإيمانية؛ فالقرآن اعتمد مبدأ الدّليل في عرض العقيدة، فاستخدم في خطابه أدلّةً عدّةً عرض من خلالها الحقائق الإيمانية، كدليل الفطرة، ودليل الخلق والإبداع، ودليل السّببية، وغيرها من الأدلة التي تخاطب العقل الإنسانيّ، وتقرّه بتساؤلاته، وحقِّه في التّفكُّر؛ ليكون إيمانه مدّعمًا بالأدلة.

ولذا وجب على كل معلّمٍ ومعلّمةٍ إعادة النَّظر في الأساليب المستخدمة في تدريس موضوعات العقيدة من خلال توظيف مهارات التّفكير، التّي تُعزّز الإيمان في نفوس النّاشئة من أجل ترسيخ المعرفة، وتمليكهم الأدوات التي يستطيعون من خلالها مواجهة الكثير من الطّروحات التي تخرج بين الفَينة والأخرى، كدعاوى الإلحاد، والعلمانيّة، وغيرها.

الأساليب التّدريسية القديمة تتعارض مع مراحل النّمو الديني: ولكنَّ إصرار كثيرٍ من المعلّمين على استخدام التّلقين، أو الأساليب التّقليدية التّي تخلو من الحوار والمناقشة

الحقيقية، وإثارة التّفكير، يدلّ على عدم إدراكهم لهذه التّحديات التي بات المراهقون والمراهقات يتعرضون لها عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وغيرها من القنوات الإعلامية، والمنتديات الحوارية، كما أنّ الاستمرار بنفس النّمطية القديمة في طرح العقيدة يدل على تجاهل المربّين والمعلّمين للمتغيرات النّمائية، والاحتياجات المرحلية للطلبة عند تجاوزهم الثانية عشرة من عمرهم، فمن الجدير بالذِّكر أنّ مرحلة المراهقة من سن (13- 17) تمتاز بظهور نمط التّفكير النّاقد، وإعادة تقييم القِيم الدّينية، وظهور الشّكوك، وما هذه الأعراض إلا أعراضٌ وتغيراتٌ طبيعيةٌ للعقل الإنسانيّ، الأمر الذي يُحتّم تغيير أسلوب الطّرح والعرض والمعالجة لقضايا العقيدة حتى يتلاءم ويتّسق مع الاحتياجات الجديدة للمتعلّم؛ لذا وجب على المعلّم والمربّي توظيف أساليب مخاطبة العقل، وتنمية التّفكير التأمليّ، ليصل المُتعلّم إلى تصوّرٍ صحيحٍ لقضايا العقيدة، ويتوصّل بنفسه إلى إجاباتٍ لشكوكه، وحلولٍ لمشكلاته، فتستقرّ نفسه، ويثبت إيمانه.

ما أفضل الأساليب وأنجحها في تدريس العقيدة؟!

سؤال يخطر ببال كثيرٍ من المدرّسين والمدرّسات، وقبل الإجابة عنه ينبغي أن ننوّه على أنّ نجاح المعلّم في تدريس العقيدة يتطلب متابعةً لأهمّ ما يستجدّ على السّاحة الفكرية والتّربوية من قضايا، وموضوعاتٍ، وأفكارٍ عقديةٍ؛ حتى لا يكون المعلّم مُغَيَّبًا عن الواقع ومتغيراته المتسارعة، وهذا يتطلب منه متابعة بعض الأخبار المحليّة والعالميّة، والاطّلاع على بعض المقالات التّربوية القيّمة، بالإضافة إلى القراءة العِلمية المستمرَّة في كتب العقيدة عمومًا، والعناية بالإصدارات الجديدة التي تتناول العديد من الشّبهات والموضوعات المتجددة؛ لأنّ هذا يُملّك المعلِّمَ المعرفة العلميّة اللازمة له لمناقشة أيّ قضيةٍ إيمانيةٍ -قديمةً كانت أو جديدةً-، وبدون هذه القراءة العلميّة فلا جدوى من أيّ طريقةٍ تعليميةٍ يستخدمها المعلّم

إذا لم تترافق مع فهمٍ علميٍّ رصينٍ ومعلوماتٍ متينةٍ.

وبالنّسبة لأنجح الأساليب في تدريس العقيدة فهي تلك الأساليب التي تنمِّي مهارات التّفكير، مثل التّفكير التّحليليّ، والمنطقيّ، والتّأمليّ، والنّاقد، والإبداعيّ عند المتعلّمين، فتكسبهم المهارات التي تُعينهم على المحاكمة، والتّفكير بالمسائل الإيمانية بأسلوبٍ منطقيٍّ عقلانيٍّ؛ للوصول إلى الحقيقة، وتفنيد أيّ شبهةٍ أو إشكالٍ يُعرض عليهم؛ وذلك لأنّ الشّبهات في ازديادٍ كثيرٍ، والأسلوب الصّحيح في مواجهة هذا الأمر هو بتمليك أبنائنا وبناتنا القدرة على التّفكير والنّقد، وتمحيص ما يُقال لهم؛ حتى لا يقعوا فريسةً سهلةً لأيّ مؤثراتٍ يُراد منها سلخهم عن عقيدتهم، وإثارة الشكوك حول دِينهم.

وعليه؛ فإنّ أساليب التّدريس -كالتّعلم النّشط، والتّعاوني، وحتى المباشر- تُصبح أساليبَ مُناسبةً لتدريس العقيدة، إذا حرص المعلّم عند استخدامها على توظيف المصادر التّعليمية المناسبة التي تحتاج إلى عنايةٍ ودقّةٍ في الاختيار، مع مراعاة تنمية التّفكير أثناء إدارة الحوار؛ من خلال طرح الأسئلة التي تنمّي تفكير المُتعلّم، وتدفعه للتّأمل؛ ومن ثمَّ التّحليل، وبعدها النّقد، مع الحرص على ضرورة تجنّب الأسئلة المحدّدة الإجابة؛ لأنها لا تعتمد على مهارات التّفكير العُليا، وإنما تقتصر على تذكّر المتعلّم لما يعرفه مسبقًا.

اختيار المصادر التّعليمية الفعّالة سرُّ النّجاح في تدريس العقيدة:

ويُعدُّ انتقاء المصادر التّعليمية المناسبة سرًّا من أسرار نجاح المُعلّم في تدريس العقيدة، ومصادر التَّعلّم كثيرةٌ جدًّا، يعتمد انتقاؤها على طبيعة الموضوع، والإشكالات المتعلّقة به، وفيما يأتي تذكير ببعضها.

أول مصدرٍ من المصادر التعليمية المهمّة: القرآن الكريم، وبخاصة الآيات القرآنية التي اعتنت بالعقيدة، وبالموضوعات المتعلقة بها، وما يهمّنا هنا: كيفية تعامل المُعلّم مع

النصوص القرآنية؛ إذ ينبغي أن يبدأ المعلِّم نقاشه بطرح التّساؤلات المناسبة حول الآيات الكريمة، خاصة الآيات الكونية التي عرضت لدليل العناية، كما يمكن للمعلِّم أن يدعم هذا بعرض مقطعٍ من فيلمٍ مناسبٍ يتحدث عن بعض دلائل الخلق والوجود.

ويستطيع المعلِّم أيضًا اختيار بعض الأحاديث النّبوية التي تضمنت موضوعاتٍ إيمانيةً معينةً، ثمَّ يقوم بطرح التّساؤلات المتعددة -إمّا شفوية، وإما باستخدام أوراق العمل المناسبة-، مع التأكيد على ضرورة منح المعلِّم للمتعلّم وقتًا مناسبًا للتّفكير بالأسئلة التّي يطرحها عليه؛ ليتعلم كيف يتأمل في النّص الشّرعي، ويُحلّل دلالاته.

وتعدّ قصص الأنبياء، وقصص الدّاخلين في الإسلام من علماء، وأطباء باحثين، وغيرهم مصدرًا غزيرًا بالتّجارب الإيمانية التي تُعين المتعلّم على التّأمل، والتّحليل، والتّفكير حول ما دفع أمثال هؤلاء لدخول الإسلام، والاقتناع بما جاء به.

وعلى سبيل المَثال: فإنّ استخدام أسلوب: (دراسة الحالة)، يتيح للمعلِّم أن يعرض أيّ قصّةٍ إيمانيةٍ، أو تجربةٍ إنسانيةٍ على الطّلبة، ثمّ يطرح التّساؤلات المناسبة، التّي تدفع المتعلّم لتحليل أحداث القصة، والتّفكير بها، والتّأمل بأهم تفاصيلها، ومن ثمَّ مناقشتها.

بالإضافة إلى بعض القصص الفلسفية، مثل: (قصة حيّ بن يقظان) لابن الطّفيل، وهي من القصص التّأملية التي اعتنت بدليل النّظم في الكون، التّي يمكن أن يقرأ المعلِّم بعضًا منها، أو يُكلّف الطّلبة بقراءة شيءٍ من فصولها، ومن ثمّ طرح الأسئلة النّقاشية حولها، وإدارة حوارٍ فعّالٍ ناجحٍ، يعزِّز الأسباب التّي توصل للهداية.

كما تُعد الدّراسات العلميّة، والاجتماعيّة، والتربويّة التّي تتضمن إحصائياتٍ علميةً موثّقةً، مصدرًا مناسبًا يمكن الاستفادة منه في مناقشة أثر العقيدة في تعديل سلوك الأفراد، وصلاح المجتمعات، من خلال توظيف مهارة المقارنة، والتحليل؛ لاكتشاف أثر الإيمان،

ودوره في الحدّ من انتشار الجرائم، وتعاطي المخدرات، وانتشار ظاهرة الانتحار، خاصةً عندما نعلم أنّ أعلى نسبٍ للانتحار هي عند الملحدين، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

وآخر ما ننوّه عليه من مصادر -وهي كثيرةٌ، لا يمكن استيعابها في مقالٍ واحدٍ-: بعض المناظرات العلميّة العقديّة الموجودة على الشّبكة العنكبوتيّة، فيمكن للمعلِّم أن يكلِّف طلبته بمتابعتها، ومناقشة ورقة عملٍ أُعدّت مسبقًا لذلك، أو يعرضها في الغرفة الصفيّة -إن كانت قصيرةً- ويلحقها بمناقشاتٍ علميةٍ هادفةٍ، تعزّز روح البحث والنّقد لدى المتعلّمين.

وأيًّا كانت الوسائل المستخدَمة مِن قِبَل المعلّمين، فإنّ هذه الوسائل تكون فاعلةً إذا انطلق المعلِّم من أهدافٍ واضحةٍ، وأمّا الاستخدام العشوائيّ، وغير المدروس للوسائل والأساليب والمصادر؛ فلن يحقّق الثّمرة المرجوة.

ولذا فإنّ المعلّمين في مجتمعنا العربيّ والإسلاميّ يواجهون اليوم تحدِّياتٍ ليست سهلةً أو هيّنةً، تتطلب الاستعانة بالله، والإخلاص، مع ضرورة اكتساب العلوم والمعارف والمهارات التّي تُمكّنهم من بِناء الإيمان الرّاسخ في نفوس النّاشئة؛ للنّهوض بالمجتمعات، والمحافظة على عقيدتها.

أولاً: أسلوب دراسة الحالة:

يُعدّ أسلوب دراسة الحالة من الأساليب التدريسية المعتمدة عالميًّا في كبرى الجامعات والمؤسسات التعليمية التربوية في مختلف التخصصات الإنسانية والمعرفية؛ لما له من أثر كبير على المتعلم في إكسابه القدرة على التعامل مع الواقع ونقده وتحليله بشكل ينمّي مهارات المتعلم بشكل ملحوظ؛ إذ يعتمد هذا الأسلوب على عرض مواقف أو رسائل أو مشكلات ذات ارتباط بواقع المُتعلّم، أو بطبيعة المحتوى التعليمي المراد تدريسه، وهي في غالبها مواقف مفتوحة النِّهاية تتناول إشكالية ما، لا يشترط أن يصل فيها المتعلمون إلى

قرار واحد أو حلول موحدة، يعاني منها صاحب أو صاحبة الموقف، وتستفز المتعلمين إلى إثارة التساؤلات والمناقشات، فهي -كما يقول الدكتور جودت سعادة- أداة تعليم وتعلّم فعّالة، تُعطي الشخص الذي يُطبقها الفرصةَ للاستفادة من خبرات الآخرين وممارساتهم المتنوعة؛ فهي اختيار لشيء ما مُحدّد من أجل دراسته بعمق.

وحتى ينجح المُعلم في تفعيل هذا الأسلوب من أساليب التعلم النَّشط في تدريس قضايا العقدية الإسلامية وموضوعاتها؛ يتطلب الأمر تهيئة قصص معينة تكون محبوكة بشكل دقيق، مراعيًا ارتباطها بخبرات الطلبة ومرحلتهم النّمائية والموضوع المراد تدريسه، ويمكن كتابتها من خلال الاستفادة من بعض الأخبار أو البيانات الواقعية، وبخاصة تلك التي لها أهمية في المجتمع.

ومعظم موضوعات العقيدة يستطيع المُعلم طرح حالات دراسية حولها من مثل:

- التساؤلات الإيمانية المتعلقة بالأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته؛ إذ يُمكن للمُعلم أن يطرح موقفًا أو قصّة لشاب كان ملتزمًا ثمّ تعرّض لبعض الأسئلة التشكيكية التي أثّرت عليه فدفعته إلى ترك الصلاة، أو لفتاة تعاني من كثرة التساؤلات الإيمانية؛ الأمر الذي دفَعها إلى ترك حجابها نتيجة الكثير من الشكوك التي ساورتها.

- موضوع التوكل على الله، وما يتعلق به من مفاهيم صحيحة وأخرى غير صحيحة، كالتواكل والكسل وعزو التقصير للقدر.

- ظاهرة الغش في البيع والشراء وفي الاختبارات، فيمكن للمعلم أن يطرح موقفًا من الواقع أو قصّة معينة حدثت مع إنسانٍ عانَى فيها من حالات غشّ واستغلال كبيرة، فأثارت نقمته على النّاس وفقد الثّقة بمن حوله... إلخ.

- التَّسليم بالقضاء والقدر، يستطيع المعلم على سبيل المثال أن يطرح قصّة إنسان فقدَ

أحد والديه وما تعرّض له نتيجة صدمة الفقد، وكيف تركت أثرًا على حياته، وبماذا يمكن توجيهه ومساعدته للخروج من الحزن والألم الذي سيطر عليه.

- الإيمان بوجود الجنّ بين الخرافة والحقيقة؛ إذ يستطيع المعلم أن يستعرض موقفًا لفتاة سمعت الكثير من القصص حول عالم الجنّ، فسيطر الأمر على تفكيرها، وتسبّب في إصابتها بحالة من الخوف والقلق.

- التواصل غير المشروع بين الجنسين عبر وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقته بضعف التنشئة الإيمانية.

- التَّهاون في المعاصي وأثرها على الإنسان.

- الرِّياء في الأعمال، وهذا من العناوين الإيمانية المهمة؛ وذلك لأهمية الإخلاص في حياة المسلم، فيمكن للمعلم طرح موقف لشابّ يُحب العمل التطوعي ومساعدة الفقراء والأيتام، ويستعرض كل أعماله عبر وسائل التواصل الاجتماعي ليلقى المديح والثناء.

ويستطيع المُعلم في دراسة الحالة أن يطرح موقفًا ما أو قصّةً افتراضية تَحدُث في الواقع، أو قصّة حقيقية سواء حدثت في العصر الحالي أو في زمان سابق، ثمّ يبدأ بطرح أسئلة متنوعة على هذا الموقف. وفيما يأتي أمثلة على بعض الأسئلة النِّقاشية التي يمكن طرحها على أكثر من حالة دراسية:

- ما المشكلة التي يعاني منها صاحب الموقف؟!

- هل سبق أن مرَّ بك أو بأحد ممّن حولك مثل هذا الموقف؟!

- تعاون مع زميلك للوصول إلى الأسباب التي أدَّت إلى وقوع هذا الأمر.

- برأيك ما الآثار التي قد تحدث عند إهمال هذه المشكلة؟!

- كيف يمكنك تقديم المساعدة لصاحب الموقف؟!

- كيف يُمكن للتربية الإيمانية الصحيحة أن تساعد صاحب الموقف؟! وضِّح إجابتك.

وهذه مجرد تساؤلات مُقترَحة أقدمها للقراء لتقديم تصوّر مبسَّط عمَّا يمكن طرحه على أي حالة يختار المُعلم دراستها.

ومن المهم أن يتنبه المُعلّم إلى ضرورة أن تكون الحالة التي يتم دراستها قضية مهمة حقيقية من الواقع المعاش، أو حدثت في زمن سابق، وهذا يتطلب وجود صياغة تشويقية للحالة تجذب الطلبة.

كما يتطلب أن يكون هناك شخوص رئيسة للحالة يتفاعل الطلبة معها، قد يتعاطفون أو ينتقدون أو ما شابه، ولكن من المهم أن يتفاعلوا مع هذه الشخوص؛ لأنّ هذا مهم في إدارة الموقف التعليمي المرجو تفعيله في أثناء الدرس.

وفي سبيل إثارة النقاش ينبغي أن تكون الحالة التي يتم اختيارها حالة مثيرة للجدل تتطلب مناقشة لفهمها وتوصيفها، وتحليل لأسبابها، واقتراح علاجات وحلول فعَّالة لها.

كما أنّه من المفيد عند مناقشة أيّ حالة من الحالات أن يتأنّى المعلم في حواره مع الطلبة، ويسعى إلى توسيع آفاق التأمل والتفكير عندهم في سبيل استقصاء ما يترتب على هذه الحالة من مشكلات أو تداعيات في حال استمرارها وحصولها، وهذا يُسهم في توسيع أُفق التفكير لدى الطلبة.

ومن المفيد معرفته أنَّ تفعيل أسلوب دراسة الحالة يُكسب الطلبة قدرة على التعامل مع العالم الحقيقي، فالمُعلم يطرح أمامهم مواقف حقيقية من الواقع؛ فيشعر الطلبة من خلال مناقشاتهم وتحاورهم بجدوى تعلمهم وفائدته، وهذا يُسهم في تحسين فهم الطلبة لما يدور

حولهم من مشكلات إيمانية أو سلوكية، وامتلاك القدرة على تحليلها وفهمها، ومعرفة كيفية التّعامل معها، ولذا فأسلوب دراسة الحالة يُكسب المتعلم الفهم العميق للقضايا الإيمانية، ويعزز الإيمان في نفوس المتعلمين، وهذا هدف وجداني مهم، عوضًا عن الاقتصار على حفظ المعلومات مجردة ونسيانها السريع كأيّ معلومات يتلقاها المتعلم.

ولعل من أكثر الفوائد المُتحققة من هذا الأسلوب التدريسي المهم هو أنّ أسلوب دراسة الحالة يتطلب تفعيل مهارات الحوار؛ فالطالب يستمعُ إلى زملائه وإلى تحليلاتهم حول القضايا الإيمانية المطروحة بكل احترام وتقدير، وهذا ما ينبغي أن يُدرب المعلم طلبته عليه، حتى لو كان ما يطرحونه يختلف عمّا يراه هو، فيعتاد على تعدد وجهات النّظر، ويتقبل تنوع طرائق التفكير بين أقرانه، واختلاف نظرتهم للأمور تبعًا لتنوع بيئاتهم ومستوياتهم المعرفية؛ وهذا أمر مطلوب في تعزيز المفاهيم الإيمانية عند المتعلمين؛ لأنّ هذه الطريقة تعتمد بشكل أساس على مهارة التحليل ومهارة التفكير الناقد، وهذه من أهم المهارات التي يلزم اكتسابها من قبل المتعلم؛ ليكون تعلمه حقيقيًّا، فيساعده على التعامل مع ما يواجهه من مواقف وقضايا من خلال اتباع الخطوات العلمية الصحيحة في التعامل مع مثل هذه المواقف.

وهذا من الأسباب التي تجعل هذا الأسلوب من أكثر الأساليب تفعيلاً في العديد من الجامعات الغربية من مثل جامعة بيرمنجهام وهارفارد وستانفورد، وغيرها.

ومن الجيد ذِكْره هنا هو أنّ الطلبة من خلال تطبيقهم لأسلوب دراسة الحالة؛ فإنّ هذا سيدفعهم إلى مزيد من البحث عن معلومات ومعارف ومصادر جديدة للحصول على حلول أخرى، أو تفسيرات جديدة.

فعلى سبيل المثال: مُشكلة الشر ووجود الله تعالى من المشكلات والقضايا الإيمانية التي يتساءل عنها الطلبة كثيرًا، وللوصول إلى إجابات شافية سيتطلب هذا دَفْع الطلبة إلى مزيد

من البحث عن أقوال للعلماء وتفسيرات تردّ على كل تساؤلاتهم المثارة حول هذه القضية الإيمانية المهمة.

ولأجل كل الفوائد التي ذُكرت سابقًا؛ فمن الجميل أن يتنبه المعلمون والمعلمات إلى أهميّة هذا الأسلوب، ويسعى كلّ منهم إلى تفعيله بصورة صحيحة للوصول إلى تعلّم إيماني يعزّز اليقين ويحصّن الطلبة من التيارات التشكيكية التي تسعى لإضعاف الإيمان لدى الناشئة.

ثانيًا: أسلوب التفكير التحليلي:

يُعد التفكير التحليلي نوعًا من أنواع التفكير الذي تُبنَى عليه أنواع أخرى من التفكير كالتفكير الناقد والمركب والإبداعي وحلّ المشكلات، وإتقان المُعلم والمربي لهذا النوع من التفكير أمر يعينه على إتقان بقية أنواع التفكير الأخرى والنجاح في توظيفها؛ وذلك لأنّ التفكير التحليلي يرتكز على تحليل المواقف وتفكيكها إلى عناصرها، وتقصي المعلومات الكافية لكل جزء، حتى يسهل التفكير فيه بشكل مستقل يعين على حل المُشكلات، وتعزيز القيم المرتبطة بالموقف أو بالنّص الذي يتم تحليله.

وهو مهارة يمكن أن يكتسبها المتعلم بالتعلم أو الممارسة أو التدريب، والتي تكسبه القدرة على توليد الأفكار الإبداعية، وهذا أمر يؤكده كبار التربويين والمفكرين من المسلمين كابن سينا وابن عبد البر الأندلسي وابن خلدون، ومن الغربيين من أمثال ديوي وشيفرزمان وروس، وغيرهم.

وقد اتبع القرآن الكريم منهجًا دقيقًا في ترسيخ العقيدة وتناول أركانها، منهجًا لا يصل إليه المتعلم دون التفكير التحليلي؛ فإثبات وجود الله مثلاً من المسائل التي عالجتها العديد من الآيات القرآنية التي تحدثت عن وجود الله تعالى، وتضمَّنت دلائل عدَّة على ذلك من خلال دليل الإبداع ودليل الحدوث ودليل الحركة، ولكن لا يمكن استنباط هذه الأدلة إلا

بعد تحليل الآيات التي تناولت إثبات وجود الله تعالى.

أهمية التفكير التحليلي وعلاقته بتعليم العقيدة:

وارتباط التفكير التحليلي بسائر أنواع التفكير يُظهر أهمية هذا النوع من التفكير، خاصة وأنه يوصّل المتعلم إلى القدرة على مواجهة التحديات والمشكلات، وهذا يؤكد ضرورة إيلائه الاهتمام الصحيح من قِبَل المعلمين والمربين؛ لما له من دور في تعزيز العقيدة في النفوس؛ لأنّه يأخذ بيد الفرد نحو الفهم الصحيح للنّصوص الشرعية، والفهم الصحيح للمواقف والقصص والسير؛ ما يُرسخ في نفس المتعلم المبادئ الإيمانية بشكل لا يجعلها تتزعزع بسهولة.

فعلى سبيل المثال قاعدة (الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره) من القواعد التي تتطلب مهارة التفكير التحليلي والتركيبي؛ إذ لا يمكن الحكم على أمرٍ ما أو مسألة قبل فهمها الفهم الدقيق ومعرفة متعلقاتها، والحكم على الأمور يندرج تحت التفكير المركب الذي يعتمد على تفكيك المسألة أولاً وفهم تفاصيلها، ومن ثَمَّ القدرة على إعطاء الأحكام العامة، وغيرها.

وعليه مثلاً فإنَّ اقتناع المُتعلم ووصوله إلى حِكمة المُشرِّع من تحريم السحر والشعوذة وإتيان الكهّان يرتبط بفهمه للنّصوص الشرعية التي حذَّرت من السحر وبيَّنت حقيقته وحقيقة الخداع الذي يمارسه هؤلاء السحرة؛ ما يُسهم في وضوح التَّصور لديهم حول السحر وحقيقة منافاته للإيمان السليم، ومع إضافة نتائج الدراسات المجتمعية التي تُظْهر مخاطر هذه المسألة على المجتمعات، وتزايد المتعاملين معها، ونسبة الأموال التي تُنفق على السحرة والمشعوذين؛ يغدو تحصين الأفراد من مثل هذه الممارسات أمرًا أجود من مجرد معرفتهم بحكم السحر وتحريمه.

وكذلك فإنّه لا يمكن تناول أيّ مشكلة للعمل على حلها بشكل تقليدي أو إبداعي

ضمن المنهجية العلمية الصحيحة دون تحليلها إلى أسبابها ومظاهرها وآثارها.

فظاهرة الإلحاد -التي بات الشباب يتعرضون إليها- تتطلب وعيًا وفهمًا يبدآن بوصف المشكلة ومعرفة مسبباتها ومظاهر انتشارها، للانتقال بعدها إلى إيجاد الحلول الناجعة والنافعة، والتي تجعل الشباب عونًا للمجتمع على مواجهة هذه الظاهرة التي تهدد المجتمعات الإسلامية.

كما أنّ الوقوف على سمات العقيدة الإسلامية يتطلب الوقوف على الفروق والاختلافات بين العقيدة الإسلامية وسائر المعتقدات الأخرى، وهذا إجراء يتطلب التَّفكير التحليلي الذي يُساعد المُتعلم على تفكيك أيّ موضوع إلى عناصره وأجزائه المكونة له لتبرز سماته، ونقصد بهذا وقوف المتعلم على تلك السمات الدقيقة التي تتمتع بها العقيدة الإسلامية، وتتمايز بها عن سائر الأديان السماوية والبشرية، ليعزز هذا في نفس المتعلم تمسكه بدينه وعدم التفريط به.

وحتى يتحقق هذا التفعيل في مثل هذه الموضوعات الإيمانية وغيرها؛ فإنّه يتطلب اطِّلاعًا علميًّا دقيقًا مِن قِبَل المُعلم على أيّ موضوع عقدي يريد طرحه ومناقشته للطلبة، ولا يكفي هنا فهم المعلم لموضوع ما أو اكتفاؤه بالكتاب المدرسي، وإنّما يجب أن يتوسع المعلم في اطلاعه إلى المراجع العلمية للموضوع؛ حتى يتمكن من تفعيل التفكير التحليلي بصورة ناجحة.

ولتوضيح هذا لنعود إلى مثال سمات العقيدة؛ فحتى ينجح المعلم في تعزيز تمسك المتعلم بعقيدته؛ ينبغي ألا يقتصر على عرض سمات العقيدة الإسلامية بمنأى عن مقارنتها بالعقائد الأخرى، مع أهميّة التعرض عند بيان الفروق وتحليل السمات إلى أثر العقائد على اتباعها، ومدى تحقيق السعادة والطمأنينة في ظلها، الأمر الذي يُسهم في رسوخ إيمان المتعلم بسلامة

العقيدة الإسلامية وتميزها عن سائر العقائد الأخرى، ولذا فإنّ اطلاع المتعلم مثلاً على كتاب مثل كتاب الطبيب موريس بوكاي حول الإنجيل والقرآن والتوراة سيكون له فائدة طيبة.

إنّ فهم المُعلم العميق للنّصوص الشرعية المراد تحليليها أو للمواقف والقصص التي ينبغي الوقوف عليها أمر يسهم في تفعيل التفكير التحليلي، خاصةً إذا كان المعلم صبورًا وله جَلَد على الرجوع إلى المصادر والمراجع العلمية من تفاسير وشروحات وكتب في العقيدة؛ لأنّ هذا يمكّنه من القدرة على طرح تساؤلات فكرية دقيقة تُساهم في دفع المُتعلم للتأمل والتدبر وتحليل المعلومات وآي الذكر الحكيم وأحاديث السنّة النّبوية المُطهرة.

وهذا يُمكّن المعلم من تدريب المتعلم على حل المسائل الشائكة ذات الأهّمية، واكتشاف العلاقات، وإيجاد البراهين ونقدها، ومن ثمّ تمليكه القدرة على صياغة التعميمات والتحقق منها.

ونجاح المعلم في تحليل النّصوص الشرعية أمرٌ مهم يُساعد المتعلّم على فهم المراد من النّص الشرعيّ، ومن ثمَّ استنباط ما تضمّنه النَّص من دلالات وفوائد ترتقي بتفكير المتعلم نحو الإبداع، وتُعينه على إصدار الأحكام، وتوظيف النّص القرآني أو النّبوي في مواقف حياتية متجددة، خاصة إذا تمكّن المعلم من ربط النّص الشرعي بغيره من النّصوص الشرعية الأخرى، سواء من القرآن الكريم أو السنّة النّبوية وبواقع حياة المتعلم، وهذا ما نهدف له من طرح موضوع التفكير بأنواعه، وهو أن يصبح التعلم حاجة مرتبطة بالواقع ترسخ العقيدة وتؤسّس لها بصورة صحيحة قادرة على مواجهة أي موجات تشكيكية أو مغالطات عقائدية.

وحتى يتم تفعيل التفكير التحليلي بصورة صحيحة ينبغي مراعاة أن تكون الأسئلة متدرجة، تبدأ بالمعلوم وتنتقل بالمتعلم إلى المجهول، وأن تكون سليمة من حيث اللغة،

واضحة من حيث المطلوب، وأن تكون دقيقة تدفع المتعلم للتفكير والتفتيش حتى تُكسب المتعلم مهارة تحليل الأمور، وأن يمنح المتعلم وقتًا كافيًا للتفكير والتأمل.

فالتحليل عادةً يعتمد على تفكيك النّص إلى عناصره، واستخلاص ما فيه من أفكار دلّت عليه، وربطه بغيره، فآيات القرآن الكريم والأحاديث النَّبوية وقصص الأنبياء والسيرة النّبوية، والقصائد الشعرية والقصص الفلسفية وقصص الهداية؛ مصادر لا يُمكن الإفادة منها بشكل صحيح دون توظيف التفكير التحليلي للخروج بنتائج وروابط وعلاقات ثرية.

ويذكّر التربوي محمد هاشم ريان بأنّ (الهدف من التحليل هو تمكين الطالب من أن يعيش جو النّص وروحه الذي قِيلَ فيه من خلال تفكيره في هذه النّصوص وتحليلها والوقوف على معانيها ودلالاتها، فهي تنمِّي قُدرة المتعلم على النّقد والموازنة، وتدفعه إلى البحث والاستقصاء).

أمثلة تحليلية:

فعلى سبيل المثال: حديث جبريل عليه السلام حول الإيمان والاسلام والإحسان يتطلب تحليلاً عميقًا، ويَلزم المُعلم التنبه إلى ضرورة تفادي الطرح السطحي من خلال تحليل الحديث إلى الموضوعات التي يتضمنها، ومن ثَمَّ استنباط ما فيه من قضايا، وربط الحديث بالآيات القرآنية التي تطرقت إلى ذكر الإسلام والإيمان، ثمّ بيان العلاقة بين الإيمان والإسلام، وأثر هذا الفهم في الرد على بعض الفرق التي حادت عن جادة الصواب.

ولذا فثمّة أمور مهمة ينبغي التنبّه إليها عند تفعيل هذا النوع من التفكير؛ وهي: معرفة متى نتوقف عن التحليل خاصة إذا لم يكن هناك إضافة معرفية جديدة، فلا حاجة عندها للاستمرار، وكذلك مراعاة عدم الاستغراق في التفاصيل الكثيرة على حساب القضايا الأكثر أهمية، وهذه أمور يُقَدِّرها المعلم بحسب الموضوع الذي يتم تناوله.

فمثلاً موضوع الأسماء والصفات من الموضوعات العقدية المهمة التي ينبغي التطرق إليها؛ لما لها من أثر على معرفة الله تعالى وترسيخ الإيمان، ولكن لا ينبغي الاستغراق فيها إلى حد التكلّف وإقحام الطلبة في بعض الأمور الخلافية التي قد تؤثر سلبًا عليهم، خاصة في المراحل التعليمية المدرسية التي يُنصح فيها بتجنيبهم مثل هذه الخلافات العقدية.

وبالنسبة للقصَّة كمصدر معرفي فلنأخذ على سبيل المثال قصص الأنبياء، التي تُعدّ مصدرًا مهمًّا في مجال العقيدة؛ لتقديمها نماذج واقعية سابقة حدثت بين الرسل وأقوامهم، فلو أردنا مثلاً تحليل قصّة هود عليه السلام فسيكون من المناسب تحليل الآيات القرآنية التي تناولت أحداث القصّة؛ فتتبين الظروف المكانية والزمانية والاجتماعية والاقتصادية لقوم هود عليه السلام، ثمّ الوقوف على الأساليب الدعوية ومعيقات الهداية وموقف عاد قوم هود من نبيّهم، وأسباب رفضهم اتّباع دعوته، ومن ثَمَّ عاقبتهم. ويمكن للمعلم أن يعقد بعدها مقارنةً بين قصّة هود وما فيها من أحداث بقصة أيّ نبي آخر أو بقصّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف.

ومن القصص الفلسفية التي يمكن أن يفيد منها المُتعلم قصّة (حي بن يقظان) التي كتبها الفيلسوف ابن الطفيل (توفي 581هـ)، وهي قصّة ثرية بمحتواها الإيماني التأملي، والتي يستطيع المُعلم أن يقف على أيّ نص تأملي فيها ويُنشئ عليه بعض الأسئلة التحليلية التي تُسهم في معايشة المتعلم لجوّ القصة وأحداثها، مع الحرص على ربطها بالآيات القرآنية والأحاديث النّبوية التي تناولت الموضوع نفسه الذي تطرحه الفقرة التي اختارها المُعلم، ومن ثمّ تكليف الطالب بمحاولة الإجابة عن التساؤلات الإيمانية التأملية التي تضمنتها القصّة؛ ما يُسهِمُ في تنمية التفكير التحليلي والمنطقي.

وما ينطبق على قصّة حي بن يقظان ينطبق على قصص الصحابة -رضي الله عنهم- كقصّة إسلام سلمان الفارسي الباحث عن الحقيقة، وغيرها من قصص الهدايات للكثير

من الأشخاص مِمَّن مروا ببعض الأحداث والمواقف التي كانت سببًا في إيمانهم، من مثل الطبيب الفرنسي موريس بوكاي، والبروفيسور جفري لانغ، والقس السابق يوسف إستيس، والسياسي الهولندي أرنود فان دورن وغيرهم، ويمكن كذلك الاستفادة من بعض البرامج الخاصة بالداخلين الجدد في الإسلام كبرنامج (بالقرآن اهتديت جـ1 وجـ2) لفهد الكندري، وتصميم أسئلة تُحلل هذه القصص.

وفيما يأتي نموذج لأسئلة تحليلية مُقترحة يُمكن طرحها حول هذه القصص:

- تحدث عن الظروف التي عاشتها الشخصية قبل دخولها في الإسلام.
- اذكر الأسباب التي دفعت الشخصية للبحث عن الحقيقة.
- ما العوامل التي شجّعت الشخصية على اعتناق الإسلام؟!
- استخلص أهم المُعيقات التي واجهتها الشخصية في رحلتها لاعتناق الإسلام.
- صف أهم التغيرات التي طرأت على الشخصية بعد دخولها الإسلام.
- ما أكثر شيء أعجبك في أحداث القصّة التي اطلعت عليها؟!

وتفعيل التفكير التحليلي يمكن أن يكون ضمن التعلم المباشر أو من خلال استخدام أوراق العمل والتعلم التعاوني والتعلم النشط، ومبدأ الاختيار يعتمد على ما يراه المعلم مناسبًا وأكثر جدوى للمتعلم بما يتناسب مع الزمن المتاح وطبيعة الموضوع.

وختامًا: فإنّ التفكير التحليلي وتفعيله بشكل صحيح؛ من خلال التخطيط الصحيح والتصميم المناسب للمواقف التعليمية؛ يُتيح المجال للمُعلم لطرح الكثير من موضوعات العقيدة بشكل فاعل ومؤثر يُسهِم في ترسيخ العقيدة والأسس الإيمانية في نفوس النشء.

الكوكايين البصري..
الإباحية والتحدّي التربوي الكبير

د. صالحة خطاب

أستاذ مساعد علم النفس التربوي – الأردن

التربية مسؤولية عظيمة وأمانة كبيرة تتطلب وعيًا وفهمًا ومتابعةً مِن قِبَل المربين لكل جديد؛ فالتغيرات والتحولات في بنية الجيل المعرفية والقيمية والسلوكية سريعة وعميقة وخطيرة، فقد أصبح الجيل في مرمى نيران أعداء القيم والأخلاق والفضيلة في زمن أصبح العالم فيه قرية صغيرة بفعل تقنية تبادل المعلومات (الإنترنت)، وأصبحت المواد الإعلامية الموجهة للجيل بما تحمل من فكر ضالّ أو سلوك منحرف يدعو للإباحية تضخ بكمٍّ هائل وبشكل جاذب وبالمجان.

الإباحية.. أزمة صحية عامة:

خطورة الإباحية ليست في الناحية الأخلاقية والدينية فحسب؛ بل الأمر يتعدى ذلك بكثير، ولنعلم أن الغرب –وهو مُنتِج الإباحية ومموّلها ومالك اقتصادها– قد تنبَّه لهذا الأمر ودقَّ ناقوس الخطر على اعتبار أن الإباحية أصبحت خطرًا يهدّد الإنسان والمجتمعات، فقامت الدراسات والأبحاث العلمية حول خطورتها على الدماغ الإنساني، وعلى التكوين النفسي للفرد، وعلى العلاقات الاجتماعية والأسرية، بل وعلى الحياة.

وانطلقت مبادرات من العديد من المؤسسات العلمية ومؤسسات المجتمع المدني لمواجهة هذا الخطر الدائم، بل وسنَّت قوانين للسيطرة عليها والتنديد بها، كان آخرها في

6 مايو 2019م؛ حيث صوَّت الجمهوريون في مجلس الشيوخ عن ولاية أريزونا للتنديد بالمواد الإباحية باعتبارها «أزمة صحية عامة»، كما أُعلِنت ولاية «مونتانا» الأمريكية الولاية الثالثة عشرة التي تعتبر الإباحية «مشكلة صحية عامة».

وأشارت وكالة رويترز في 26/ 4/ 2019م أنه وبسبب القوانين الخاصة بمحاربة الاتجار بالجنس التي أقرَّها الكونجرس قبل عام؛ فقد أعلن موقع إلكتروني جنسي شهير هذا الأسبوع إغلاق خدماته في الولايات المتحدة الأمريكية. وأعلنت بريطانيا أنه في أيلول من عام 2019م لن يكون بإمكان من هم دون ثمانية عشر عامًا الدخول للمواقع الإباحية، وأن الدخول سيكون من خلال الرقم الوطني.

أما في عالمنا العربي فالواقع أننا بعيدون عن الإحساس بهذه المشكلة، مع أن أرقام استهلاك المواد الإباحية في عالمنا العربية مذهلة على صعيد الذكور والإناث.

وبعد البحث سنجد أن كثيرًا من المشكلات النفسية والزواجية والأسرية والاجتماعية والمهنية، وحتى السلوكيات الإجرامية ستفسرها لنا الإباحية.

الكوكايين البصري... المخدر الجديد:

المفاجأة في بحوث إدمان الإباحية أن المحتوى الإباحي تأثيره على الدماغ الإنساني كتأثير المخدرات بل أخطر؛ فمن خلال دراسة قامت بها الباحثة آن مور في جامعة كامبردج قامت بمقارنة أدمغة المدمنين على مشاهدة الإباحية ومدمني المخدرات من خلال تقنية FMRI الرنين المغناطيسي الوظيفي، وجدت أن الدماغين يخضعان لتغيرات كيميائية عميقة، سواء كان أثناء المشاهدة للإباحية أو تناول المخدر، مقارنة بأدمغة غير المدمنين.

تتضاعف خطورة الإدمان على مشاهدة الإباحية كلما تعرض الفرد لها في سن مبكر بسبب مرونة الدماغ عند الطفل والمراهق، هذه المرونة تجعل الإدمان أسهل؛ حيث يكون

الدماغ قابلاً لتشكيل عادات سلوكية وأفعال قهرية إدمانية مرتبطة بمشاهدة الإباحية.

إن مشاهدة مقطع في الطفولة أو المراهقة كفيلٌ بإحداث عاصفة من «الدوبامين» في الدماغ، والدوبامين هو الناقل العصبي الذي يُبقينا على الحياة، فهو الذي يمنحنا الدافع للقيام بشيء، وبالتالي الشعور بالمتعة مثل الطعام والشراب والدفء والجنس، وغيرها، كما أنه يخزّن الذكريات المتعلقة بخبرة الإشباع؛ ما يعزّز أداءَه، ويطلب المزيد من المثيرات التي تدفعه للإشباع.

يخبرنا مدمنو المخدرات ومدمنو الإباحية أن التجربة الأولى -التي تحفر في الذاكرة- تدفعه لتجارب كثيرة لاستجلاب إحساس اللذة والنشوة الأولى التي حدثت معه بعد تلك العاصفة الدوبامينية الأولى، فيحرص على المشاهدة مرات ومرات، بل ويصل به الأمر البحث عن مستويات أعلى من اللذة والمتعة، فلم تعد المشاهدات العادية كافية لاستجلاب الدوبامين بمستويات كافية لحدوث اللذة التي يطمح لها، تمامًا كما المخدرات؛ حيث يبحث مدمن المخدرات عن مخدّر أقوى؛ فبعد الحبوب تأتي البودرة ثم الحقن... وهذا ما يسمى بالتصعيد.

مخدّر في كل مكان:

تعد الإباحية جاذبة للأطفال والمراهقين لأسباب ثلاثة:

1. الوصول إليها متاح وسهل، وتصل للمستخدمين من خلال الإعلانات.

2. غير مكلفة؛ ففي إحصائية عام (2010م) يوجد 42.330 موقعًا إباحيًّا، 90٪ منها مواقع مجانية.

3. وأخيرًا المجهولية؛ أي تُشاهد سرًّا، ولا يمكن لأحد أن يدري عنه شيئًا.

إن إعطاء الطفل أو المراهق جهازًا نقّالاً دون حسيب أو رقيب، كمن يعطي ابنه أكياسًا من الهيروين، ولا يأبه للعواقب. هواتف نقالة وأجهزة حاسب في كل زاوية في البيت يعني مخدرات في كل مكان.

خطورة الإباحية:

كما أسلفنا: لقد تم إعلان الإباحية أزمة صحية عامة في العديد من الولايات الأمريكية؛ لآثارها الخطيرة على الفرد والمجتمع؛ ونجمل أهم آثارها بالآتي:

1- الإدمان: إن أثر مشاهدة واحدة للأطفال والمراهقين كفيلة بحثّهم على البحث مرة أخرى لمشاهدة جديدة؛ لتحقيق ذاك الشعور بالمتعة التي حدثت نتيجة عاصفة الدوبامين الأولى في الدماغ، والتي جلبت لهم المتعة من خلال المورفين الذي يفرزه الدماغ بعد المشاهدة.

2- ضعف الذاكرة وقلة التركيز، وضعف القدرة على اتخاذ قرارات صائبة وحل المشكلات وفقدان البصيرة؛ وذلك لأن القشرة الدماغية الأمامية المسؤولة عن التفكير واتخاذ القرارات وحل المشكلات تتضرر بفعل سيطرة الدماغ العاطفي في مركز الدماغ، والذي يقوى بفعل عاصفة الدوبامين التي يتلقاها الدماغ أثناء المشاهدة؛ لذا تضعف البصيرة والاستبصار والقدرة على اتخاذ القرار.

3- العجز الجنسي والأمراض الجنسية المختلفة، وخصوصًا أن الإباحية ترتبط بممارسة العادة السرية.

4- الانطواء والعزلة عن الناس، وعدم الرغبة بمشاركتهم لاعتبارات عديدة: منها شعوره بالخجل من نفسه، ونظرته للناس تصبح مختلفة؛ فهم أشياء وليسوا بشرًا.

5- تراجع أكاديمي، وتراجع مهني واجتماعي.

6- تدهور نفسي؛ حيث الشعور المستمر بالقلق والأرق، والإرهاق، وقلة النوم، والعصبية، والعدوانية، والاكتئاب الذي يقود في بعض الحالات للانتحار.

7- زيادة نسبة الاغتصاب وزنا المحارم في المجتمع؛ حيث أخبرتنا الدراسات أن هناك ارتباطًا بين جرائم الاغتصاب ومشاهدة الإباحية بنسبة عالية.

8- زيادة نِسَب الطلاق والخيانة الزوجية؛ فالمدمن تتأثر علاقته الحميمية بالزوجة؛ ما ينعكس على استقرار الأسرة.

خطورة الإباحية على الطفل والمراهق:

تعتبر الإباحية مخدرًا للجروح النفسية؛ فالمدمن يلجأ لها في أزماته وإخفاقاته مع الناس ومع نفسه؛ بسبب سيطرة العواطف وضعف البصيرة حتى يرتاح. دوبامين كثير، مشاهدة ثم تفريغ شهوة وإحساس بالراحة والمتعة.

يمر المراهق في مرحلة المراهقة بحالة زاخرة من التغيرات الهرمونية، التي تنعكس على حياته الانفعالية والاجتماعية والنفسية، وهو في مرحلة تشكل هويته، من أنا؟ ومن أكون؟ وماذا أريد؟

وكثيرًا ما يحدث ضعف في التواصل مع المراهق؛ لعدم قدرة المربي على التواؤم مع تغيرات المراهق النمائية؛ ما قد يشكّل ضغطًا كبيرًا على المراهق، فإن كان المراهق يشاهد الإباحية فستكون مهربًا له لمداواة جروح روحه وندباته النفسية كلما واجهته مشكلات.

هل الحل أن نقول له: توقف؟!

من الصعب أن نقول لمدمن «توقف» أو «كُفَّ عن هذا»، فقد تشكَّلت مسارات عصبية

عميقة في دماغه تعزّز تعلمه لعادات إدمانه، ولا يكون الحل إلا بكسر دائرة المكافأة في الدماغ، وتشكيل مسارات عصبية جديدة، وتعلم عادات جديدة ضمن برنامج تعافٍ ممنهج ومدروس.

ما دور المربين؟!

إن احتمالية التعرض للمواد الإباحية أصبح كبيرًا؛ لذا أصبح دور المربين -آباء وأمهات، معلمين ومرشدين، وعاظًا وشيوخًا- في هذا الصدد صعبًا، ويحتاج وعيًا بالدور المنوط بهم بشكل أكبر.

يأخذ دور المربين منحيين: منحًى وقائيًّا، وآخر علاجيًّا. أما المنحى الوقائي فيتمثل بالآتي:

1- الاهتمام بالبناء العقدي والإيماني، وتعزيز مراقبة الله لدى الأطفال والمراهقين.

2- زيادة وعي العاملين في المجال التربوي والدعوي، وكذلك زيادة وعي الأطفال والمراهقين بهذا الخطر الداهم، وتزويدهم بوسائل لمواجهته.

3- توعية أولياء الأمور بهذه الأزمة الأخلاقية والإيمانية والصحية، وإطلاعهم على أهمية دورهم التربوي والرقابي والتوجيهي.

4- ضرورة الاستعانة ببرامج الحجب لهذه المواقع؛ فهي كثيرة ومتعددة ومتاحة.

5- توعية الأهل بضرورة وضع حدود لاستخدام الجوال والحاسب، والاتفاق على شروط وتعليمات الاستخدام؛ فتُحدد عدد الساعات، وتُمنع العزلة أثناء استخدام الجوال أو الحاسب وما شابه.

6- توعية الأطفال والمراهقين بخطورة هذا النوع من المشاهدات، وكيفية التعامل مع

المشاهد فيما لو تعرَّض لها.

7- تخيُّر رفقة طيبة للأبناء، وبيئة صالحة ينمون فيها بعد دراسة للمحيط دراسة ممحصة؛ فليس كل ولد لرجل صالح صالحًا بالضرورة.

8- مدّ جسور الثقة والحب للطفل والمراهق، واستيعابهم واستيعاب متطلباتهم النمائية والاستجابة لها.

9- الفراغ مفسدة؛ لذا يجب إشغال الأبناء بالأنشطة الذهنية والجسدية والاجتماعية والروحية والتطوعية، ومشاركتهم فيها.

10- الانتباه لكل الإشارات الدالة على حالة الانخراط بالإدمان؛ مثل: العزلة لفترات زمنية طويلة، عدم الرغبة بأيّ نشاط، التأخر الأكاديمي والفشل الدراسي، العصبية والطيش، القلق، قلة النوم، الاكتئاب... إلخ. كلما كان التدخل مبكرًا كان العلاج أسهل وأيسر.

أما المنحى العلاجي فيتوجب إقناع المدمن بأنه يعاني من مشكلة أولاً، ثم تأتي بعدها عملية إحالة الحالة لمختصين لمعالجة الإدمان، تمامًا مثل المخدرات.

واعي.. AWARE:

من الكيانات الواعدة التي تبذل جهدًا موفقًا في هذا المضمار فريق (واعي)[1]، الذي شُكِّل تحت شعار «اكتشف نفسك بدون إباحية» بقيادة الدكتور محمد عبد الجواد؛ وذلك لمجابهة خطر الإباحية الداهم، وهو أول فريق عربي تنبّه للخطر، وقدم جهدًا عربيًّا مسلمًا مبرورًا امتد عبر اثنتي عشرة دولة عربية وإسلامية وغربية؛ حيث أدرك مؤسّس الفريق أنه لمواجهة

(1) الصفحة الرئيسية على الفيبسوك: https://www.facebook.com/wa3i.org/

الإباحية لا بد من العمل لإعداد علمي متخصص للكوادر التي ستواجه خطر الإباحية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وعلى درجة عالية من الكفاءة للعمل في مجالات التوعية والتثقيف وتقديم الخدمات العلاجية، وتحت شروط أمن المعلومات وسرية الحالات.

وتتمثل رؤية فريق «واعي» في «إنشاء مجتمع واعٍ بمخاطر الإباحية، ومساعدة الأشخاص لاكتشاف إمكاناتهم بدون إباحية»، أما الرسالة فهي: «تعزيز المسؤولية الفردية والمجتمعية والحكومية لمنع والحدّ من استخدام الإباحية». أما وسائله فهي برامج متكاملة، تدريبية وتثقيفية وعلاجية على جميع مواقع التواصل الاجتماعي لمواجهة خطر الإباحية.

ختامًا..

لا بد من وقفة جادة واهتمام مدروس لمواجهة هذا السُّمّ الذي تسلل إلى عقول وقلوب شبابنا وبناتنا دون أن نشعر أو ندري، ليأخذهم بعيدًا عن جمال الحياة المتمثّل بالحركة الجادة الواعية الفاعلة والمؤثرة فيها، بعيدًا عن جمال القِيَم والأخلاق التي تزين المجتمعات المتحضرة، بل بعيدًا عن هدف الحياة التي أرادها الله لنا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1].

كما لا بد من دعم كل مبادرة خيرٍ، وكل عزيمة رشدٍ تأخذ على عاتقها إنقاذ الأُمَّة من الانحدار في الهاوية، فوسائلنا البسيطة لم تعد تُجدِي لمواجهة الطوفان.

(1) سورة الذاريات، آية: 56.

أهم مشكلات الأطفال الموهوبين..

وكيف نتجاوزها؟

تيسير حرك

عضو مؤسس في حركة التعليم المرن التطوعية لدعم التعليم المنزلي

تحتاج الأمة دومًا إلى النوابغ والأفذاذ الذين يمكنهم حلّ مشكلاتها وتحقيق آمالها وطموحاتها؛ بتوظيف ملكاتهم ومواهبهم في أماكنها الصحيحة. ولعل من أهم أمانات المربي أن يكتشف هؤلاء العباقرة منذ صغرهم ويرعاهم بشكل مدروس؛ لكي ينضجوا دون عيوب فادحة أو إهدار لما يمكنهم تحقيقه.

وقد عُنِيَتْ الأمم شرقًا وغربًا بالتنقيب عن هؤلاء الأطفال النابغين ورعايتهم، والعمل على تجنُّب أي عوائق تَحُول دون إطلاقهم العنان لقدراتهم، وكان هذا موضوعًا للعديد من الأبحاث العلمية الحديثة التي أنفق عليها الملايين، والتي آنَ الأوان أن نفيد نحن من نتائجها وتوظيفها لخدمة الأمة والنهوض بها.

إن من العوامل الأساسية التي تؤدي لإهدار مواهب النابغين وعدم الإفادة منها هو عدم الوعي بمدى حساسية وهشاشة النابغين في فترة النمو خصيصًا، واختلافهم عن أقرانهم في العديد من الأمور، وخصوصًا في فهمهم للواقع من حولهم؛ ما يسهل عليهم الانزلاق إلى اللامبالاة أو الإحباط أو التكاسل، فالنابغة بين أقرانه كالشمعة بجوار الجمرات، يتقد ويبرز ويضيء أكثر، ولكنه أيضًا معرَّض للخمود السريع إذا أُهمل في مهبّ الريح. وهذا التشبيه ليس أسلوبًا أدبيًّا، ولكنه معبّر عن نتائج الأبحاث العلمية في دراسة

النوابغ والمشكلات التي يتعرّضون لها في خلال نموهم.

يهدف هذا المقال إلى طرح عدة معالم أساسية لعقلية النابغة الصغير، مع التنبيه على المشكلات الكامنة التي تنشأ عند التعامل بطريقة غير سليمة مع هذه الطاقة المتفجرة، فإما أن تحصل على ضعف العائد مقارنة بالطفل العادي، أو تكون خسارتك في الغالب ضعف الخسارة، والمشكلات أضخم بكثير مما يمكن احتماله. وإليكم هذه الملامح الأساسية من عقليته:

أولاً: سرعة الاستيعاب:

يمتاز النابغة بسرعة في فهم ما يطرح عليه، وهو يقدر على ربطه بغيره من المعلومات بشكل أسهل من الآخرين؛ ما يجعله يرى الصورة المتكاملة واضحة وبدون الحاجة لكثير من الشرح. قد يحتاج النابغة إلى المزيد من المساءلة أو النقاش، وخصوصًا للحالات الخاصة التي تخالف المعتاد لما تشرحه، سواء أكان فقهًا أم لغة أم أي علم آخر.

مكمن المشكلة: هذه المزية في حق النابغة تنقلب إلى قيد وعائق أمامه، فهو مرتبط بمن حوله من الطلبة في سرعة الشرح والعرض، ومقيد بمحتوى الدرس عن التعمق في نقطة تثير اهتمامه أو فيها ما يجعله فضوليًّا، وهو أيضًا مقيد بقدرة المربي على تقديم محتوى عميق وثري وإشباع نهمه للمعرفة.

ومع الأسف قلما تتيح الظروف للنابغة أن يقوم على تربيته شخص قادر على توفير المعلومات والأفكار والتحديات بمعدل مناسب لقدرته؛ ما يقلب هذه النعمة إلى مصدر للملل والخمول وعدم الاهتمام بالاجتهاد في طلب العلم.

الحلول المقترحة: على المربي المسؤول عن طفل نابغة أن يعلم أنه يتحمل مسؤولية ومهمة أصعب من المعتاد، وعليه أن يكون جاهزًا دومًا لتلقّي أسئلة قد لا يعرف إجابتها،

وألا يخجل من الاعتراف بعدم علمه، بل يكون قدوة للنابغة في الفضول الصحي والشغف للتعلم، وعليه أن يفكر كيف يمكنه توجيه النابغة ومساعدته لمزيد من التعمق، كما عليه أن يخصص جانبًا من إدارة الجلسة التربوية لتوفير ما يشغل النابغة في أوقات انتظاره لباقي أقرانه بدلاً من تركه للملل واختبار صبره مرة بعد مرة.

ثانيًا: التفوق اللغوي:

عادة ما يكون النابغة متفوقًا لغويًّا، لديه حجة وبيان، ويمكنه التدليل على رأيه والدفاع عنه وطرح الحجج والتشبيهات والأمثلة التي تقنع بوجهة نظره، وغالبًا ما يمكنه أن يستخدم لغة أكثر صعوبة وتعقيدًا من أقرانه، كما أن لديه من الخيال ما يمكنه من النظر إلى المواقف المحتملة والافتراضية في أي موقف أو نتيجة لأي قرار، وكثيرًا ما يكون توقُّعه صحيحًا أيضًا؛ ما قد يدفع المعلم إلى وضع مزيد من الاهتمام لرأيه مرة بعد مرة.

مكمن المشكلة: هذه القوة اللغوية الفائقة قد تتحول أيضًا إلى عائق أمام المربي في تسيير الجلسة أو مسار تعليم النابغة، فهناك جدال في كل خطوة، وهناك حجج ومناقشات كثيرة لا تنتهي عند الخروج عن المسار الذي يريده النابغة، بل قد يجد المربي نفسه أحيانًا عاجزًا عن إيجاد رد مفحم لاعتراضات النابغة واقتراحاته؛ ما يجعله يلجأ للصياح أو الكبت للطفل لكيلا يتكلم، وكذلك هناك تلاعب بأفكار أقرانه عند مناقشتهم؛ ما قد يشعرهم بالارتباك أو التشتت أو الإحباط.

الحلول المقترحة: على المربي أن يدرك أن هذا الفيض اللغوي يحتاج النابغة إلى مساق يوجهه فيه بشكل يُشعره بالرضا وتحقيق الذات، فبدلاً من أن تكون متعته في الانتصار في الجدل يجد النابغة نفسه في حل الألغاز اللغوية، وتحليل الجمل ذات المعاني المختلفة أو الغامضة، ومناقشة الظواهر اللغوية المثيرة للاهتمام كالجناس والسجع وتتبعها. كذلك على

المربي أن يمارس بعض الحزم في وضع الحدود حول ما يمكن مناقشته وما لا مجال للمناقشة فيه، ولكن مع اهتمامه بإقناع النابغة بالفائدة والهدف من هذه الحدود والقيود، فالنابغة بوعيه المتفوق يمكنه أن يقتنع بأسباب أكثر تعقيدًا من باقي أقرانه، ويستطيع رؤية الصورة الكبيرة والنتائج المتوقعة مسبقًا؛ ما ييسر على المعلم أن يوصل له أسباب تقييد حريته في الجدل والنقاش.

ثالثًا: الكمالية:

يسعى النابغة دومًا للكمال في كل أعماله، ويحب أن يتقن ويثابر ويحسن، كما يتميز بالإبداع والخيال؛ ما يجعل أمامه الباب مفتوحًا للتحسين والتجويد في كل ما يقوم به من مهام أو واجبات. كما أنه مغرم بالاستغراق في مهمة تتحداه وتتطلب منه عملاً وتفكيرًا وانغماسًا يُشبع ملكاته العقلية. كما يحب أن يكمل عمله ولا يترك شيئًا ناقصًا أو وجهًا للقصور.

مكمن المشكلة: يدرك النابغة أكثر من أقرانه أوجه القصور فيما يؤديه من مهام، كما يمكنه أحيانًا أن يرى خللاً في أمور يغفل عنها المربي نفسه، ولهذا فكثيرًا ما يكون من الصعب عليه الشعور بالرضا، وإذا أضفنا إلى ذلك خوفه الداخلي من تغير نظرة المربي والأقران له بسبب أخطائه -والتي تكون متضخمة عند النابغة- وخوفه من فقدان مكانته وسمعته بالتفوق، فإننا نجد النابغة يجلد نفسه ويتعب وراء تفاصيل غير مهمة ويصعب إشعاره بالرضا، بل قد يصل الأمر إلى أن يمتنع عن المحاولة من البداية بسبب إحساسه أنه لن يمكنه الوصول للكمال الذي يتوهمه، والذي كثيرًا ما يكون غير واقعي.

الحلول المقترحة: ربما كان هذا من أصعب ما يواجه الطفل النابغة، ولهذا يجب على المربي الحرص على عدم إذكاء الرغبة العارمة في الكمال عند النابغة، فيحرص المربي مثلاً على مدح

(طريقة العمل) لا (ناتج العمل)، فيكون المدح والثناء على الجهد المبذول بغض النظر عن قصور النتيجة. كذلك يكون المربي قدوة في طريقة تعامله مع أخطائه هو، وتقبُّله لها بصدر رحب وتصحيحه لها ببساطة، كما يجب أن يقتصد المربي في مدح النابغة وذكر توقعات عالية لأدائه أمام الطفل؛ فهذا مما يضغطه للحفاظ على نظرة المعلم له، وأخيرًا يجب أن يحرص على تذكير الطفل بأنه من العادي أن نخطئ، ولكن المهم أن نصحح أخطاءنا، ويسوق له أمثلة وقصصًا لقدوات في تصحيح الخطأ والتعامل معه كفرصة لإعمال العقل والإبداع والتفكير، ويمدح أمامه أفكار الأشخاص الذين صححوا أخطاءهم بطرق بارعة.

رابعًا: التميز عن الأقران:

من المعتاد للنابغة أن يشعر بالاختلاف والتميز عن أغلب أقرانه، فهو يفهم أسرع ويجيب أصح، وغالبًا ما تكون هواياته أو اهتماماته أعمق وأكثر تعقيدًا من مشاركتها معهم. وهذا الانفراد أو التميز نتيجة مباشرة لتفوق ملكاته العقلية، فبينما يميل أقرانه مثلاً للعب الكرة يوميًّا؛ قد يكون هو منشغلاً بتفكيك جهاز أو قراءة كتاب في علم العروض، ولو كان تفوقه جسمانيًّا -وهو جانب من النبوغ يهمله كثير من المربين-؛ فهو يميل لأنواع معقدة من الحركات البهلوانية التي لا يمكن أن يجاريه فيها أصحابه، إلى غير ذلك من المصارف التي يحتاجها ليستهلك كل هذه الطاقة داخله.

مكمن المشكلة: مع تكرر وكثرة الفروقات بين النابغة وأقرانه، يحاصره شعور بالاغتراب عنهم؛ ما قد يجعل من الصعب عليه تكوين صداقات أو الحفاظ عليها أو تعميقها. كذلك قد يؤدي به هذا الفارق للكسل والاتكال على قدراته وترك السعي لمزيد من التفوق والمران. تكرُّر هذه الخبرة في سن مبكرة يؤدي أحيانًا إما للغرور أو الاستهانة بالناس أو الوحدة والانطوائية وقلة التفاعل. ولعل من أكثر ما حجب النجاح عن الكثيرين من النوابغ عبر

التاريخ هو ضعف قدرتهم الاجتماعية وافتقارهم لقواعد اللياقة واللباقة مع الناس، وعدم قدرتهم على إيصال أفكارهم لعمومهم، وهو أمر أكدت عليه الأبحاث العلمية الحديثة؛ حيث وجدوا أن الذكاء والعبقرية لا يكفيان لتحقيق النجاح المهني والعلمي وحتى الشخصي، بل يجب أن يقترن ذلك بالقدرات الاجتماعية الكافية للنابغة.

الحلول المقترحة: يجب الحرص دومًا مع النوابغ بالذات أن يكون لهم اتصال وتواصل مع نوابغ آخرين لهم ميول مشابهة، ومحاولة خلطهم بالمتفوقين وتشجيعهم على تكوين صداقات مع المميزين؛ ما سيجعله دائمًا يشعر أن هناك من هو مثله أو أفضل، وأن هناك مجالاً واسعًا للتطور والتقدم. كما يجب التركيز مع النابغة على مهارات التواصل الاجتماعي مع شرح أهميتها له وتدريبه عليها بشكل مباشر، ولا يعتمد معه على مجرد الاختلاط بالمجتمع، بل يجب توفير التدريب الملائم على هذه المهارات والتأكد من أنه يمارسها بشكل صحيح.

وأخيرًا..

فلضيق المقام عن الاستفاضة اضطررنا لذكر هذه الملامح فقط، وإلا فهناك صفات أخرى مهمة كالإبداع والقيادية وعلاقته بالقدوات، وغيرها من صفات النوابغ التي يجب أن تُهذَّب وتُقوَّم وتُوضَع في سياق صحيح؛ كيلا تطغى على حياة النابغة وتُعيقه عن النجاح والانطلاق المبهر.

ولعل هذه الملامح تهم المربي أكثر ما تهمه في كيفية تمييز النابغة؛ فأحيانًا حين تطغى المشكلات يتحول الطفل في عين المربي من نابغة إلى مشاغب، فيضيع جهده في تحجيم النابغة والسعي للسيطرة عليه بدلاً من إدراك مكمن المشكلة وإعادة توجيه الجهد في الاتجاه المثمر للإفادة من طاقات النابغة.

وأنا أهيب بكل مربٍّ أن يعيد النظر فيمن يقوم على تربيتهم ويتفحص: هل فيهم من

هذه المشكلات المذكورة؟! وهل فيهم من هذه الملامح الأساسية للنبوغ؟! وكيف يمكن الإفادة من طاقاتهم وتنميتها في ضوء هذه الحلول المقترحة؟! من يدري، لعل بين يديك نابغة وأنت غافل عنه منشغل بإسكاته في المجلس!

زهرة

ندرة الكوادر النسائية
في الحقل الدعوي

د. منال العواودة

مدير عام مؤسسة رماء للاستشارات والتطوير التربوي والإعلامي – الأردن

للمرأة دورٌ نهضويٌّ مُلِحٌّ في صناعة الحضارة الإسلاميّة العصريّة، وترميم صرح الأمّة من جديدٍ، كما شيّدته سابقًا مع رسول الله -عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم-، ومع الصحابة والخلفاء الراشدين؛ حيث بذلتْ، وجاهدتْ، وتاجرتْ، وعلّمتِ الرجال، وصنعتِ النفوس، وراقبتِ التجارة، وعدّلتِ القوانين، وتحدّثتْ باسم النّساء نائبةً قويّةً تطالِب بالحقوق، وتضبِط موازين الحياة.

ما أحوجَ أمّتنا المتململة الراغبة بالنهوض إلى امرأةٍ قويّةٍ صاحبةِ حضورٍ، صانعةِ نجاحاتٍ بذاتها، وبمَن حولها، وبالأجيال القادمة التي تتعهّدها، تتحرّك عن فهمٍ، وعلمٍ، وعزيمةٍ، تحفّز من حولها، وتبثّ الهمم العوالي؛ لتصل بأمتها إلى قمم المعالي، متميّزةً بالصّلاح، ونقاء السّريرة، والفِطنة، وحسن التّدبير، والرّؤية الثّاقبة المشعّة بلا حدودٍ.

هذه المواصفات المأمولة التي قد تتحلّى بها المرأة المسلِمة، جعلت منها عملةً نادرةً، وغايةً منشودةً، فإذا ما سلّطنا الضوء على شكل تلك المرأة المسلِمة في ميدان العمل الدّعوي النّهضوي، نجد حضورها باهتًا ضعيفًا، يظهر متفتتًا ممزّقًا ملوّنًا، يظهر هنا هنيهة ثم يتلاشى، ليظهر هناك ثم يتلاشى، فلا نكاد نراه جسمًا متراكمًا متجذّرًا متمكّنًا، يُصنَع بأيدٍ حكيمةٍ، وينمو نموًّا استراتيجيًّا مدروسًا ممنهجًا.

ولضعف وجود الكوادر النّسائية أسبابٌ، ولغيابها عللٌ بيّنةٌ واضحةٌ بشكلٍ لافتٍ، لعلّ أبرزها ما يلي:

- أولها وأبرزها: ثقافة المجتمعات، ونظرة النّاس للمرأة نظرةً ليست من الدِّين، وهذه الثّقافة تصنعها مقوِّماتٌ، فإن كانت سامّةً، نتج عنها معضلاتٌ ومعوِّقاتٌ، مثل تهميش حضور المرأة المسلِمة الفاعل، وحظر كل ممارسةٍ لها في بناء الأمّة، إلا فيما يراه العُرْف، الذي رسم ملامحه الجنسان معًا، بناءً على مستوى عقولِ ونفوسِ المشرِّعين، ولو أنّهم يستندون في كثيرٍ من الأمور إلى نصوصٍ شرعيّةٍ، لكنهم في غالبها يجيّرونها حسب أهوائهم، ويستحضرون ما يخدم فكرتهم، ويغيّبون ما لا يقوِّي ما يذهبون إليه، فتراهم عَربًا في فهمهم، أجلافًا في قراراتهم، يبتعدون عن نهج الرسول الكريم.

ولن تتغيّر هذه الثّقافة حتى يأخذ المربّون على عاتقهم طمس معالمها بكل حِنكةٍ واقتدارٍ، مع علوٍّ في الهِمة والإرادة، متأسّين بهمّة الأنبياء المصلحين أولي العزم من الرُّسل.

- ثانيها: تغييب المحاضن التّربوية التي تصقل الطّاقات وتكتشفها، وتعزّز القدرات، بعد غرس القيم والمفاهيم والمُثُل العليّة، ونلاحظ في كثيرٍ من بلادنا مشاريعَ ناشئةً قويةً في فكرتها، تُحارَب من جهاتٍ كثيرةٍ؛ خوفًا من صعود الكوادر والرموز بشكلٍ عامٍّ، والمرأة بشكلٍ خاصٍّ إلى المنصّة، معبّرةً ومؤثّرةً في مجتمعها.

لن أقول: إن المحاضن، التي هي مصانع الكوادر والرموز، قليلةُ الوجود؛ لعدم استحضار الحاجة إليها؛ بل لأنها تُحارَبُ بكل شكلٍ من أشكال النّشاط الاجتماعي، والاقتصادي الضيّق والمُعادي؛ مما أضاع طاقات المرأة المسلمة، وذوّب جهودَها في خضمٍّ متلاطمٍ من مفاهيمَ قاصرةٍ، فأصبح وجود الصنف القياديّ الفاعل من النّساء الرّموز شحيحًا، وكلما تفشّت ثقافة المجتمعات المغبونة، ندر وبَهت دور المرأة الربانية.

◈ ثالثها: انتشار الأمراض الاجتماعية النّاجمة عن ضعف العلم والإيمان، والتي عادةً ما تعتري أجواء النّساء بشكلٍ عامٍّ، وتنتشر بمقدارٍ ما يتناسب عكسيًّا مع وعيٍ وإخلاصِ وفهمِ وبصيرةِ الكوادر العاملة من المربّين الحريصين.

ومن هذه الآفات النفسية: الحسد، والتنافس غير الشريف، واغتيال الشخصيات، والدسائس، والأكاذيب، والنّفاق، والتّزلف، والسعي لإفشال إحداهن حتى تصعدَ هي، ومحاولة إطفاء نور تلك ليسطع نجمها هي.

من هنا كان من الواجب على المربّي التنبّه لهذه الزاوية، وحماية مَن يصنعُهم، فإذا أراد أن يعزّز؛ فليكن بمقدارٍ، وبظرفٍ يتّقي فيه بعين المراقب اليقِظ تلك النّفس، فيجنّبها الغرور، والتكبّر، والتعالي.. وعالم المرأة أحوج بهذا الاهتمام من غيره.

◈ رابعها: غياب المنصات التّوعوية، وعدم استثمار الإعلام الهادف بشكلٍ عامٍ لتعزيز وجودها، وتقوية حضورها، واليوم تقوم معركة الأمم على البعد الإعلامي كعنصرٍ ضالعٍ في صناعة الحدث، وليس في تسليط الضوء على الحدث فقط، ومن هنا كان لزامًا على المنابر الإعلامية الهادفة استثمار وصناعة كوادرَ نموذجيّةٍ، تقدّم للأمة ما ينفعها، بعيدًا عن أجواء التّنافس غير الشّريف الذي يضجّ به عالم الإعلام اليوم.

عندما يقوم المربّي بكل حرصٍ على صقل طاقات الفتيات الصاعدات؛ لتكون الواحدة منهنَّ عَلَمًا ونجمًا من نجوم الإعلام الهادف، ثابتةً على دِينها، وحبّها لحضارتها، يكون قد قدّم جهدًا محمودًا في صياغة كوادر ذهبية.

◈ خامسها: غياب الدعم الماليّ والماديّ لأحلام تلك الكوادر، فيخبو بريقُها مع تكرار المحاولات والتعثّر في وجود رافدٍ اقتصاديّ، تحقق من خلاله هدفًا ساميًا، ناهيك عن عزوف رجال الأعمال عن خدمة المرأة، كنموذجٍ مُلهِمٍ، فكانت المنابر التي قد تحظى

بها -على قِلّتها- لا تجارِي ما يقدّم للمرأة البعيدة عن دِينها وهموم أمّتها، فظهرت الرموز النهضويّة والدعوية بمظهرٍ تقليديٍّ باهتٍ، لا يليق بها، ولا برسالتها، ولا يتواءم مع صورتها، ودورها المنتظَر.

◈ سادسها: ضعف استخدام الإعلام الرقميّ، وشبكات التواصل الاجتماعيّ، وشحّ الاجتهاد المنهج لطرح طرقٍ إبداعيةٍ في استثمار هذه التّقنيات، التي هي نعمةٌ من نعم الله في عصرنا الحاليّ، وهي التي تؤمّن للمرأة الداعية ميادينَ مفتوحةً للوصول إلى كل إنسانٍ عبر جهاز هاتفه الذكيّ، فأغلب السيدات يغامرن في بداياتٍ عشوائيةٍ، وانطلاقاتٍ بجُهدٍ شخصيٍّ، وقد يكون العامل الرئيس أيضًا في هذا الإخفاق رؤية المجتمع لها ولمهمتها.

◈ سابعها: ابتعاد المرأة عن العمل الجماعيّ الداعم لوجودها، ولجودة أدائها، تتجنّبه خوفًا ورهبًا؛ فتراها تكتفي بالعمل الفرديّ؛ لقناعتها بأنه أسلم؛ والسبب قد يكون مبنيًّا على مقوّماتٍ سبق الإشارة إليها، مثل: إيثار السلامة من الاختلاط بمَن يعكّر صفو عطائهم؛ بسبب الأمراض النفسية التي تنتشر بين النساء خاصةً، إضافةً إلى نظرة المجتمع السلبية للعمل الجماعي أحيانًا.

ولو نظرنا إلى رموز العمل النسوي في العالم الإسلاميّ، لوجدناهنّ نتاج مؤسساتٍ فكريةٍ تربويةٍ عملت على تنشئتهنّ بطريقةٍ ممنهجةٍ مدروسةٍ، واكتشاف طاقاتهنَّ واستثمارها، ورسمت ملامح شخصياتهنّ وإبداعاتهنّ، وبنت فيهنَّ عشق الغاية الربانية، والبذل لها دون خوفٍ، أو ضعفٍ، أو مللٍ.

ثامنها: لضعف الدعم الأسريّ دورٌ وثيقُ الصّلة في حجب المرأة الدّاعية عن السّاحة؛ مما يجعل النّماذج الظّاهرة الفاعلة قليلة العدد، ولا يخفى على أحدٍ أنّ المرأة المسنودة بأهلٍ وعائلةٍ وزوجٍ متفهّمين لقيمتها، مدركين لدورها، ستكون بصمتها أشد أثرًا بهم، وكلما

زاد العلم، والفهم، والتضحية، والعمل الخالص في نفوس العائلة، كان أداء نسائهم أكثر وأعمق.

وما واقع نساء العالم العربي من أولئك الصفوة عنّا ببعيدٍ، تظهر إحداهنّ مجاهِدةً مضحِّيةً بوقتها، ومالها، ونفسِها، ويظهر في المشهد زوجُها، وأبوها، وبنوها، أو ترى الرّجل المِقدام المجاهد بماله، ونفسه في سبيل رسالته، فتقف معه زوجته التي تشبهه في السِّمات والمزايا؛ فالطّيبون للطّيبات دون شكٍّ، ولهم جميلُ التأثير على النّاس نحو الخير، والعطاء لأجل أنفسهم، ولأجل أمّتهم.

فإذا ما جُفِّفت منابع الضعف، وتلاشت مسبباته، كان العلاج قد تمّ، وبقي على المربّين اتّقاء عودة المرض إلى جسم الأمة من جديدٍ.

توجيه عاطفة الفتاة

في مرحلة المراهقة

سحر شعير

باحثة تربوية

تحتاج الفتاة في مرحلة المراهقة إلى والديها -خاصةً الأم- أكثر من أيّ وقتٍ مضى، تحتاج إلى الحبّ والاهتمام، وإلى أذن تسمعها؛ لتبثّها همومها ومشاعرها؛ نظرًا لأنّ هذه المرحلة لها أهميتها في تكوين الشخصية السوية للإنسان، كما تتميز بالعاطفة الجيّاشة، التي ينقصها النضج، والخبرة الكافية، فهي تغضب بسرعة، وتصفو بسرعة، وتميل لتكوين صداقاتٍ مع الجنس الآخر، وتتمنى وتحاول أن تدخل في ما يسمى بقصة حب!! ومن هنا تحدث المشاكل، فكيف تتمكن الأم والمربية من الحفاظ على قلب الفتاة، وتوجيه عواطفها بالشكل الصحيح؟!

الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الفتاة عاطفيًّا:

- أثبتت الدراسات الأكاديمية أنّ السبب الأول في معظم حالات الانحراف والفشل؛ (دراسيّ، اجتماعيّ، خلقيّ، عاطفيّ).. يرجع إلى الشعور بالدونية، وانخفاض تقدير الفتاة لذاتها؛ فهي في الحقيقة مهلهلة من الداخل، لكنها تُخفِي ضَعفها وشعورها بالدونية، وهذه الفتاة تكون في حالة تعطّشٍ شديدٍ لمن يردّ لها اعتبارها، ويمنحها الشعور بقيمتها في الحياة، فنجد أنّ مناعتها (صفر) أمام أيّ ميلٍ، أو كلمة إعجابٍ من الجنس الآخر، ومن السهل

جدًّا أن تتحوّل مشاعر الميل إلى عاطفةٍ قويةٍ يصعب السيطرة عليها من البنت نفسها، قبل أيّ طرفٍ خارجيٍّ.

- توتر الوسط الأسري للفتاة، وعدم تلبيته لحاجتها العاطفية الفطرية، والتي تكون قويةً ومتأججةً في مرحلة المراهقة، كخاصيةٍ من خصائص نموها الطبيعي، وتكوينها في هذا السن، وقد يرجع ذلك غالبًا إلى جهل الوالدين بخصائص المراحل العمرية للفتاة.

- تعدّ رفيقات السوء من أهم أسباب انحراف الفتاة عاطفيًّا، والذي يترتب عليه غالبًا نوعٌ من الانحراف الخُلقيّ؛ حيث تزيّن صديقة الفتاة لها الأمر، وتحكي لها مغامراتها مع مَن تحبه؛ مما يكرّس فكرةَ أن الحياة لا تكون جميلةً بدون هذا النوع من الحب في ذهن الفتاة؛ ومن ثمّ؛ تبدأ في التقليد والمحاكاة لها.

وإذا ازداد الأمر سوءًا، وكان الانحراف العاطفيّ من نوع التعلق بنفس الجنس، مثل تعلق الفتاة بزميلتها، أو مدرستها تعلقًا مَرَضيًّا، فهذا قد يُفْضي إلى انحرافات خُلقية فادحة، قد تصل إلى هاوية الشذوذ -عياذًا بالله-.

- كذلك الإنترنت، وهو من العوالم الجديدة التي دخلت حياة الفتيات -في عصرنا- إلى داخل غرفتها الخاصة، وجعل سبل الاتصال بالعالم المفتوح بلا حدود، ولا ضوابط يقدر فيها الصالح من الطالح.

- المسلسلات المدبلجة، والتي تُعلي من شأن العلاقات المفتوحة بين الشاب والفتاة، وتنقل إلى بناتنا ثقافاتٍ وافدةً عن مجتمعات غير مسلمة بكل ما فيها من مخالفاتٍ، مضافًا إليها البهرجة الإعلامية، وعوامل الجذب الدراميّ؛ مما يجعل حلم الفتاة أن تعيش مثل قصة الحب التي تشاهدها.

أهم خطوات التوجيه والعلاج:

- الإشباع العاطفيّ للفتاة داخل الأسرة:

الإشباع العاطفي للفتاة داخل الأسرة يعطيها المناعة، والوقاية من الانزلاق في هذه الاتجاهات الخاطئة لإشباع عاطفتها، وذلك بشكل متوازن وحميم في الوقت نفسه.

وقدوتنا في الطريقة المُثْلَى لتربية البنت، والعناية بوجدانها، ومشاعرها المرهفة هو خير مَن ربّى البنات والبنين نبينا محمد ﷺ؛ إذ كانت بناته، وحفيداته، وربيبته محل اهتمام ورعاية كبيرين منه ﷺ؛ فقد أخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**ما رأَيْتُ أحَدًا أشبَهَ سَمْتًا ودَلًّا وهَدْيًا برسولِ اللهِ في قيامِها وقعودِها مِن فاطِمةَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ، قالَتْ: وكانَتْ إذا دخلَتْ على النَّبيِّ ﷺ قام إليها فقبَّلَها وأجلَسَها في مجلِسِه**»[1].

- مناقشة فكرة (الحب) بمنتهى الوضوح مع الفتاة؛ من أجل ترتيبها بشكل صحيح في وجدانها، وعقلها:

فكلام البنات حول «الحبّ» يدل على وجود كمٍّ من المغالطات الراسخة حول مفهوم الحبّ، أولها تلك الأسطورة التي روّجتها الأفلام والقصص عن قصة الحب العنيفة بين شاب وفتاة، تنتهي بالزواج، ويصبح هذا هو الحلم الذي تتمناه وتنتظره، وتبحث عنه الفتاة في كل مَن يقابلها، فهل هذا هو الحب الذي فطر الله النفوس عليه، وجعل القلوب تتدفق به؟!

بالطبع لا.. ليس هو!!

الحب ثمرة رائعة، تنبت في حديقة الزواج، وتُروى بماء حُسن العشرة، وتُحاط بسياج

---

(1) أخرجه أبو داود (5217)، والترمذي (3872) وصححه الألباني.

الشرعية، والعلانية، ورضى الأهل، أما تلك المشاعر المسروقة والمفتعلة، والتي يدخل فيها الغشّ، والوهم، والتجمل الكاذب بنسبٍ كبيرة، فليست سوى شَرَكٍ خداعيّ، تنصبه الفتاة لنفسها، ويُكبّل قدميها، ويعيق خطوها الصحيح، فلماذا تبحث الفتاة عن تلك المعادلة الخاطئة -حبٌّ شريفٌ يتوّج بالزواج-؟ ولماذا لا نجعلها زواجًا متكافئًا، يتوّج بالحب الشريف؟[1].

وأروع مشاعر الحب التي عرفها البشر، هي التي تنمو وتزدهر بين زوجين صالحين، وقد أخبرنا الله تعالى أنها آية من آياته، امتنَّ الله بها على عباده؛ حتى تستديم الحياة الزوجية، وتستمر مسيرة البشر، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

ومن أروع الأمثلة التي تُبرِزها الأم والمربية أمام الفتاة: حبُّ النبي ﷺ لأزواجه، وما ترتب عليه من سعادة وارفة، تفيض بها الأحاديث الصحيحة في هذا الباب.

- بناء الضمير، والرقابة الذاتية في نفس الفتاة:

في سن الخامسة عشرة وما بعدها -وهي توافق المرحلة الثانوية، والجامعية- تكون استعدادات الفتاة العقلية والنفسية في حالة تكامل ووعي؛ فإذا استثمرت هذه الاستعدادات أمكن بناء المراقبة الذاتية في شخصيتها مبكرًا؛ بحيث تنشأ مُحِبَّة للعفَّة، معتزَّة بكل معاني الطهارة والنقاء، والشرف والكرامة، ويترسخ في أعماقها النفورُ من الانحلال والتفسخ والعري، وكل الملوّثات الأخلاقية التي يروّج لها الإعلام الغربي، ويزعم أنها من علامات

---

(1) إيمان القدوسي: مقالة بعنوان «مشاعر مسروقة».

(2) سورة الروم، آية :21.

الرُّقي والتحضر.

ولعل ذلك يظهر جليًّا من خلال تربية النبي ﷺ لابن عمّه الفتى الصغير عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذا الحديث العظيم؛ فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال كُنْتُ خلفَ النبيِّ ﷺ فقال: «يا غلامُ! إنِّي أعلمُكَ كلماتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللهِ، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجتمعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ لمْ يَنْفَعُوكَ إلّا بِشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لكَ، وإنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ، لمْ يَضُرُّوكَ إلّا بِشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1][2].

- بناء عقلية ناقدة، ومفنّدة للمدّ الإعلاميّ لدى الفتاة:

حتى يكون لدى الفتاة الرؤية النقدية الانتقائية لكلّ ما ترى وتسمع، في ظلّ الأصول الإسلامية لمعايير الصواب والخطأ، والتي قد تربّت عليها سلفًا، ولا تزال تتلقاها من أُمّها، أو معلّمتها، ففي دراسة علمية أُجريت على عينةٍ -بلغت خمسة آلاف من المراهقين والمراهقات-، ذَكَر نحو 70٪ من الفتيات أنهن يتأثرن بشكل بالغ بالممثلات والمغنيات، وأبرز نقاط التأثر هي الملابس، وقصّات الشعر، وطريقة الحديث، وأنماط المعيشة.

- الوفاء بحاجة الفتاة إلى سلطة ضابطة، موجّهة ومرشدة لها:

فالانحراف العاطفيّ قد يحدث في كثير من الأحيان نتيجة غياب هذه السلطة عن الفتاة؛ حيث تتلقى الفتاة تربيةً ارتجاليةً، سِمتُها الإهمال، والتساهل، وغياب الوعي، بينما تحتاج منذ بواكير الطفولة إلى سلطةٍ ضابطةٍ، توجّه سلوكها، وتضبط تصرفاتها، وتُعينها على

(1) أخرجه أحمد (2669) والترمذي (2516)، وصححه الألباني.

(2) د. عبد العزيز النغميشي: علم نفس النمو، ص:238.

تمييز الصواب من الخطأ، وما يسمح به الدين، والعادات، والتقاليد، وما تنهى عنه.

وهذا الدور منوط بالوالدين، وبكلّ من يباشر تربية وتوجيه الفتاة من معلمات، وداعيات، ورائدات للمحاضن الدعوية والتربوية.

وأخيرًا -عزيزتي الأم والمربية-: إنّ تربية الفتاة على التديُّن منذ الصِّغر هو صمام الأمان، الذي يغرس في نفسها الثقة بالنفس، وأنها أهل للمسؤولية الأدبية تجاه نفسها، ووالديها، وأُمّتها؛ بحفاظها على سيرتها الحسنة، وسمعتها الطيبة.

حفظ الله بنات المسلمين من كل سوء.

التربية الفكرية للفتاة المسلمة..

الضرورة والوسائل

د. شفاء الفقيه

أستاذ الحديث المساعد بكلية الشريعة - الجامعة الأردنية

تُعد التربية الفكرية ركيزةً في إعداد الناشئة إعدادًا صحيحًا سويًّا يستقيم مع سمات الشخصية المسلمة، التي تمتلك القدرة على التفكير واتخاذ القرارات وترك التقليد والتعصب الأعمى، ولذا فهي تُسهم في تعريف المتعلمين بقدراتهم وإمكانياتهم؛ ما يعزز من ثقتهم بأنفسهم وإحساسهم باستقلاليتهم، ومن ثَمَّ تنمية الشعور بالمسؤولية، والجدية في الحياة، فينشأ الأفراد مؤهلين للنهوض بمجتمعاتهم وتحقيق الرقي الحضاري ومفهوم الاستخلاف.

وبالمقابل فإنّ إهمال الجانب الفكري لدى المتعلمين في العموم يُضعِف قُدرَتهم على مواجهة مشكلاتهم، ما يؤدِّي إلى تفاقمها مع الوقت حتى تصبح مشكلات مزمنة تترك آثارًا سلبية على أصحابها وعلى المجتمعات.

ولمّا كانت المرأة في هذا الزمن تعاني من الكثير من الضغوطات النفسية والفكرية؛ فقد أكَّد هذا على أهمية منحها التربية الفكرية المتوازنة التي ستساعدها على التعامل مع كل هذه التحديات المتعددة.

ضرورة مجتمعية وتربوية:

إنَّ تربية الفتاة المسلمة على كيفية التفكير والتعامل مع المشكلات يُعدُّ من الأمور الملحَّة

التي ينبغي أن تكون لها الأولوية الحقيقية مِن قِبَل الأسرة والمؤسسات التعليمية على تنوُّع مراحلها؛ وذلك لما للتفكير من دور كبير في تعزيز القِيَم الصحيحة لدى الفتيات وتحصين الشخصية المسلمة من المدخلات الثقافية الغربية والمناهضة للدِّين والعقيدة، كما أنّها وسيلة فعّالة في التصدي لمحاولات التغريب الثقافي التي تهدفُ إلى طمس معالم الهوية المسلمة في مجتمعنا العربي والإسلامي.

والفتاة المسلمة حين تتلقى تربية فكرية سليمة منذ الصِّغر، تصبحُ امرأةً أكثرَ وعيًا بنفسها وبما يدور حولها، بل إنّها ستمتلك القدرة على تطوير نفسها وقدراتها ومهاراتها، وعوضًا عن انشغالها بسفاسف الأمور، أو استسلامها للظروف المحيطة بها، أو انغلاقها على نفسها، تصبح لديها أهداف سامية في حياتها، سواء على الصعيد الشخصي المهني أو على الصعيد الاجتماعي الأسري؛ لإدراكها أهمية دورها ومكانتها في تحقيق النهوض والارتقاء؛ ما يولّد لديها روح التعاون الإيجابي والصدق في الإنجاز، وهذا ما يشهد به الواقع العملي.

فالمرأة حيث تتقن تتميز في كافة المجالات؛ فتتميز كزوجة في إدارة شؤونها الزوجية واستقرار حياتها الأسرية، وتتميز كأم في تربية أبنائها وإعدادهم الإعداد الصالح، وتتميز كمثقفة في مجال الثقافة والفكر، وتتميز كموظفة في أيّ قطاع مهني تعملُ فيه؛ وسبب ذلك هو روح التفاني والإخلاص اللذين يدفعانها للعطاء وإحسان البذل والتضحية في سبيل تحقيق النجاح في حياتها.

وهذا كله يجعل المرأة أقدر على اتخاذ القرارات الصائبة، ومواجهة أيّ إشكالات تتعرض لها، وتطويع أي ظروف معيقة لصالحها، فالمرأة المُفكِّرة لديها ثقة بنفسها ووعي بقدراتها أكثر من أيّ امرأة أخرى.

ولذا فإنّ التركيز على تعليم الفتيات عمليات التعلم، وتعليمهن مهارات حلّ

المشكلات، بالإضافة إلى تعلّم مهارات التعلُّم الذاتي، وامتلاك القدرة على المحاكمات العقلية، من الأمور التي ينبغي أن تُؤخَذ بعين الاعتبار لتصل الفتاة إلى قدرة على امتلاك مهارات التفكير السوي.

وسائل تحقيق تربية فكرية سليمة:

وحتى نصل بالفتاة المسلمة إلى هذا لا ينبغي أن يترك تعليمُ التفكير للصدفة، أو أن يكون الاهتمام به اهتمامًا هامشيًا، أو شكليًّا، وإنّما ينبغي أن تؤسّس المناهج وتُعقَد الدورات التدريبية لتأهيل الفتيات على ذلك.

بين النظرية والتطبيق:

وهذا ما يُوقعنا أمام إشكالية حقيقية وهي تلك الفجوة الكبيرة بين التنظير والتطبيق، فإنَّ الناظر إلى مناهج التعليم في الدول العربية لا يجدُ منهاجًا منها لم يضع التربية الفكرية على رأس أولوياته، ولكن عند التأمل في الواقع المُطبَّق نجدُ أن مخرجات التعليم لا تتوافق مع النتاجات التربوية التي رُصدت مسبقًا.

وهذا الأمر لا يقتصر على الدول العربية وحسب، وإنما يتعداه إلى عددٍ لا بأس به من الدول الغربية؛ مثل بريطانيا التي رصدت للتربية الفكرية اتجاهات متعددة، منها: (تنمية حبّ الاستطلاع، واحترام الأدلة، وإرادة التسامح، والتفكير الناقد، والمثابرة أو المواظبة على أداء الواجب، الإبداعية والانفتاح العقلي، والحس البيئي السليم، والتعاون مع الآخرين)، بينما نجد تقارير المفتشين عن واقع التعليم في المدارس البريطانية تدل على مهارات التفكير والقدرة على المحاكمات العقلية والمناقشات لا تُعطَى من الوقت شيئًا يُذكَر عبر المنهاج.

وهذا يُحيلنا إلى المُعلِّم الذي ينبغي أن يُؤهَّل بصورة صحيحة، ويُملّك المهارات التي تساعده على تعزيز الاتجاهات الإيجابية المُحقِّقة للتربية الفكرية؛ لأنّ الخلل قد لا يكون

في المنهاج بقدر ما يكون في كيفية تطبيق المنهاج وتغليب الجانب المعرفي على تعزيز الجانب الفكري.

التدرج المدروس:

وحتى نستطيع أن نصل بفتياتنا إلى مستوى مقبول من التربية الفكرية يجب أن نؤكد أنّ التربية الفكرية لا يمكن أن يتملكها المتعلم دفعةً واحدةً، وإنما هو بناء يتطلب التخطيط الصحيح، الذي يقترن بتصميم الوسائل المناسبة والأنشطة الممتعة التي تُسهم في اكتساب المتعلمين القدرة على التفكير والتفكر، والقدرة على توظيف معلوماتهم ومهاراتهم بصورة تُمكّنهم من تجاوز الصعوبات وتخطّي التحديات، وتطويع الظروف المحيطة بهم لصالحهم، وهذا الأمر لا يمكن أن يتحصل دون تدرُّج واعٍ ومدروس، وأنشطة قيمية فاعلة.

وللتنويه فأُسُس مهارات التفكير يجب أن تُغرَس منذ الطفولة المبكرة لتنمو مع الأطفال؛ وذلك لأن الدّراسات أثبتت أنّه كلما كَبُر الطفل دون تلقّي تربية فكرية سليمة قلَّ انفتاحه العقلي، فإن تجاوز طفولته ووصل إلى مرحلة النضج ازداد انغلاقًا على نفسه، وزادت عنده قيمة (الأنا) التي تجعله يتمسّك باعتقاداته الخاصة، ويرى مَن يخالفونه بالرأي متحيزين وغير قادرين على فهمه.

الحوار الفعّال:

وهذا بدوره ينقلنا إلى نقطة أخرى مهمة في الوسائل المعينة؛ وهي التركيز على الحوار الفعّال وتنمية مهاراته، فعندما لا يُدرَّب الطالب على أصول الحوار ومبادئه، وأهمية تبادل وجهات النّظر، وضرورة التزام الموضوعية والنزاهة؛ لن يتملك القدرة على الخوض في حوار ناجح. ولعل فكرة الطاولة المستديرة، والمناظرات والندوات وغيرها، من الوسائل المناسبة لذلك.

التفكير الناقد:

ويُعد التركيز على التفكير الناقد من أهمّ الوسائل لتحقيق التربية الفكرية السوية، وهذا ما يَنصح به التربويون وعلماء النّفس منذ النصف الثاني من القرن العشرين، ويُرَاد من هذا النوع من التفكير تكوين العقلية المرنة المُنفتحة والمتحررة من الجمود والتبعية من خلال تنمية أساليب وآليات استخدام العقل والمنطق، فالتفكير النّاقد لا يقتصر على نَقْد خارجي لظواهر الأشياء، بل يتعدّى ذلك لنقد داخلي للظاهرة، والبحث عن العلاقات بين المقدِّمات والنتائج، وإثارة تساؤلات حول القضايا والمشكلات التي يتعرض لها المتعلم، بالإضافة إلى امتلاك القدرة على المحاكمات العقلية، وتحرّي المغالطات في المناقشات، مع القدرة على توليد الأدلة والحُجَج.

وهذا الأمر يدفعنا إلى إيلاء هذا النّوع من التفكير الاهتمام الكبير؛ خاصةً أنّه يُسهم في مساعدة الفتاة أيضًا على مواجهة التحديات الراهنة بحكمةٍ وتعقُّل، دون الانجراف وراء أيّ أفكار يُروّج لها قبل نقدها وتمحيصها وتبيّن ما فيها من خطأ وصواب.

القراءة الفاعلة:

ومن الوسائل المُهمّة في تحقيق تربية فكرية تنمّي المهارة على النّقد والتمحيص: تعلّم القراءة ذات المعنى، ورتق الهوة بين الفتيات وبين القراءة الفاعلة التي تُكسبهن المعرفة الصحيحة وتمكنهن من إيجاد الحلول المناسبة لأي مشكلة، كما أنّها توسّع الأفق من خلال الاطلاع على العلوم والمعارف والحقائق المتعددة من مصادرها، والأمر يتطلب تبنّي مشروعات تُشجّع الناشئة على العودة إلى القراءة العلمية المتينة، وعدم الاكتفاء بالمعرفة السطحية للأمور، أو الاعتماد على مصادر غير موثوقة للمعرفة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وبعض المواقع الإلكترونية.

وهذا أمر يمكن للمؤسسات التعليمية والثقافية القيام به، مع التنبيه إلى أن للبيت دورًا كبيرًا في إنجاحه، وخاصة إذا رُبِّيت الفتاة على حبّ المطالعة والقراءة منذ الصغر.

ولو نظرنا إلى واقع المرأة في مجتمعاتنا العربية نجد أنّ أكثر ما تعاني منه المرأة هو أحد أمرين:

1- عدم القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة في مجال تعلّمها أو عملها أو زواجها أو حتى إدارة شؤونها الخاصة أو شؤون أسرتها.

2- والأمر الثاني عدم القدرة على التعامل مع المشكلات التي تتعرض إليها؛ فبعض الفتيات تنهار أو تضعف أمام بعض المشكلات الأسرية أو المهنية؛ لغلبة الجانب العاطفي والانفعالي، أو لتغلُّب نزعة الأنا؛ فيؤثر هذا فيمن حولها سلبًا، خاصةً إذا غاب الوعي بفقه الأولويات في حياتها.

وهذا كله يمكن تفاديه عند توفير التربية الفكرية السوية للفتيات منذ الطفولة؛ لنُسهِمَ في إيجاد فتيات مسلمات يملكن فكرًا ومنهجًا يَجمعُ بين الأصالة والمعاصرة، ويُعينُهن على الثبات على مبادئ الدّين الحنيف والمحافظة على القيم الإسلامية الصحيحة، مع امتلاك القدرة على تخطّي العقبات، ليساهمنَ بالرقي والنهوض الحضاري بمجتمعاتهن.

المرحلة الجامعية

المراحل الأولية
لتأسيس عمل دعوي تربوي داخل الجامعة

أحمد عمرو

باحث بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

لا شك أن العمل الدعوي هو ميدان البذل والتضحية، وهو وظيفة الأنبياء ودأب العلماء والمصلحين على مرّ الزمان، وهو سلاح المؤمن لمواجهة الباطل، وهو دليل الإيمان لمن يحترق قلبه لرفعة الإسلام، وهو إرادة نفس تأبَى الباطل أن يسود، وهو قلب يأبى الدعة والخمول.

والشباب هم وقود الدعوات، وطاقة الأمة المحرِّكة لها، وهم قادة التغيير على مرّ العصور، وبهم نصر الله نبيه ﷺ؛ فقلوبهم أشربُ للحق، وعقولهم أحفظُ للعلم، ونفوسهم أقدرُ على الصبر.

والجامعة تحوي الكفاءات المستقبلية، والهمم المتطلعة، والطليعة المتعلمة الرائدة في مجتمعاتنا الحديثة، وعليهم ركيزة البناء والتغيير؛ فقد اجتمعت لهذه الفئة مقومات وأدوات لا تتوفر لغيرهم؛ لذا كان الاهتمام بتلك الفئة والتركيز عليها لإخراج الخير من داخلها وتهيئتها للتأثير في مستقبل مجتمعاتهم من الأهمية بمكان، وتأتي تلك المقالة على قِصَرها لتلقي لمن أراد أن يطأ بهمته هذا المجال ثلة أفكار تُفيده في تفعيل نية الخير لديه، فأنت وإن كنت طالبًا محترقًا تريد أن تُفعل طاقة الدعوية داخل جدران الجامعة، أو جامعيًّا سابقًا تريد أن تصحّح مسارًا أو تَستدرك فائتًا؛ فإني دَالُّك على خطوات للتخطيط والعمل، وهي تجمع

إليك خبرة عملية مع تأصيل نظري.

يمكن تقسيم أوقات العمل الدعوي التربوي داخل الجامعة إلى عددٍ من المراحل:

أولاً: وقت إبداعي:

وهو عملية التصورات الذهنية التي تسبق العمل، وتشمل الهدف النهائي، والمراحل المختلفة التي يمر بها، وصولاً إلى الأهداف المرجوة، والتي سنفرضها هنا، وهو تشكيل النواة الصلبة، والتأسيس لعمل دعوي تربوي مؤسسي مستمر داخل بيئة العمل الطلابي في الجامعة، مع الوقوف على الأدوات والأساليب المتبعة للوصول للهدف النهائي.

في المحور الإبداعي الصفة الأولى الملازمة له أن تكون صياغته قابلة للقياس؛ فإن المأمول هو تكوين نواة صلبة لها مواصفات خاصة، فنحتاج إلى تشعُّبها في كافة الكليات وفي الصفوف الدراسية المختلفة لضمان استمرارية العمل في الأعوام التالية، وانتقال الخبرات وتبادلها بين الفرق الدراسية المختلفة.

في المحور الإبداعي يُتخيّر من الطلاب الأذكياء وذوو الأنساب؛ فالبيوتات الأصيلة تخرج أشخاصًا يحملون صفات الثبات والكرم والمروءة، والناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة، ولا يَخفى أثر الدعوة إذا خالطت بشاشتها قلوب الأذكياء الأفذاذ.

ومن سمات الشخصية في اللبنة الأولى: وضوح الفكرة تمامًا في عقله، وانتماؤه إليها بقلبه، واستعداده للبذل والتضحية، فالهدف المرجو أن يحمل الأولون في بداية الطريق الذي تخطّه وضوحًا لا لبس فيه للفكرة، ولا تواني فيه عن عزم.

ثم تأتي مرحلة توثيق الروابط بين أفراد المجموعة الدعوية الأولى اجتماعيًّا وتربويًّا عن

طريق تحقيق أركان المجموعة التربوية من تعارف وتفاهم وتكافل؛ بحيث يؤدي ذلك إلى تقوية الروابط الاجتماعية بين الأفراد، كما يجب توثيق الروابط التنظيمية داخل المجموعة الدعوية الرائدة. وإنما يتم ذلك بالممارسة العملية والتطبيق والرقابة والمتابعة، الرقابة الذاتية من أفراد المجموعة ومن المسؤول عنها.

فهم مجموعة من الأذكياء أصحاب الهِمَم، مؤتلفة قلوبهم، واضحة الفكرة في عقلوهم، وعلى الاستعداد للبذل والتضحية من أجل نَشْرها، منتشرون في الفِرَق والصفوف المختلفة. وهذا هدف قابل للقياس كما ذكرتُ لك.

فإذا تم لك ذلك، ونجحتَ في تكوين اللبنة أو المجموعة الأولى المختارة فلا مناصَ من التحول إلى مرحلة التخصص، وعمل تصوّر شامل لإنشاء اللجان المختلفة، والشروع في إنشاء هيكل تنظيمي قائم على النظام الشبكي الذي يتوزع فيه عمل الفرد بين الفرقة الدراسية المنتمي إليها ويتعاون مع مسؤولها، وبين انتمائه لإحدى اللجان الدعوية حسب خبراته ومهاراته المكتسبة. فيكون هناك مسؤول الفرقة الدراسية الذي يتعاون معه كافة الطلاب المنتمين إلى الدعوة في هذه الفرقة، ومسؤول اللجنة الذي ينتشر أفراد لجنته في الفرق المختلفة للكلية أو الجامعة.

وقت تحضيري:

وهو الوقت الذي يتم فيه جَمْع المعلومات، وتصنيفها، ومعرفة كيفية الاستفادة منها، وكيفية توظيف القدرات والخبرات الموجودة، وتجهيز الأدوات المناسبة للبدء بالعمل.

في الجانب التحضيري يتم جمع المعلومات، وتحليل بيئة الجامعة، ويشمل هذا تحليل العديد من المحاور، ابتداءً بأعداد الطلاب المنتمين وخلفياتهم، سواء الجغرافية، أم

الاجتماعية أم الاقتصادية أم الدينية.

فسكان الريف على سبيل المثال أكثر محافظة في السلوك والأفكار، لكنهم أكثر تحفظًا وخوفًا، وأقل رغبةً في التغيير والتحوّل، لكنهم في الوقت نفسه قد يكون للبعد المكاني عن مكان السكن ووجودهم فترة أطول في بيئة جديدة أسهل في وصول الفكرة والانتماء إليها.

وتختلف طبيعة الطلاب الدراسين في الكليات العملية عن أقرانهم في الكليات الأدبية؛ فلدى الأخيرين متَّسع من الوقت ومجال أرحب للحركة، والأولون أميز بنباهتهم وسرعة تقدمهم، وهذا على الأغلب، وفي كلٍّ خيرٌ.

كما يدخل في تحليل بيئة الطلاب الاتجاهات الفكرية والدينية والثقافية المنتشرة بين طلاب الجامعة، سواء أكانت اتجاهات علمانية ليبرالية أم دينية تحمل قدرًا من الانحراف، مثل الجماعات والطرق الصوفية التي لديها جنوح للتطرف، أو غيرها من الجماعات والتيارات الدينية. وتصنيف تلك التيارات، والوقوف على مواطن الخلاف، ومدى إمكانية التقارب مع بعضها أو تحييدها أو التحذير منها؛ أمر بالغ الأهمية.

ثم تأتي البيئة القانونية للجامعة والأُطُر العامة التي تحكم العمل الطلابي، فبعض الدول تسمح بما يسمى اتحاد طلاب، وتكوين الأسر الثقافية المختلفة، والذي يشرف عليها أساتذة الجامعة، وقد يُترك للعمل الدعوي هامش من الحركة من خلال تلك الأطر التي أقرتها الجامعة، وقد يُضيق عليها؛ لذا يجب دارسة البيئة القانونية للجامعة جيدًا، ومحاولة استغلال الهامش المتاح لأقصى درجة ممكنة.

من المهم أيضًا الوقوف على اتجاهات ورؤى هيئة التدريس، والتعرف على مدى قربهم أو تعاونهم مع الطلاب، وأيهم أقرب إلى دعم التيار الدعوي والاستعداد للمشاركة فيه،

ومَن منهم يحمل العداء للتوجهات الدعوية، ويسعى لتقويض وجودها داخل الجامعة.

ومرحلة جمع البيانات هذه تَبْنِي عليها رؤيتك وتصوراتك في أيّ الأساليب والأدوات التي ستَستخدمها في المرحلة الأولى، هل ستَبدأ بالدعوة مباشرة، أو تأجيل ذلك وتكوين روابط من الصداقات والمعارف؟! وهل ستبدأ داخل أُطُر العمل الجامعي المصرّح به أو من خارجه؟! وغيرها من الأسئلة التي من المفترض أن تَحمل هذه المعلومات الإجابات الممكنة عليها.

وقت تنفيذي:

وهو الوقت الذي تيم فيه الاحتكاك مباشرةً مع الواقع، ومحاولة تحقيق الأهداف؛ لذا فمن المهم استصحاب المرونة لتعديل الأهداف والوسائل والأدوات كلما بدت المشكلات أكبر من تخطّيها؛ حيث إن الجهد المبذول في الوقت الإبداعي والتحضيري مهما كان متقنًا فسيبقى الواقع هو الحكم الأساس في القدرة على إمكانية التنفيذ.

يظل المسجد هو مأوى الأرواح وملتقى القلوب، فيه تتعارف فتأتلف، ومنه يتخرج الأبطال، فلا بد أن يكون لنا موطئ قدم به، وإن لم يكن ثمة مسجد في الكلية أو الجامعة؛ فالحرص على إقامته واجب، ناهيكَ عن كافة ملتقيات الطلاب في قاعة الدرس وأماكن الانتظار؛ فكلها منطلق للدعوة ومنشأ لها.

السكن الجامعي هو محضن تربويّ مهمّ؛ به يتوفر الوقت لمعالجة قضايا الطلاب وحلّ مشكلاتهم، والخروج معهم في نشاطاتهم ورحلاتهم وزياراتهم، وهو يوفّر روابط إنسانية نادرًا ما تتكون في غير بيئة المعايشة هذه، وهو الأمر الذي تتميز به تلك المرحلة العمرية التي تحمل قدرًا كبيرًا من التدفق العاطفي والرغبة في تكوين الصداقات والأصحاب، وبه تتكشف المواهب والكفاءات، وكذلك العوائق والمشكلات التي تكتنف الطلاب،

وبه تسهل المتابعة الدعوية التي هي أداة مهمة في عملية التقييم الدعوي والإشراف على عملية التطور الإيماني؛ فالسكن الطلابي مغنم دعوي، وفي مرحلة التأسيس حبَّذا لو وفرت للطلاب الجدد هذا المحضن فتقيم معهم، فتكون الرائد، ومنه ترتقي بمن اخترت.

وقت تقييمي:

وهو أهم الأوقات؛ به تَعرف أين وصلت ومن أيّ تُؤتى، والتقييم لا بد له من ضرب موعد مسبقًا، وليكن في نهاية الفصل الدراسي أو نهاية العام، وتُقَيَّم الأهداف مجتمعةً ومنفردةً، وفي كل مرحلة على حدة. وكما ذكرتُ لك لا بد أن تكون أهدافك من قبلُ مقيسةً؛ فتكون محدَّدةً بالمكان والزمان، والمستوى العلمي والإيماني... إلخ.

والتقييم نوعان: رأسي وأُفقي؛ فتطور الأعداد وزيادتها، وتشعبها بين الفِرَق، وانتشارها في الكليات المختلفة؛ هو نوع تقييم رأسي، وتطور مستوى المنتمين للدعوة، وتقدم تحصليهم العلمي، وتغير سلوكياتهم، ولين أفئدتهم للإيمان، وتوسُّع خبراتهم الدعوية؛ هذا ما نسمّيه تقييمًا أفقيًّا، وكلا الجانبين مهمّ، وبهما يؤشّر منحنى جهدك صعودًا وهبوطًا.

وأخيرًا.. تنحَّ إذا لم تستطع أن تصل إلى أهدافك التي وضعتَ، ولا تقل: «**ويأتي النبي وليس معه أحد**»[1]، والدعوة بلاغ. فهذا -وإن كان صحيحًا لا جدال فيه- إلا أنك لست ممن أوحى الله إليهم، فإن لم تستطع شيئًا فدَعْهُ، وميادين الدعوة إلى الله لا يعدمها أحدٌ، فأن تُقرئ طفلاً آية من كتاب الله وتتقن هذا، أو تُلْقِي موعظة بليغة فتُوقظ القلوب، أو تدرس

(1) جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (5752)، ولفظ أوله: « خَرَجَ عَلَيْنا النَّبيُّ ﷺ يَوْمًا فَقالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنَّبيُّ معهُ الرَّجُلانِ، والنَّبيُّ معهُ الرَّهْطُ، والنَّبيُّ ليسَ معهُ أحَدٌ، ورَأَيْتُ سَوادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أنْ تَكُونَ أُمَّتِي...».

بابًا من العلم وتعلّمه؛ خيرٌ لك من أن تتصدر –بلا إمكانات– في ريادة عمل دعويّ تربويّ يحتاج إلى عقلية تحمل رؤًى للمستقبل، وتدرك الواقع التي تتحرك به، ولديها قدرة على جذب القلوب حولها.

ولا أحدثك عن الإخلاص والعلم والعمل ونقاء العقيدة وصحة التأسي بسُنته ﷺ؛ فهذا مصحوب في كلّ عمل. وإنما ذكرتُ لك جوانب عملية إجرائية، وهي لمن ارتقى في سُلّم الوصول إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وبه مُكنة التصدر للإصلاح.

مربو الجامعة ودورهم في مواجهة الإلحاد

عمار سليمان

باحث ومُحاضر في الشأن التربوي والفلسفي

تبدأ المشكلة الإلحادية من حيثيتين تخصّان الحياة الجامعية:

الأولى: أن العلوم التي تُقدَّم بعيدة عن الإنسان وأشواقه الوجودية كما يخبرنا عالم الاجتماع (كريستن سميث) في مقاله (التعليم يغرق في الهراء)؛ حيث قال: (هذا الهراء هو فقدان الجامعة لقدرتها على التعامل مع الأسئلة الكبرى في الحياة؛ بسبب أزمتنا الإيمانية مع الحقيقة والواقع، والمنطق والدليل، والحجاج والتحضر، ومشتركنا الإنساني).

فغالبية الجامعات من حيث المبدأ لا تهتم بالوضع الإيماني لروّادها، بل الأمر عكس ذلك؛ فهي تفتح على واردها اللهو والدنيا، وتُبعده عن دينه، بل إن كثيرًا من التقارير ترى أن الجامعة -في الأغلب- تخرّج مَن ليس له مستقبل دنيوي؛ فالجامعة في وضعها الحالي لا دينًا أقامت ولا لدنيا هيّأت.

أما الحيثية الثانية فهي أن الجامعة تملأ حياة واردها وتوهمه بأن حياته مكتظة، فإذا انتهت هذه الحياة أو انقطعت لذاتها وجد ذاته فارغة، وكل هذا التكثير عبارة عن سراب وهراء يحسبه الظمآن ماءً وما هو ببالغه.

وأذكر هنا قصة حدثت مع الإمام الغزالي لها متعلّق مباشر بما سنطرح هنا، حيث وفي أثناء عودته إلى بلدته (طوس) قطع اللصوصُ عليه الطريق، وأخذوا منه مخلته التي فيها

كتبه وكراريسه؛ ظنًّا منهم أن فيها نقودًا ومتاعًا، وساروا في طريقهم، فتبعهم (أبو حامد) وأخذ يلحُّ عليهم أن يعطوه أوراقه وكتبه التي هاجر من أجلها ومعرفة ما فيها؛ وقال لهم: خريطتي لا تُفيدكم بشيء، أعيدوها إليَّ. فقال له رئيسهم: وماذا في الخريطة؟ قال: قلتُ: كتُبي؛ علوم درستها وهي محفوظة في هذه الخريطة. فضحك كبير اللصوص وقال له: كيف تزعم أنك عرفت عِلمها وعندما أخذناها منك أصبحتَ لا تعلم شيئًا وبقيتَ بلا علم؟!

يقول الإمام الغزالي في ذلك: هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاثًا حتى حفظتُ جميع ما عقلتُه، وصرت بحيث لو قطع عليَّ الطريق لم أتجرد من علمي.

فيمكن أن نُنْزِل هذه القصة على واقعنا؛ فالكثير يذهب للجامعة وكراسته الإيمانية من أوراد وصلة بالله وعبادته منقطعة؛ فعند أول طارق لباب الشبهة مع عدم وجود آلية إيمانية وعقلية سليمة يسقط الإيمان ويسقط معه الدين.

بين المراهقة وزمن التكليف:

إن المصطلحات التي نُطلقها على مرحلة عمرية معينة لا تُعد مصطلحات أو أسماءً فارغة، بل هي عبارة عن أسماء تتحرك داخل حقل دلالي حيّ؛ يترتب عليه كيف نفهم المصطلح وكيف نتصرف بناءً على فهمنا له. وأُعطي مثالاً هنا؛ فعندما نقول: دعه فهذا (طفل)؛ نحن نستبطن داخل اسم الطفل مجموعة من المفاهيم الضمنية؛ منها على سبيل المثال: أن الخطأ في حقه طبيعي؛ لأنه طفل، وأنه غير محاسَب لأنه طفل. إذًا كل مصطلح يحمل بين طياته حركة دلالية وسلوكية، وعدم إدراك قيمة هذه الدلالة فيه إشكالات كثيرة كما قال الإمام ابن حزم: «الأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد: اختلاط الأسماء، ووقوع اسم واحد على معانٍ كثيرة، فيُخْبِر المُخبر بذلك الاسم وهو يريد أحد المعاني التي

تحته، فيحمله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء والإشكال»[1].

لماذا أذكر ذلك؟ وما علاقته بمبحثنا هنا؟!

أذكر ذلك لأنبِّه المربين -وأولهم الآباء والمعلمون- على الخروج من الحمولة الدلالية للفظ (المراهق)، فهي كما يشير الدكتور عبد الله الطارقي في كتابه (دَعْه فإنه مراهق) تحمل حمولة دلالية من قبيل السفه والخفة وركوب الشر[2].

فإذا كان هذا ما تعنيه الكلمة فَتَتَّجِه سلوكيًّا بصورة لا إرادية للتعامل المتراخي مع المراهق لكونه سفيهًا ولا يدرك مصلحة نفسه. هذا ينعكس بشكل مباشر على العلاقة بالإلحاد، فنحن لا بد -من حيث المبدأ- أن نجهّز المكلَّف فور سنّ التكليف بالواجبات العلمية والعملية، وإلا نَعتبر مرحلته نوعًا من الطيش؛ لأن هذا الإهمال قد تنبت فيه أبشع بذور الشك واللامبالاة التي تقود إلى التعامل مع الدين بطريقة استخفافية؛ حيث حياته كلها قائمة على مفهوم السفه والسخافة وانعدام الاتجاه. إذًا حتى ننضج هذا المفهوم لا بد أن نركز فيما قبل المرحلة الجامعية ونبني في نفوس المكلفين عزة معرفية وسلوكية تمكنهم من الاستطالة بالحق كما يستطيل أهل الباطل بباطلهم.

وقبل أن أدخل على هذه البنية أريد الإشارة إلى إشكالية خاصة تخصّ الشباب الجامعي من الناحية العلمية والعملية؛ تخبرنا ماريو دي بولانتونيو[3] عن إشكالية عويصة في أنظمة التعليم وأنظمة العمل؛ تتمثل في أن التعليم يهتم فقط بالدراسات التي تخص الدماغ أو التفكير أو ما يسمى عقلاً، وفي ظل ذلك يتم نسيان الإنسان كناحية جسدية وروح، وكأنه

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام، (8/ 101).

(2) دعه فإنه مراهق، عبد الله الطارقي، ص179.

(3) مقال: ضيق الروح في بيئة العمل.. الدافع نحو الإبداع، تحقيق الذات، والفضول في التعليم.

آلة يتم برمجتها وإدخال المعلومات فقط، فإهمال الروح في العملية التعليمة يؤدي لإنتاج إنسان أداتي يتّجه نحو الوظيفة وفقط.

ولهذا على المربي أن يحاول إعادة مصطلح الروح للعملية التعليمية؛ فالإنسان عندما ينجز يضيف لروحه كما يضيف لمحفظته، والإنسان عليه ألَّا يترك روحه في صحراء قاحلة، حتى إذا جاءت شبهة عصفت بالرمال في عقله وأدخلته في إشكالات لا حَصْر لها.

أدخل الآن لمجموعة من النصائح العملية في بناء المربي، وفي كيفية تعامله مع الشبهات بشكل عام:

1- البناء الشرعي السليم:

على المربي أن يهتم بالبناء الشرعي السليم للمتربي؛ حيث إن كثيرًا من الإشكالات والشبهات التي تعرض يمكن حلها في حال كون المرء يملك عدة معرفية شرعية متينة، وهذا يمكّن المربي من تشخيص الشبهة بدقة دون أن يقع في إلزاماتها المغلوطة، فشبهة مثل شبهة أن القرآن به أغلاط نحوية، من السهل على طالب العلم الشرعي الإجابة بأن القرآن أحد مصادر النحو لا العكس، فيُنهي النقاش بمعرفته الشرعية المتينة.

وقد أُتيحت الآن العديد من المشاريع العلمية والمعرفية التي يستطيع المربي من خلالها أن يلتحق ببرامج متخصّصة مثل صناعة المحاور، أو برامج مساق؛ فهي تُعينه على التدرج الجيد في بناء علومه الشرعية والعقلية.

2- كثافة الاطلاع:

على المربي أيضًا أن يكون مطلعًا جيدًا على العلوم الإنسانية والتجريبية؛ لما فيها من فائدة في تتبُّع الوضع العلمي على المستوى العالمي؛ فالعلوم الإنسانية والتجريبية تمكِّن المربي

من الاطلاع المجمل على خارطة المباحث، والتي من خلالها يستطيع أن يحدّد أنماطًا فكرية مستقبلية قد تثير الإشكالات؛ فعلى سبيل المثال سنكون ملزمين بالرد على إشكالات تأتينا من علوم الجينات ومن علم الأعصاب ومن علم الاجتماع، وطبعًا لن يستطيع المربي أن يحيط بكل هذه المعارف، فماذا نصنع؟! هذا ما أُجيب عليه في النقطة الثالثة.

3- بناء شبكة علمية ومعرفية بين المتخصصين والمربين في هذه المجالات:

فهذا يساعد المربي والباحث على حد سواء في الإجابة عن إشكالات لا يتمتع المربي فيها بعلم دقيق، فعلى سبيل المثال إذا أتى للمربي إشكال فيما يخص فيزياء الكمّ؛ فالشبكة المعرفية ستعينه على طلب المساعدة من المتخصصين، وهذا بحد ذاته يزيد من قاعدتنا المعلوماتية والمعرفية على المستوى الطويل.

4- استخدام أدوات المحكمات الكونية والشرعية:

يمكن للمربي الاستعانة بأدوات المحكمات الكونية والشرعية لردّ الشبهات مجملاً؛ ليبرد نار الشبهة في قلب السائل، فعلى سبيل المثال لو أن شخصًا احتجَّ على صحة نظرية التطور ببعض الأعضاء التي لا نفهم عملها، وقال: إنه لا فائدة منها؛ فلا بد أنه لا يوجد خالق تام العلم يخلق شيئًا ناقصًا. فنقول له: إن محكم الجسد منظّم تنظيمًا باهرًا، وإذا وُجِد شيء لا نفهمه يُعتبر متشابهًا، والعاقل من يرد المتشابه للمحكم لا العكس، فلا بد أن لهذا المتشابه الذي لم نفهمه محكمًا وهو النظام المتقن شديد الإتقان.

5- المعرفة قبل الرد:

على المربي أو الذي يتعامل مع فئة الشباب ألّا يتعجل في الدفاع قبل المعرفة، فإذا أتاه

سؤال من متشكّك ولم يعرف إجابته عليه أن يطلب الوقت، ولا يتعجل في الإجابة؛ لأنها ستضعه ودينه في موقف محرج، فالمشكّك أو السائل قد يكون المربي المتدينُ هو الدينَ بالنسبة به. وأذكر مثلاً على ذلك أن أحد المتشجعين حين سُئل عن نظرية داروين أجاب بكل ثقة: لقد سقطت في الغرب!! وهذه إجابة خاطئة كليًّا، وتعطي للملحدين فرصًا للاستهزاء والدخول إلى قلوب الشباب بالمجان.

6- استخدام الإلزامات الإلحادية:

على المربي أن يكون حاذقًا في الإلزامات التي يفرضها الإلحاد على نفسه؛ حتى يختصر الطريق على السائل المتشكك أو السائل القاصد للشر. ولأضرب مثلاً على ذلك: ألحدتْ أُنثى بسبب اغتصاب ابنها وقتله، ونحن هنا نستوعب الهزَّة التي حصلت لها، فهي مرعبة على الجانب الإنساني، لكن الانتقال بسبب هذا للإلحاد هو اهتزاز عاطفيّ ومتسرع، فماذا سيفعل لها الإلحاد؟!

لنأخذ السيناريو إلى أقصاه؛ فالإلحاد يؤمن أن البشر ليس لديهم قيمة مميزة تختلف عن باقي ما في هذا الكوكب، فإن كنا مجموعة حثالات بيوكميائية كما قال ستيفن هوكنج؛ فماذا يعني اغتصاب طفل وقتله؟! لماذا سيكون هذا غلطًا؟! لن يجد الإلحاد إجابة، بل الأكثر مرارة أن الإلحاد قد يتوقف عن الجواب ولا يعلم إن كان هذا الفعل صحيحًا أم خطأ، فكاهن الإلحاد ريتشارد دوكنز قال: ما الذي يدفعني للقول بأن هتلر كان مخطئًا؟! يقصد بذلك حرقه لليهود.

بل المصيبة الأكبر لو خرج لنا مؤمن بنظرية التطور وقال: لا إشكال أن يأكل القوي الضعيف ويستغله في كل المستويات، فبِمَ سنجيبه من الناحية الإلحادية؟! لا شيء.

وعليه فعند فحص المذهب الذي انتقلت له هذه المرأة نجد أنه يزيد الإشكال ولا يحله.

وأخيرًا.. على المربي أن يكون واعيًا ومنتبهًا، لا سيما في هذه المرحلة الحرجة من حياة المتربي؛ فهي مرحلة الاحتكاك المباشر بينه وبين الأفكار الإلحادية، التي يكون فيها عقله تربة خصبة بدرجة كبيرة لامتصاصها والتفاعل معها.

نسأل الله أن يحفظ أبناءنا، ويُعين مربينا على أداء رسالتهم على الوجه الأمثل.

الكيانات الدعوية.. لماذا الحدود تراب؟!

محمد الغباشي

المدير التنفيذي لمنصة (رواحل)

من أهم التمارين التي يتدرب عليها طلاب العلوم السياسية لتطوير قدراتهم التحليلية في مجالات العلاقات الدولية: أن يمسك الطالب بخريطة، ويُمعن النظر فيها ويدرسها، متجاهلاً الحدود السياسية الموجودة عليها؛ كي يتسنَّى له رؤية الوضع الحقيقي للعلاقات الدولية. ويسفر هذا التمرين عن تكوين بنية أساسية من شأنها توسيع الآفاق الذهنية للطالب نحو رؤية بعيدة المدى. فالحدود السياسية تمثل أحد المعطيات الثابتة في العلاقات الدولية، إلا أن هذا يحول أحيانًا دون قدرة السياسيين على رؤية مجالات التأثير ذات المدى الطويل.

موضع الشاهد في هذه الفقرة هو مسألة تدرّب السياسيين وخبراء العلاقات الدولية على تجاهل الحدود السياسية بين الدول؛ كي يتمكنوا من تطوير قدراتهم التحليلية في المجال محل الدراسة. فإذا استثمرت الكيانات والمؤسسات الإسلامية هذه المنهجية في المجال الحركي والتربوي المؤسسي لتطوير نفسها وقدرات أفرادها، بل ولتطوير فكر الحركة الإسلامية بصورة عامة فيما يخصّ هذا الجانب؛ فيمكننا القول: إنه من الضروري على قادة تلك المؤسسات في أيّ إقليم أو قُطر أو مدينة أن ينمّوا لديهم مَلَكة النظر بين الحين والآخر إلى الخريطة الدعوية الواسعة، متجاهلين الحدود بين كياناتهم أو مجموعاتهم أو جمعياتهم، أو حتى دُولهم أحيانًا، فينظروا إلى تلك المؤسسات نظرة أشمل على أنها تكتل واحد كبير، بين أعضائه أرضية مشتركة ضخمة، والفروق البينية بينهم ليست إلا كما الفروق الفردية بين الأشخاص، قد تكون مؤثرة على التفكير والسلوك الفردي وتبنّي بعض القضايا المحورية،

لكنها لا تعزلهم عن بعضهم، ولا تعادي بينهم، بل يظلون جزءًا من كيان رساليٍّ كبير له هدف استراتيجي واحد.

يضاف إلى ذلك: النظر إلى تلك الفروق والاهتمامات على أنها اختلافات نتجت عن تباين التخصصات والرؤى الجزئية فحسب، فالكيانات ذات التخصص «السياسي» على سبيل المثال ربما يكون لها تصور «تربوي» مختلف عن الكيانات ذات التخصص «العلمي» مثلاً، فالأولويات التعليمية والتربوية لها ستكون مختلفة عن نظيرتها التي تنشئ عليها أفرادها والمنتمين إليها في الكيان الآخر. والأخرى ذات التخصص «العلمي» ربما يكون لها اختيارات «فقهية» مثلاً مختلفة عن نظيرتها ذات التخصص «السياسي»... وهكذا؛ نظرًا لاختلاف حقل عمل كل منهما أولاً، ولاختلاف البيئة ثانيًا، وربما لاختلاف الرؤية والنظرة للواقع ثالثًا.

وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى تعددية النظرة إلى الأحداث والوقائع وتحديد الأولويات بما لا يتنافى مع المبادئ الأساسية الحاكمة لكل منها، فما يعد أولوية في قُطر أو إقليم ليس بالضرورة أن يكون أولوية في إقليم آخر، والقضية المحورية لدى كيان سياسي ما بالتأكيد ستكون مختلفة عن مثيلتها لدى كيان تربوي أو علمي مثلاً. والمنوط به تحديد تلك الأولويات هو الكيان نفسه لا أي كيان أو تجمع أو مجموعة أخرى. أما في القضايا المصيرية التي تلقي بظلالها على الجميع فلا مناص فيها من رؤية تجميعية واحدة تحدد الهدف وتوحد المصير.

إلا أن واقع الكثير من الكيانات الدعوية والإسلامية مختلف تمامًا عن ذلك، وهو ما أصاب بعضها بانتكاسات وخسائر في كثير من المجالات؛ نظرًا لضعفها في مجال ما أحيانًا، أو قصور رؤيتها في مجال غير مجال تخصصها، أو تقديرها الخطأ للأولويات في محيط إقليمها أو قُطرها، فالبعض لا يزال قابعًا خلف حدود كيانه ومؤسسته فحسب، لا يجاوزه ولا يتعداه، لا في النظر، ولا في التعاون، ولا على مستوى الممارسة الواقعية على الأرض، ولا

حتى على مستوى التماس الأعذار في إصدار الأحكام على الآخرين، فلا يكاد يرى سوى ظِلِّه ورؤيته الشخصية التي ربما تناسبه ولا تناسب غيره تبعًا لتغير الزمان والمكان والحال والاهتمامات، فيظل حبيس عملية التنظير الحالمة البعيدة تمام البعد عن واقع الكيانات الأخرى. فيحكم على تجارب الآخرين من خلال رؤيته هو أو تجربته السابقة فحسب، ولا يراعي التعددية المكانية والزمانية التي تنبني عليها كثير من الأولويات والرؤى. يحدث هذا كله في الوقت الذي تمكّن فيه العالم بكثير من تكتلاته الكبرى من فهم هذه المعضلة، رغم ما بين أعضائه من اختلافات جوهرية في العقيدة واللغة والثقافة والسياسة، فتناسى الحدود والاختلافات لأجل الاجتماع على هدفٍ ما يوحد جميع الجهود لتحقيقه واقتناصه.

لماذا نحتاج لنزع الحدود؟!

تأتي أهمية هذه النظرة المنتزعة للحدود للكيانات الإسلامية في الآتي:

1- تحديد قوتها الحقيقية مجتمعةً بناءً على هذه النظرة الشاملة؛ فهناك من المشروعات ما يفوق قدرة مؤسسة أو كيان أو مجموعة واحدة، وهذا هو الوضع الأغلب في المشروعات الاستراتيجية الكبرى التي تهدف إلى إحداث تغيرات وتحولات كبيرة في المجتمع على المدى الطويل، فمن الحكمة حينها اشتراك أكثر من مجموعة أو كيان في تنفيذ تلك المشروعات والإشراف عليها، خاصةً تلك المشروعات التي تحتاج مدى زمنيًا طويلاً وجهودًا مكثَّفة لتحقيق النتائج المرجوة، فمحدودية إمكانات بعض الكيانات تصيب في كثير من الأحيان أفرادها بالإحباط؛ إما بسبب عدم القدرة على خوض التجارب الكبرى من حيث الأصل؛ فيشعر الأفراد بحالة من التقزم والضعف، وإما بسبب الفشل الذي يواجهونه عند خوضها لعدم تمتعهم بالإمكانات المادية واللوجستية اللازمة.

بالإضافة إلى أن تلك القوة الحقيقية المجتمعة يمكن استخدامها كورقة ضغط في كثير

من المجتمعات للحصول على مكاسب سياسية أو اجتماعية، كسنّ القوانين أو تغييرها، أو اتخاذ قرارات سيادية أو التراجع عنها بما يتناسب مع المصلحة العامة للمجتمع. وهذا واقع كثير من اللوبيات في مناطق عدة من العالم، يجمعهم هدف -ولو جزئي- رغم ما بينهم من اختلافات ربما تكون كبيرة للغاية في بعض الأحيان.

2- استثمار مواطن الاتفاق والمشتركات الدعوية بين المؤسسات المختلفة في إضفاء بُعْد تعاوني، والظهور بمظهر أقوى في مواجهة الأفكار المشوَّهة، وشَغل مساحات أوسع في التأثير، واستلاب نقاط التمركز الهدامة من أيدي العابثين. ففي حالة وجود حالة تنافسية بين العديد من الاتجاهات والتيارات في مجال ما فإنه من الحكمة انضمام الكيانات ذات الاتجاهات المتسقة إلى بعضها لتكوين كتلة قوية كبيرة بدلاً من الكتل الصغيرة الضعيفة أو الهشَّة أو ذات الأثر المحدود، وهذا من شأنه بلا شك أن يزيد من فرص التفوق في هذا الميدان التنافسي.

3- الاستفادة من نقاط القوة لدى كل مؤسسة أو تجمُّع؛ فكل مجموعة من المجموعات والكيانات لها ما يميزها من التخصصات، سواء الدعوية أو التربوية أو العلمية أو السياسية أو غيرها، وتفوَّقَ فيها أعضاؤها، وذلك بناءً على اهتمامات أفرادها، أو تخصص قياداتها، أو رؤيتها المستقبلية، أو رسالتها. والتعاون في تبادل الخبرات فيما بين المؤسسات سيصبّ في النهاية للصالح العام لتطوير المؤسسات وتخصصات الأفراد. وبدلاً من حيازة أرباب كيانٍ ما للسبق في مجال واحد مع تضاؤل إلمامه المعرفي بالمجالات الأخرى فيمكن لكل فريق سدّ الثغرة التدريبية لدى الفريق الآخر وتكوين قاعدة معلوماتية أساسية لأبناء الكيان الحليف.

4- استشراف المستقبل، وتحديد رؤية بعيدة المدى لما يمكن أن تؤول إليه الأوضاع في الغد، وتوقُّع المشكلات والمخاطر التي قد تصيب المؤسسات والكيانات، وإيجاد مخرج مبني على تلك الرؤية الاستشرافية، بلا مبالغة في تحديد الإمكانات، ولا تقليل من شأن القوة

الدعوية الموجودة في الإقليم، بل بحساب دقيق ونظرة متفحصة في الواقع على الأرض. وهو أمر ربما لا يتسنَّى إلا من خلال التقدير الحقيقي ورفع الحدود الفاصلة بين التجمعات والكيانات والمؤسسات.

إن من شأن ذلك أن يخلق للمؤسسات الدعوية بُعدًا استراتيجيًّا وحركيًّا مختلفًا عن وضعها المشتَّت الحالي، والذي من الممكن أن يكفل لها حالة من الاتزان في اتخاذ القرارات التوسعية أو الانكفائية أو الاكتفائية لكن بناءً على تحليلات دقيقة ورؤية أشمل للواقع الدعوي والحركي.

الحدود السياسية كما عرّفتها كُتب العلاقات الدولية: هي خطوط وهمية من صُنع البشر، ولا وجود لها في الأصل. وهي وإن كانت وهمية في الرسم إلا أنها ليست وهمية في الحقيقة، فقد صار لها أثر سياسي وقانوني في العصر الحديث، ونحن إذ ندعو لإطلاق العنان لأذهاننا في تصور وضع حركي ودعوي متحرّر من «الحدود السياسية»، إلا أننا نتمسك بوصفها كما هي، لا على سبيل أنها وهمية، ولكن دعونا نقول: «شبه» وهمية، فهذا يمنحنا قدرًا أكبر من التحرُّر في النظر للكيانات الأخرى من جانب، وقدرًا آخر من الانتماء للكيان الأساسي من جانب آخر.

ختامًا..

الحدود تمثل أحد المعطيات الثابتة في العلاقات بين المؤسسات، وهي مما ينبغي اعتباره والتعامل معه، غير أن هذا المعطى يحول دون قدرتنا على رؤية مجالات التأثير ذات المدى الطويل إذا تشبثنا بوجوده الصلب، وضخَّمنا من حجمه الضئيل، لكن إذا قدرناه بقدره، ولم يكن سوى مجرد إطار لتحديد المسؤوليات والانتماءات الفرعية والاهتمامات، وتعاملنا معه على هذا الأساس؛ فيمكننا حينها الاستفادة من وجوده، ووضعه في موضعه الصحيح.

الثقافة الغربية وأثرها في تديُّن الشباب

ماجد الأنصاري

أستاذ مساعد في علم الاجتماع السياسي بجامعة قطر

مع تطوّر الحياة المدنية، ودخول العولمة إلى كل بيتٍ، بدأت الهويّات المحلية في الاضمحلال تدريجيًّا لصالح هويّةٍ عالميةٍ ذات مسحةٍ غربيةٍ، وربما يبدو ذلك أوضح لدى فئة الشباب التي تتعرَّض للثقافة الغربية في كل مناحي الحياة، فالتعليم الغربي يجتاح العالم، والأفلام والمسلسلات الغربية تحوّلت إلى أفضل وسيلةٍ لملء وقت الفراغ، ومطاعم الوجبات السريعة صارت الوجهة الرئيسة للجوعى.

الثقافة الغربية اليوم تفرض نفسها علينا -شئنا أم أبينا-، ولكن السؤال المهم هو: ما تأثير ذلك على القيم الرئيسة في المجتمع؟ هل فعلاً شبابنا اليوم يفقدون اتصالهم بدِينهم وإيمانهم؛ جرّاء هذه الثقافة الغازية أم أن القيم الأصيلة تبقى ثابتةً أمام هذه الموجة؟

لنتعرف إلى إجابة هذه الأسئلة؛ نستعرض نتائج دراسة أجرتها جامعة قطر عام 2013م حول القيم الدِّينية، ومنها نستخرج نتائج بعض مؤشرات التدين لدى الشباب.

الدراسة كانت بعنوان «مسح التناغم الاجتماعي»، ونفذت على عينةٍ ضمّت 1732 مواطنًا، تم اختيارهم بناءً على نظام العينة العشوائية المنهجة، بشكلٍ يمثّل المجتمع القطري، ومن هذه العينة نستعرض اليوم نتائج إجابات 447 مواطنًا شاركوا في الدراسة، كانت أعمارهم بين 18 و24؛ لنتعرف إلى مستويات التدين لدى هذه الفئة العمرية.

المؤشر الأول: حول صلاة الفجر، فقد سألت الدراسة المشاركين ما إذا كانوا يصلون الفجر بانتظامٍ، فأفاد 34 ٪ من الشباب أنهم يصلّون صلاة الفجر في وقتها يوميًّا، بينما أفادت 40 ٪ من الفتيات ذات الأمر، ونشير هنا إلى أن معظم المشاركين المتبقين أفادوا أنّهم يصلّون الفجر في وقتها أكثر من مرةٍ في الأسبوع، ولكن يتضح من النتائج أن هناك نسبةً أعلى من الفتيات أفَدْنَ التزامهنَّ بالصلاة في وقتها يوميًا.

استخدمت الدراسة مؤشرين لقياس حكم الشباب على تديّن الآخرين:

المؤشر الأول: مدى موافقة المشارك على أن من لا يصلي بانتظامٍ من الممكن أن يعتبر متدينًا، ويلاحظ هنا أن نسبةً أعلى، وبشكلٍ ملحوظٍ من الفتيات أفَدْنَ الموافقة؛ حيث بلغت النسبة ٪27 للفتيات، و٪12 للشباب، وهذه النتيجة تدلّ على أن الشباب أكثر تشدّدًا من الفتيات في حكمهم على الآخرين.

ويتضح ذلك أكثر حين نشاهد نتائج المؤشر الثاني، فقد قَبِلتْ خُمْس الفتيات اعتبار المرأة التي لا تلبس الحجاب متدينةً، بينما كانت النسبة ٪13 بالنسبة للشباب، وهنا يتضح الفرق في طبيعة التدين بين الشباب والفتيات؛ حيث يبدو الشباب أكثر حِدّةً في حكمهم على تديّن الآخرين، ولكنهم أقلّ التزامًا بالشعائر من الفتيات.

وأخيرًا: نستعرض نتيجة المؤشر الأهمّ للعاملين في الحقل التربوي، وهو المشاركة في الأنشطة الدينية، وهنا تساوت نسبة الشباب والفتيات الذين أفادوا بأنهم يشاركون في هذه الأنشطة، والتي تم تعريفها للمشاركين بأنها النشاطات ذات الطابع الدِّيني، مثل المحاضرات الدِّينية، وحِلَق تحفيظ القرآن، وحسب النتائج يشارك ربع الشباب والفتيات في أنشطةٍ من هذا النوع، وهي نسبةٌ كبيرةٌ، ولكن لا بدّ أن نتذكر أن هذه المشاركة قد تكون

مقتصرةً على حضور فعالياتٍ عامّةٍ، ولا يعني أن المشارك ملتزمٌ بحضور هكذا فعالياتٍ على الدوام.

من خلال النتائج التي استعرضناها أعلاه نخلص إلى ثلاث نتائج مهمة:

النتيجة الأولى: إن العاملين في الحقل التربوي بحاجةٍ إلى تركيزٍ أكثر على العبادات؛ حيث أفادت نسبةٌ غير بسيطةٍ من الذين استُطلِعت آراؤهم أنهم لا يصلون الفجر بانتظامٍ، علمًا بأن هذه الأسئلة تأتي عادةً بنتائج فوق الحقيقية؛ لأن المشارك يُصاب بحرجٍ اجتماعيٍّ من الإجابة بالنفي؛ ولذلك ننصح أن يركّز المربّون في الفعاليات التربوية الخاصة والعامة على قيمة صلاة الفجر وأهميتها.

النتيجة الثانية: إن هناك تباينًا واضحًا في تقييم التديّن بين الشباب والفتيات؛ وعليه فلا بدّ من دراسة الأسباب التي تجعل الفتيات أكثر تساهلاً في ترك أوامر شرعيةٍ رئيسةٍ -كالصلاة، والحجاب-، لذا ننصح العاملات في الحقل التربوي بالتركيز على خطورة ترك هذه الأوامر الشرعية، وما يترتب عليها.

النتيجة الثالثة: إن 3 من كل 4 من الشباب والفتيات في مجتمعنا لا يشاركون في أيّ أنشطةٍ دينيةٍ؛ مما يعني أننا بحاجةٍ إلى توسيع دائرة المشاركة في هذه الأنشطة من خلال الوصول إلى شريحةٍ أكبر، وتطوير الفعاليات الملتزمة والدِّينية؛ بحيث تكون أكثر جاذبيةً لهذه الفئة العمرية.

ختامًا نقول: إن التعرف إلى الشباب قبل البدء في العمل معهم مسألةٌ غايةٌ في الأهمية، فهذه الفئة العمرية بحاجة إلى دراسةٍ وفهمٍ؛ حتى نستطيع -مربين، ودعاةً- أن نخاطبهم بلسانٍ يتناسب مع احتياجاتهم ومواقفهم، ففي كثيرٍ من الأحيان نجد المناشط التربوية

تصمّم البرامج باعتبار ما يريده ويتصوّره المشرف ومسؤول النشاط، لا بناءً على واقع الشباب، والتحديات التي يواجهونها.

ونتمنى أن يكون هذا المقال خطوةً في طريق فَهْم شبابنا، واستيعاب مواقفهم؛ حتى تكون رسالتنا التربوية علميةً ومنهجيةً.

معايير اختيار الكفاءات الدعوية

عصام محمد خضر

كاتب وباحث في الدراسات الإسلامية

المتأمل في سيرة النبي ﷺ يجد اهتمامًا كبيرًا بمعيار الكفاءة في تولّي المناصب، وأنه ﷺ ربَّى أصحابه -رضوان الله عليهم- على هذا المبدأ.

ولا شك أن الكفاءة شرط مهم لابد من توفره لمن يتولى ولاية معينة، أو يقوم بأمر من أمور الدعوة والتعليم، وهي تختلف بحسب الواقع وبحسب الحاجة، تبعًا للظروف المختلفة.

تقديم الكفاءة على الثقة في السيرة النبوية:

وقد استعان النبي ﷺ بعبد الله بن أريقط وهو على غير ملة الإسلام؛ ليكون دليله في دروب الصحراء وطرقها عند الهجرة إلى المدنية. ولما فتح النبي ﷺ مكة وتسلَّم مفاتيح الكعبة من بني شيبة طلبها منه العباس ليجمع له بين سقاية الحاج وسدانة البيت؛ فأنزل الله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[1]؛ فقام بدفع مفاتيح الكعبة إلى بني شيبة، وهذا يعني وجوب إسناد كل عمل من أعمال المسلمين للأصلح والأكفأ لذلك العمل.

وكانت رؤيته ﷺ أن يُولّي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح مَن يجده لهذا العمل،

---

(1) سورة النساء، الآية: 58.

ولم يضطر النبي ﷺ في حياته ورسالته أن يولّي ثقة غير كفء لعدم وجود الكوادر القيادية، العلمية، الدعوية، التربوية لإدارة الأعمال.

وعندما أراد النبي ﷺ أن يرسل ولاةً إلى اليمن أرسل في البداية معاذ بن جبل، ثم بعده أبا موسى الأشعري، وأخيرًا عليّ بن أبي طالب؛ فقد كان ﷺ يختار الأنسب صاحب الكفاءة، ولم يُعرَف عنه ﷺ طوال حياته التزكية أو التعيين لكونه ثقة دون اعتبار الكفاءة.

فيجب على كل مَن ولي أمرًا من أمور المسلمين أن يستنيب ويستعمل فيما تحت يده أصلح من يجده، حتى يشمل ذلك كل مناحي أمور الدعوة؛ من أئمة الصلاة، والمؤذنين، والمقرئين، والمعلمين، وغير ذلك، والصلاحية في كل ولاية بحسبها، وبحسب المتاح من ذوي الكفايات النسبية، واستفراغ الجهد للوصول إلى أفضل الموجودين، لتحقيق المصلحة الراجحة.

ولا يُقدَّم الرجل لكونه طلب الولاية، أو سبق في الطلب، بل يكون ذلك سببًا للمنع، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي فقال أحد الرجلين: أَمِّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: «**إنَّا لا نولّي هذا مَن سأله، ولا مَن حرص عليه**»[1]. وقال لعبد الرحمن بن سمرة: «**يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها...**»[2].

فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو صداقة، أو محاباة مَن يداهنه، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما

(1) صحيح البخاري (7149).

(2) صحيح البخاري (7147).

نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

وعن الحسن أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدِّثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: «ما مِن عبدٍ استرعاه الله رعية فلم يُحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ولي من أمر المسلمين شيئًا فغشَّهم فهو في النار»[3].

وقد دلت سُنة رسول الله ﷺ على أن الولاية أمانة يجب أداؤها، مثل قوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه في الإمارة: «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدَّى الذي عليه فيها»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟! قال: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[5].

فكان إسناد الأمر إلى غير ذوي الصلاحية والكفاية مدعاةً لاختلال الأحوال لدرجة تُفضي إلى انفراط النسق الكوني، وفساده، وقيام الساعة، لعظم جرمه، وشدة وقعه.

---

(1) سورة الأنفال، آية: 27.

(2) صحيح البخاري (7150).

(3) صحيح الترغيب والترهيب (2206).

(4) صحيح مسلم (4823).

(5) صحيح البخاري (1/23) رقم: (59).

إذا عرف هذا، فليس على مَن تولى ولاية أن يستعمل إلا أصلح الموجود، وقد لا يكون في موجوده من هو أصلح لتلك الولاية، فيختار الأمثل فالأمثل في كل منصب بحسبه، وإذا فعل ذلك بعد الاجتهاد التام، وأخذه للولاية بحقها، فقد أدَّى الأمانة، وقام بالواجب في هذا، وصار في هذا الموضع من أئمة العدل المقسطين عند الله، وإن اختلَّت بعض الأمور بسبب من غيره، إذا لم يمكن إلا ذلك، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[2]، وقال في الجهاد في سبيل الله: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[4]. فمن أدي الواجب المقدور عليه فقد اهتدى، وقال النبي ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأْتُوا منه ما استطعتم**»[5]. لكن إن كان منه عجز بلا حاجة إليه، أو خيانة؛ عُوقِبَ على ذلك.

وهذا يؤكد أهمية الحرص على دقة اختيار الأعوان واصطفائهم على أساس: «الاقتدار، والكفاية، والعلم، دون محاباة ولا إيثار؛ فإن الأثرة بالأعمال، والمحاباة بها جماع من شُعَب الجور والخيانة، وإدخال الضرر على الناس.

وقد اعتبر الإمام الشاطبي تولية غير الأكفاء من الأقرباء، وأهل الثقة، دون ذوي الصلاحية؛ بدعة محرمة في الدين.

---

(1) سورة التغابن، آية: 16.

(2) سورة البقرة، آية: 286.

(3) سورة النساء، آية: 84.

(4) سورة المائدة، آية: 105.

(5) صحيح البخاري (9/ 117) رقم: (7288).

وعندما يفلس المربون والقائمون على إدارة الأعمال الدعوية، ويعجزون عن إيجاد كوادر في كافة التخصصات يستطيعون من خلالها الاختيار الأنسب لإدارة الأعمال في كافة المواقع؛ حينئذ يلجؤون في التولية لإدارة الأعمال من يثقون بهم -وإن لم يستطيعوا القيام بما يُسند إليهم من أعمال على الوجه الأكمل- دون اعتبار الكفاءة في إدارة الأعمال، ناسين أو متناسين خطورة هذا الأمر.

توجيهات في اختيار الأكفاء:

ولا شك أن نقص الكفاءة في الأعمال الدعوية يُعد عائقًا يسبّب وهنًا وضعفًا في العمل الدعوي؛ ما يتحتّم على المؤسسة الدعوية الأخذ بجدية لعدة أمور ليستقيم لهم الأمر:

أولاً: أن يتناسب التوسع الأفقي مع التوسع الرأسي؛ حتى لا تسقط مواقع بُذِلَ فيها الغالي والنفيس.

ثانيًا: الجدية وبذل الجهد في تربية وبناء وإعداد كوادر علمية، تربوية، دعوية، ثقافية، فكرية، تتمتع بكفاءة عالية في إدارة مجالات الدعوة، وإلا فالسير في المحل.

ثالثًا: وضع برامج دعوية يومية لكل داعية يسير في عمله بناءً عليها، وتتم متابعة الداعية عن طريق المشرف الدعوي لهذا العمل، وعن طريق إرسال تقارير شهرية إلى اللجنة المختصة بذلك. ومن خلال زيارات دورية يقوم بها مسؤولو اللجان المختصة بذلك؛ حيث يتم توجيههم وإرشادهم.

والحرص على رفع المستوى الشرعي والدعوي لهؤلاء الدعاة وتطويرهم عن طريق الدورات الشرعية، والملتقيات الدعوية.

وضمانًا للمحافظة على مستوى الدعاة والارتقاء بهم؛ يمكن إعداد منهج شامل لكافة

أبواب العلم، يلتزم الدعاة بدراسته وإتقانه، كما تهيئ لهم القيادة دورات مكثّفة لرفع قدراتهم العلمية والدعوية، والإدارية، وفي نهاية كل دورة يعقد امتحان تحريري وشفهي لقياس التحصيل العلمي لكل داعية ومدى جديته في طلب العلم.

رابعًا: تقوى الله ومراقبته ﷻ في تولية المناصب ومراعاة الأكفأ وتوليته، لا سيما وإن كانت هناك قواسم مشتركة وخلاف تنوع يجمع العاملين يمكن العمل والتعاون بين الدعاة مع وجود هذا الخلاف، أو ترك ما لديها من مواقع ما دامت لا تجيد إدارتها أو ليس عندها الكوادر الأكفاء لإدارتها.

خامسًا: تربية الداعية ليكون قائدًا ربانيًّا وليس موظفًا كل همّه أن يقوم بما كُلِّف به، ثم ينصرف دون النظر بجدية لما قام به، والتأكد من أن ما يقوم به يُؤدَّى بشكل صحيح متقَن ووفق أعلى كفاءة.

سادسًا: تطوير العمليات الدعوية، وضبطها من خلال المعايير المعتمدة لكل عناصر العملية الدعوية، من أهداف، ومحتوى، ودعاة، ومتابعة إدارية ومراقبة للعمل منذ بدايته، وتقييم الأداء الدعوي الحالي، والوقوف على أوجه الخلل في أركانه ومجالاته، وتجنّب الوقوع في هذه الأخطاء في المستقبل.

سابعًا: السيطرة على المشكلات والفساد الإداري الذي يصيب الدعاة في بعض الأحيان، ووضع آليات داخلية لعلاجها.

ثامنًا: تجنُّب تقديم الدعاة الذين تنقصهم الكفاءة، ومن تعوزهم الخبرة، أو من ليسوا أهلاً لها، فضعيف الكفاءة وقليل الخبرة أنَّى له أن يُخرِج عملاً دعويًّا، علميًّا، تربويًّا، متقنًا، أو يجيد التخطيط للأنشطة الدعوية، ولا شك أن هذا الضعف يؤثر سلبًا على العمل، فيُفقده ثمرته المرجوة، ونتيجته المنتظرة.

تاسعًا: سعة صدر المؤسسة الدعوية، وقبول النقد البنَّاء بالأسلوب المهذَّب، واستيعاب الآراء التي تهدف لتصحيح المسار ودفع الدعوة إلى الأمام، فالعمل على إسكات المخالفين أو إقصائهم عن العمل الدعوي إراحة للبال، أو التخلص ممن ترى أنه لا يوافقها في كل ما تراه وتنتهجه، من أخطر ما تواجهه الدعوات، وهو نذير شؤم يؤدي لسقوطها، أو ظهور جيوب تعيق حركتها، والدخول في دائرة المعاناة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أَرْشَفَة التجارب الدعوية والتربوية..

مُستودَع الخبرات

عبد الرحمن ضاحي

باحث دكتوراه في الدراسات الإسلامية - جامعة الزيتونة

تَنَقَّلْتُ بين عددٍ من المحاضن التربوية -كمُشرِف تربوي-، وعلى تنوُّع تلك المحاضن وتغيُّر البيئات؛ لاحظتُ بَذْل القائمين عليها جهدًا جَهيدًا في التحضير والتخطيط للأنشطة، كما يتطلَّب منهم الأمر بذل جهد أكبر في وَضْع المناهج لمختلف المراحل ووسائل التعليم والإلقاء. وبالنظر من الأعلى لجميع تلك المحاضن وَجَدتُّ أنَّ هناك خطوةً إجرائيةً ما تتكرَّر؛ وهي التخطيط للنشاط وبَذْل الجهد في العَصْف الذهني لتوليد الأفكار والألعاب وطُرُق التعلُّم المُستخدَمة، وهو ما يستنزف كثيرًا من الجهد والوقت المبذول للتحضير.

العجيب أنَّ كل كِيَان من هذه الكِيَانات كان يتعامل مع العملية التربوية وكأنه أول مَن يقوم بها في التاريخ؛ فيَصُوغ المناهج من الألف إلى الياء، ويَعْصِف ذهنه في التخطيط وكتابة الدراسات للأنشطة وكأنه أول مَن أتى بالفكرة! وللأسف يأتي مَن بعدهم -وقد يكونوا من نفس الكِيَان- ليكرِّروا نفس التجربة المُستنزِفة للجهد والوقت، ونَظَل نَدُور في حلقة مُفرَغة من الاستنزاف!

ولكن لَمَّا دَخَلْتُ بعض محاضن الخليج التربوية (المؤسسية)؛ وَجَدتُّ إجراءً مُتميِّزًا يتَّبعونه في تنفيذ أنشطتهم؛ وهو «أَرْشَفَة ملفات الدراسات الخاصة بالأنشطة»؛ بحيث يستفيد منها مُشرِفو الحلقات في كل عام؛ هي عمليَّة شبيهة بالأَرْشَفَة في المصالح الحكومية،

لكنّها ليست أَرْشَفَة البيانات، وإنما هي أَرْشَفَة الدراسات الخاصة بالأنشطة؛ حيث لا يتكرَّر الجهد المبذول في التخطيط للأنشطة نفسها.

أغلب الكِيَانات التربوية لا تهتم بهذا الإجراء رغم أهميته وفائدته في حِفْظ الجهد والوقت! حتى إنَّ المشاريع التربوية الإلكترونية البحثية لا تُولِي هذا الأمر اهتمامًا، وهو تأسيس رُكْن لأَرْشَفَة الدراسات وأفكار الأنشطة والمناهج؛ بحيث تستفيد منه الكِيَانات الأخرى، وتبدأ من حيث انتهى الآخرون، ولا تستنزف من طاقة أبنائها ولا وقتها.

أَرْشِيف أشبه بمُستودَع الخبرات؛ فيه كل الأنشطة والأفكار والدراسات التي لا يتخلَّى عنها أي كِيَان تربوي، تُكتَب بشكلٍ عامٍّ أو تفصيليٍّ، وكل كِيَان يستفيد منها بقَدْر ما يناسب بيئته وزمانه ومكانه، أَرْشِيف يُعلِّم الأجيال الجديدة مما تَعَلَّم رُشْدًا.

الاستفادة من الخبرات في القرآن والسُّنة:

قصص القرآن كانت خير ما يُلهِمُنا فكرةَ أَرْشَفَة التجارب؛ فقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[1]؛ قال الطبري رحمه الله: «لقد كان في قصص يوسف عليه السلام وإخوته عِبْرة لأهل الحِجَا[2] والعقول يَعتبرون بها، وموعظة يتَّعِظون بها»[3]؛ فالله تعالى قَصَّ لنا القَصَص للاستفادة من التجارب التي ذُكِرَت فيها والاسترشاد بها، فهي بمَثَابَة خلاصة تجارب إنسانية لهداية أهل الإيمان بها.

وخير دليل على ذلك قصة أصحاب الكهف؛ حيث كانت القصة مُلهِمَةً للنبي ﷺ

(1) سورة يوسف، آية: 111.

(2) الحِجا: الذكاء والحِكْمة والفِطْنة.

(3) ابن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، 16/ 312.

وصحابته ﷺ لتنفيذ فكرة الهجرة والفِرَار بالدِّين، وأعطتهم القصة الخطوط العريضة للتنفيذ؛ حيث الفِرَار بالدِّين إلى مكان آخَر غير الذي يعيشون فيه بين أهل الكُفر، كما أنَّ هجرة النبي ﷺ وصحابته ﷺ كانت هجرةً جماعيةً، وكان لا بُدَّ من الحذر فيها، مع تغيير التفاصيل وفقًا للبيئة والزمان والمكان.

وَجْه المُقارَنة	أهل الكهف	هجرة الحبشة
الفكرة	الهجرة	الهجرة
المكان	كهف خارج البلد	الحبشة
صفة الهجرة	جماعية	جماعية
الغرض من الهجرة	الفِرَار بالدِّين، وحِفْظ النفس	الفِرَار بالدِّين، وحِفْظ النفس
الاحتياطات	الحذر حتى لا يشعر بهم أحد	تسلُّل وتَخَفٍّ حتى لا تلاحقهم قريش

كل تلك العناصر كانت مشتركة بين هجرة أهل الكهف وبين هجرة الصحابة إلى الحبشة؛ فكانت قصة أهل الكهف بمَثَابَة مُستودَع خبرات إنسانية للصحابة يستفيدون منها الخطوط العريضة في تنفيذ رحلتهم، مع وَضْع التفاصيل الدقيقة وفقًا لبيئتهم وزمانهم ومكانهم.

وقد بيَّن الله ﷻ في عِدَّة مواضع مَشروعيةَ الاستفادة من خبرات السابقين؛ فقال تعالى للنبيِّ ﷺ: ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾[1]؛ أي من أهل التوراة والإنجيل من أهل الصِّدْق والإيمان بك، دون أهل الكذب والكُفْر؛ لإثبات الحق. وقال تعالى أيضًا

(1) سورة يونس، آية: 94.

للنبيِّ ﷺ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾[1].

ولذلك؛ فإنَّ «من جملة المراتب العُليا لتفسير القرآن الكريم؛ عِلْمَ أحوال البشر؛ فقد أنزل الله ﷻ هذا الكتاب وجَعَله آخر الكتب، وبيَّن فيه ما لم يُبيِّنْه في غيره. بيَّن فيه كثيرًا من أحوال الخَلْق وطبائعهم، والسُّنَن الإلهية في البشر، قَصَّ علينا أحسنَ القَصَص عن الأُمم وسِيَرَها المُوافِقة لسُنته فيها. فلا بُدَّ للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم، ومَناشئ اختلاف أحوالهم؛ من قوةٍ وضَعْفٍ، وعِزٍّ وذُلٍّ، وعِلْمٍ وجَهْلٍ، وإيمانٍ وكُفْرٍ، ومن العِلْم بأحوال العالَم الكبير عُلْوِيِّهِ وَسُفْلِيِّهِ، ويُحتاج في هذا إلى فنونٍ كثيرةٍ من أهَمِّها؛ التاريخ بأنواعه. فلا يُعقَل كيف يُمْكِن لأَحَدٍ أن يفسِّر قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[2]، وهو لا يَعْرِف أحوال البشر، وكيف اتَّحدوا، وكيف تفرَّقوا؟ وما معنى تلك «الواحدة» التي كانوا عليها؟ وهل كانت نافعة أم ضارة؟ وماذا كان من آثار بَعْثِهِ ﷻ النبيِّين فيهم؟ أجملَ القرآن الكلام عن الأُمم، وعن السُّنَن الإلهية، وعن آياته في السماوات والأرض، وفي الآفاق والأنْفُس؛ وهو إجمالٌ صادرٌ عمَّن أَحَاطَ بكل شيءٍ عِلْمًا، وأمَرَنا بالنظر والتفكُّر، والسَّيْر في الأرض لنَفْهَمَ إجماله بالتفصيل الذي يزيدنا ارتقاءً وكمالاً، ولو اكتفينا من عِلْم الكون بنظرةٍ في ظاهره؛ لَكُنَّا كَمَن يعتبر الكتاب بلون جلده لا بما حواه من عِلْمٍ وحكمةٍ!»[3].

ولا أجدُ مثالاً أوْضَحَ من حوارِ سيدنا موسى مع سيدنا محمد -عليهما الصلاة والسلام-

---

(1) سورة الزخرف، آية: 45.

(2) سورة البقرة، آية: 213.

(3) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ب.ط. 1990م. 1/ 20، 21. بتصرف يسير.

في رحلة المعراج؛ حيث استفاد النبيُّ ﷺ من تجربة موسى عليه السلام مع قومه، حينما فُرِضَت الصلاةُ خمسينَ صلاةً كل يوم؛ يقول النبيُّ ﷺ: «فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي واللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[1].

وقد استفاد النبيُّ ﷺ أيضًا من أفكارِ وخبراتِ الحضارات الأخرى غير المُسْلِمة؛ مثل: استجابته ﷺ لفكرة سلمان الفارسي رضي الله عنه في حفر خندقٍ على الحدود الشمالية للمدينة المنورة؛ كوسيلةٍ دفاعيةٍ في غزوة الأحزاب، مع أنها فكرةٌ فارسيةٌ من الأساس[2]. وكذلك استجابته ﷺ للخبرة الرُّومية في النجارة؛ حين عَرَضَ عليه تَميم الدَّاري[3] رضي الله عنه أن يصنع له مِنبَرًا،

(1) صحيح البخاري (3887).

(2) علي محمد الصلابي. **السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث**. ص594. بتصرف واختصار.

(3) كان تَميم الدَّاري رضي الله عنه كثيرَ السفر إلى أرض الرُّوم؛ لذلك تعلَّم النجارة من هناك. وقد اختلف العلماء

فاستجاب له النبيُّ ﷺ، مع أنها فكرةٌ روميةٌ من الأساس[1]. فقد اعتمد النبيُّ ﷺ العديدَ من الأفكار المُستمَدة من الحضارات الأخرى غير المُسْلِمة، ما دامت لا تُعارِض عقيدة وأحكام الإسلام.

كما استفاد الخلفاء في إقامة الدولة الإسلامية من تجارب الفُرْس والرُّوم، وأخذوا كثيرًا من الخبرات والأعراف السياسية والإدارية والاقتصادية؛ فكانت خلاصة تجارب استفادوا منها بدلاً من البدء من الصفر.

الأَرْشَفَة تُوَفِّر الوقت وتَضمَن الجودة:

أغلب العلامات التجارية العالمية تعمل -حاليًا- بنظام (إدارة الجودة/ Quality System)، والذي يَضمَن الحِفَاظ على جودة العمل؛ فمثلاً: بعض المطاعم تَشتَرِط على المُنتفِعين بعلاماتها التجارية قيودًا وشروطًا مُعَيَّنَةً خاصة بتصميم الفرع ومساحته واللوحات، كما تَفرِض عليهم إمداد الفرع بنفس المواد الخام التي يُوَرِّدونها لبقية الفروع، حتى طريقة الطَّهْي يجب أن تكون خاضعةً لنفس القواعد والشروط؛ ليَخْرج العمل بنفس الجودة وفي وقتٍ أقل!

وبالنظر إلى نظام إدارة الجودة من جهة أنه مُستودَع للخبرات؛ فهو يُوفِّر الجهد والوقت؛ حيث إنه يُوَفِّر للمُصمِّم المُشرِفِ على تصميم المطعم خامات المطعم وطريقة تصميمه من

في اسم صانع مِنبَر رسول الله ﷺ على أقوالٍ شتَّى؛ فمنهم مَن قال: «تَميم الدَّاري» وهو الأرجح عندي، ومنهم مَن قال: «باقول الرُّومي»، ومنهم مَن قال: «إصباح»، ومنهم مَن قال: «إبراهيم»، ومنهم مَن قال: «قَبيصَة المَخْزُومِي»، ومنهم مَن قال: «مَيمون».

(1) ابن حجر العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. 2/ 398، 399. بتصرف واختصار.

الداخل. ويُوَفِّر الجهد والوقت للعُمَّال؛ حيث إنهم يسيرون وفق خطوات مُتَّبَعة لطَهْي وتقديم الوجبات. وكل ذلك لا يحدث في المطاعم العادية التي لا تَتبنَّى تلك السياسات!

حتى في أيّ مؤسسة عُمَّالية؛ مع تراكُم الخبرة لُموظَّفٍ ما داخل المؤسسة يقابل ذلك زيادة في راتبه، وتلك الزيادة التي قد يراها البعض عِبْئًا على المؤسسة؛ هي -في الحقيقة- توفير لنفقاتها، فعُنْصُر «الخبرة» يُوَفِّر لها الجهد والوقت، بدلاً من الإتيان بعناصر جديدة قليلة الخبرة، كما يحافظ على الجودة المطلوبة من خلال إتقانه للعمل بجودة يصعب على غيره الإتيان بها؛ فهو لها بمَثَابَة «مُستودَع خبرات».

ونحن في الكِيَانات الدعوية نَأْمُل امتلاكَ أنظمةٍ لأَرْشَفَة التجارب وبنوكَ أفكارٍ تُوَفِّر للعاملين فيها الجهد والوقت ومُعاناة البداية من الصفر، وبالطبع لا نقصد أن يكون الأمر بالدِّقة الُمتناهِية الموجودة في أنظمة إدارة الجودة لدى العلامات التجارية العالمية؛ فنحن نتعامل مع بشر وليس منتجات، لكن ما نَرْنُو إليه هو صُنْع نماذج عامة تحوي خطوطًا عريضةً لأي نشاط، أو مَساراتٍ عامةً لمناهج المراحل المختلفة، تتغيَّر تفاصيلها بتغيُّر البيئة والزمان والمكان.

الأَرْشَفَة تُطوِّر الأداء:

من مُميزات أَرْشَفَة التجارب أنها لا تجعل مُستخدِمها يبدأ أنشطته من الصفر؛ فهو يُكْمِل على ما تركه الآخرون من خبرات؛ ومن ثَمَّ فإنه يُوَجِّه جهده ووقته إلى تطوير التفاصيل الخاصة بالأنشطة والدراسات؛ مما يُثْمِر عنه تطوير الأداء، بدلاً من أن يستنزف الوقت في إنشاء تجربة جديدة بالكلية.

وخير شاهد على تلك النتيجة؛ الاستفاداتُ التي حَدَثَت بين الحضارات، فكل

الحضارات التي تميَّزت قد استفادت من مُستودَع خبرات الأُمَم التي سبقتها، مع تطوير تلك الخبرات بوَضْع التفاصيل التي تناسب بيئتهم وزمانهم ومكانهم؛ فالمسلمون استفادوا من حضارة الفُرْس والرُّوم، وأوروبا الحديثة استفادت من حضارة المسلمين في الأندلس، وكُلٌّ يأخذ ممَّن قبله ويُطوِّره؛ وهو ما سُمِّيَ بعد ذلك بـ«تفاعُل الحضارات»؛ فكل حضارة تأخذ ما يناسبها وما يتَّفق مع طبيعتها. فالبناء على النتائج السابقة أكثر إفادةً من البناء من الصفر؛ لأنه يعمل على بَذْل الجهد والوقت للتطوير والتحسين، بدلاً من بَذْلهما للبناء من جديد.

مركزية التزكية الإسلامية

في العمل التربوي

حسن الرميحي

باحث في الفكر الإسلامي

لقد ساهمت الربكة العالمية التي أحدثها الوباء الأخير في العودة للأدبيات الشرعية التي تدعو للرجوع إلى الله، والتوبة إليه، واستشعار عظمته وقوته، وضعف الإنسان بآلته وفلسفته الحديثة أمام كائن لا يَقدر على رؤيته إلا بأدق آلات التكبير.

ويَحسُن لمن يؤمن بالإسلام مرجعيةً في شتَّى حياته أن يستغلَّ هذا الشعور بالضعف ويدعو للإسلام اليقيني الذي لم يستبعد الإله ولم يدّعِ استقلال عقله وقدرته عن إرادة الله ﷻ، ويستعيد الثقة في دينه وجذوره الاجتماعية والتربوية.

فالناشط في العمل التربوي يدرك حجم الغربة التي تعيشها مبادئ الإسلام، وإن الغربة المفاهيمية التي أخبر عن وقوعها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أُمته إنما هي قَدَر كونيّ لا تكون عذرًا يعطّل العمل الدعوي التربوي: (بلّغوا عني ولو آية)[1]، وهذا ما حدث بالفعل خلال السنوات الماضية؛ فالعمل التربوي الإسلامي لم يتوقف وإن خَفَت نجمه.

وتهدف هذه المقالة إلى تسليط الضوء على أحد أهم مرتكزات العمل التربوي الإسلامي (تزكية النفس) التي تراجعت الثقة فيها أمام أدبيات مركزية القانون والسلطة في ضبط

---

(1) صحيح البخاري (3461).

أخلاق الإنسان. وسأحاول أن أقرأ بعض الأحداث العالمية التي من خلالها يستطيع الناشط في العمل التربوي أن يستعيد الثقة في أهمية تزكية النفس وإحياء الضمير الداخلي.

إن المتأمل في الأحداث العالمية المعاصرة كأحداث السرقة التي جرت خلال تظاهرات الولايات المتحدة، التي خرج الناس خلالها في الأساس يتظاهرون تعاطفًا مع جورج فلويد -الرجل الأسود الذي قُتِلَ في حادث عنصرية على يد شرطي أبيض-؛ فبعد أيام من التعاطف تفاجأ الجميع بانحراف التظاهرات إلى أحداث عنف، ثم تحوَّلت إلى أحداث سرقة لمحالّ ومؤسسات لا دَخْل لها في أساس ما خرجوا يدافعون عنه، فاسترجع الناس الكلام المشهور عن أن ما يمنع الناس من السرقة في الولايات المتحدة ليس الضمير الأخلاقي، وإنما قوة القانون والسلطة، واليوم الذي تُزال فيه هذه السلطة فلن يُبقوا شيئًا لن يسرقوه.

وهنا أسترجع الأصل الفلسفي لليبرالية والمحافظاتية؛ فكلا المذهبين يجيبان عن السؤال الفلسفي: هل الأصل في الإنسان الشر أم الخير؟! وكيف تجيب عليه الليبرالية من جهة وبقية الفلسفات من جهة، وكيف أجاب الإسلام عن سؤال الخير والشر؛ فالإنسان -إسلاميًّا- هو المكلّف إلهيًّا بإقامة أمر الله في الأرض، وهو كذلك الذي خُلِقَ معه شيطان يغويه عن الطريق، ولا يزال في هذه المدافعة إلى يوم القيامة.

استعادة الثقة في التزكية النفسية:

بالعودة لأحداث السرقة؛ جعلت أسترجع هنا أدبيات تزكية النفس، وأن الإنسان يمنعه التزامه الأخلاقي الداخلي وخوفه من لقاء الله ﷻ وأدبيات المال الحرام، كيف أن هذه الأدبيات -التي يزهد فيها المربّي أحيانًا- يمكن أن تكون حاجزًا أخلاقيًّا مهمًّا في أحداث كهذه، غفلت كل أساليب التربية الحديثة -التي عادة ما تربي على احترام سلطة القانون ومركزيته عند الإنسان- عن هذا وعن تنمية ذاك الضمير الداخلي، وهو شيء خاص

بالأديان فقط؛ لأن جُلّ الفلسفات الحديثة تستبعد الجانب الغيبي من الحياة، وهو أصل فساد البشرية.

إن أدبيات التزكية النفسية -كأمراض القلوب من حسد وكبر وغيرة مذمومة وحقد وجنوح عن التوازن بين الخوف والرجاء، والزيغ والإعراض وعمى البصيرة، وفساد الرؤية الكونية والقسوة-؛ كلها أمور لا بد للعامل في المحاضن التربوية أن يستعيد الثقة في قدرتها على حماية الإنسان أخلاقيًّا أولاً قبل القانون وسلطته.

فالتواضع -وهو مضاد الكبر- يحمي الإنسان من العنصرية التي نشهدها عالميًّا وطغيان عرق على آخر، والرضا بالمقسوم -وهو ضد الحسد- يحمي الإنسان من أن يقع في الحقد على من رزقه الله من مال الدنيا، ويسترجع هنا أن المال فتنة لصاحبه، ولا أدري إن كنت مكانه سأنفقه فيما يرضي الله أم لا، والغيرة المحمودة تحمي الإنسان من أن يقع فيما يسمى (قتل الشرف)، وهي جاهلية معاصرة تعاني منها بعض المجتمعات المريضة بداء الجاهلية، والتوازن بين الخوف والرجاء يحمي الإنسان من أن يقع في الإرجاء المعاصر المرتبط بالإنسانوية الحديثة، ويَحميه خوفه من الله ﷻ من أن يقع في الحرام ولو كان وحده، والإذعان والتسليم للنص الشرعي يحمي الإنسان من سعار (الحكمة) الذي يوقع في السفسطة والشك في وجود الله ﷻ، وصلاح الرؤية الكونية تحمي الإنسان من ألا يخرج عن النظرة للحياة ولدور الإنسان فيها عما أراده الله ﷻ. إن بابَ تزكية النفس بابٌ من أبواب الشريعة لا ينبغي إهماله أو الغفلة عن أهميته في حياة المسلم.

مركزية الوحي:

ومن الأمور التي لا بد من استعادة الثقة بها في العمل التربوي الإسلامي ما يتعلّق بمركزية الهوى في القرآن، فالمتأمل في القرآن يجد الضخ الهائل في مسألة مخالفة الهوى؛ حتى

صوّره الله ﷻ في كتابه بأنه قد يصير إلهًا للإنسان، وهو ملحظ مهم لا بد من ضخه في نفس المتربي في عصرنا، فكم من الناس الذين ناقشهم عن الإسلام يحصرون عبادة غير الله في الآلهة المادية!! فيحسبون أن الشرك محصور في عبادة صنم أو بشر أو كوكب أو غيره، ويغفلون عن أن هوى الإنسان قد يكون إلهًا يعبده من دون الله، والمتأمل في الفلسفات الحديثة يجد أنها إنما جاءت أولاً لتحرير هوى الإنسان من القيود الأخلاقية الدينية، ولم يتوقف هذا التحرير حتى وصلنا اليوم إلى أخطر صنم يُعْبَد في هذا العصر وهو (النسبية الأخلاقية).

ولن يُخرِج العالم من الانحراف المعاصر غير دعوة الإسلام التي تركّز على أن للإنسان شيطانًا يجره نحو الهوى، وقد يسير الإنسان خلف دعوات الهوى فيعبده ويعبد المال ويعبد السلطة، وأن لا خلاص له من هذا الوحل سوى أن يستعيد مركزية الوحي في حياته وينطلق منه سعيه الدنيوي، وحتى من يريد المواءمة بين التيارات الحديثة والإسلام لو أنه استحضر موقف تلك التيارات من الهوى وموقف الإسلام منه لعلم أن الجمع بينها ممتنع، وأن في الإسلام ما هو خير مما تدعو إليه.

إن هذا العالم الذي أغفل الإنسان عن أن يعرض أعماله على الوحي الإلهي؛ فيحمد الله على صالح العمل، ويستغفر ويسترجع عهد الاستقامة، فأطلق الهوى وأفسد الأرض بعد إصلاحها؛ يواجه اليوم أمراضًا نفسية إنما حلّت عليه بسبب تضييعه للهدف الأسمى من وجود الإنسان، فالحياة الحديثة المطلقة لهوى الإنسان لا يمكن أن يعيش معها الإنسان دون أمراض نفسية تنشأ عن سؤال الجدوى من الوجود بعد أن يلهث خلف الشِّبع الذي لم يأتِ بعدُ، ويواجهون أمراضًا نفسية إنما جاءت نتيجة لفردنة الإنسان individualization

وفصله عن محيطه الاجتماعي وإيهامه باستغنائه عن الحياة الاجتماعية المليئة بالواجبات، وهذا فرع عن إطلاق الهوى، هذا العالم في أمسّ الحاجة للإسلام، الدين المتماسك في رؤيته الكونية وسؤال الجدوى والواجب الاجتماعي والحاجة النفسية للإنسان.

كانت هذه كلمات في إعادة مركزية تزكية النفس، ونفض غبار سؤال جدواها، كان هذا عبر قراءة عدد من أمراض الحداثة المعاصرة التي تعاني منها البشرية، أرجو أن أكون وُفِّقْتُ في بيان ما أريد.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التربية على القول الواحد بين الضرر والضرورة

د. محمد فؤاد ضاهر

دكتوراه في أصول الفقه من كلية الشريعة - جامعة بيروت الإسلامية

شهدت حِقَب من التاريخ صراعاتٍ طائفيةً وفتنًا مذهبية كانت تطفو أحيانًا وتخبو أحيانًا أخرى، بحسب ما تملي المصالح السياسية ويستجدُّ من تطوُّرات في العَلاقات الكبرى بين القوى الحاكمة والأصوات المعارضة، أو بين مذاهب تقليدية وتيارات إصلاحية وثالثة تحرُّرية، خلَّفت وراءها فتاوى تفوح منها رائحةُ الفُرْقة والإقصاء، والتضليل والتكفير، حصدت أرواحَ ناسٍ ومُهَجَ أطفالٍ، وتسبَّبت بانتهاك محرَّمات، وتعدِّيات على رموز ومقدَّسات.

وظلَّ العقلُ الإنسانيُّ ردحًا من الزمن مغلوبًا مقهورًا تحت مطرقة العصبية لإمام المذهب أو شيخ الطائفة، معطَّلاً عن التفكير والإنتاج، يعيش حالةً من الجمود المقيت والتقليد الأعمى، قد استروح إلى الانشغال بألغاز المتون المختصرات، وحصر الدِّين في مذاهب معينة وضمن دائرة الخلافات، متغاضين عن الرحمة المستودعة في ذانك التنوع والتعدد.

ما فتئ هذا المسلسلُ المرير يلملم ما تبقَّى منه في ذاكرة الماضي الأليم، ويستجمع جراحات السابق، ليشكِّل من جديد واقعًا مشؤومًا وحالةً مرضية تنخر في جسم الأمَّة المثقَل بالهموم والمحفوف بالأحزان، كلَّما حاول النُّهوضَ على قدميه وجد مَن يطعنه في ظهره وخاصرتيه، وهو يتهادى بين ساذجٍ قد فهم الإسلام مقلوبًا، وعدوٍّ قد تمسَّح بمسوح أهله امتلأ صدرُه غلاً وحقدًا، فهو يتحيَّن الفرصة لمعاودة الانقضاض عليه على حين انشغال أبنائه بأنفسهم عن متابعة المسيرة ومسايرة الاتباع.

فتمخَّض لدينا من رحم هذه الأزمة تساؤلٌ:

هل ألغى الشرعُ الحنيف التعدُّديّةَ، وألزم بالأحادية والمصير إلى تعيين الحقِّ المطلق بين المنتسبين إليه، سيَّما ونحن نتلو قول الله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]؟!

بالعودة الرَّشيدة إلى منابع الهدى والخير في الأمَّة، نجد القرآن الكريم قد دلَّ على الإسلام كدينٍ؛ فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2]، تنضوي تحت رايته كلُّ الأيدي العاملة لأجله بصدق وإخلاص، والمنفتحة على أخواتها بكلِّ أريحية وانبعاث؛ تأسيسًا على القاعدة الذهبية (التعاون على القاسم المتَّفَق عليه، والنُّصح في القسيم المختلَف فيه). وتبقى مدارسُه الفكريَّةُ تفسيرًا لنصوصه، ومذاهبُه الفقهيَّةُ شروحًا لآياته وأحاديثه، في مفهومٍ تنظيريٍّ إجرائيٍّ مُشبَع بالحيويَّة المتحرِّكة القائمة على سماحة الإسلام ويُسر شريعته الغرَّاء ومرونة فقهه، ما أسهم بشكلٍ مباشر في توليد الآراء الاجتهادية الدالَّة على سعته ورحمته وغناه.

وإنَّ ما نلحظه من اختلاف في الفروع الفقهية لدى السَّادة الفقهاء المتبوعين، لجهة قائلٍ بالوجوب أو النَّدب، والرُّخصة أو العزيمة، والتحريم أو الكراهة.. ينبغي ألا يُفسد في الوُدِّ قضيَّةً، بل يجب حملُه على مُسوِّغاتٍ شرعيةٍ وقوانينَ أصوليةٍ وملاحظاتٍ مسلكيةٍ علمية دعت إلى هذا الغنى في التنوُّع الاجتهاديِّ التحليليِّ والفهم البشريِّ للنَّصِّ المقدَّس.

وإذا كان الغزاليُّ -حجَّةُ الإسلام- قد ذهب -مع غيرِه من المُصوِّبة كالباقِلاَّني وإمام الحرمين- إلى القول بتعدُّد الحقِّ في المسائل الفروعية بحسب مؤدَّى كلِّ فقيه، وأنه لا يجوز

(1) سورة يونس، آية: 32.

(2) سورة آل عمران، آية: 19.

الإنكارُ ونَصبُ الولاء والبراء استنادًا إلى تعدُّد الآراء في القضايا الفقهية الفرعية؛ فإنه بذلك ينشد وحدة الأمَّة، وتماسك المجتمع، وقيام العمران على ما تأتلف عليه القلوب والأبدان من القوة في الوحدة.

وهو ما قعَّده قبلُ الإمامُ المطَّلبيُّ محمَّد بن إدريس الشافعيُّ -رحمه الله تعالى- في غير ما رواية أُثرت عنه، أو قول سطَّرته يراعه في كتبه، حتى خرَّج مسائله على هذا الأصل الوحدوي التقريبي الذي يربط بين وشائج الأمَّة، ويحدُّ من ظاهرة الخلاف والنِّزاع بين مُكوِّنات الوطن.

فتراه بعد أن ذكر عدَّة نماذجَ فقهيةٍ جرى فيها الخلافُ، وتبنَّى هو نفسُه قولاً بتحريمها؛ أفتى بمنتهى الوضوح والصراحة أنَّ مُستحِلَّها والعامل بها لا تُرَدُّ شهادته. أي: إنه عند الشافعيِّ عدلٌ. مستنده في ذلك ينطلق من ملاحظة التعدُّدية الفكرية، وقَبول الآخَر على ما هو عليه من مخالفته في إطار المسموح به اجتهادًا؛ فيقول:

«... فهذا كلُّه عندنا مكروه مُحرَّم، وإنْ خالفَنا النَّاسُ فيه، فرغبنا عن قولهم. ولم يدعنا هذا إلى أن نجرحهم ونقول لهم: إنكم حللتم ما حرَّم الله وأخطأتم؛ لأنهم يدّعون علينا الخطأ كما ندَّعيه عليهم، وينسبون مَن قال قولنا إلى أنه حرَّم ما أحلَّ الله ﷻ»[1].

ونحن بدورنا -كمثقَّفين وحواريين ومربين- مطالَبون أن نخلع عن عاتقنا رداءَ التقليد والتعصُّب الأعمى، وأن نقتفي استراتيجيةَ هذا النَّهج الحضاري. فإذا فعلنا ذلك أدَّى بنا إلى تقليص دائرة الاحتقان المذهبيِّ والطائفيِّ المليء بالسلبية التي فرَّقت الأُمَّةَ ومزَّقتها، وكانت كفيلة بضعفها وتقهقرها وتشتيتها وتمالؤ الأعداء عليها.

والأُمَّة الزاهرة إنَّما تنتهض بين الأمم إذا كان علماؤها على وفاق فيما بينهم. ويتواصل

---

(1) الأم (6/ 223).

النُّهوض وتُكتب له الاستمراريةُ متى سار الأتباعُ على طريق أسلافهم من غير تبديل أو تحريف.

هذا الملمح الذي نشير إليه ونحثُّ عليه، هو ما أرسى قواعدَه من قبلُ الإمامُ الفقيه المجتهد أمير المؤمنين أبو الحسن عليُّ بن أبي طالب ﵁ في نحو ما جاء في رسالته إلى الأشتر النخعي -كما في (النَّهج):

«ولا تنقضْ سنَّةً صالحة عمل بها صدورُ هذه الأمَّة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تحدثنَّ سنَّة تضرُّ بشيء من ماضي تلك السُّنن، فيكون الأجرُ لمن سنَّها، والوزر عليك بما نقضت منها».[1]

وهو ما يتوافق تمامَ الموافقة والانسجام مع ما أشار إليه الفقيه المقاصديُّ أمير المؤمنين الفاروق أبو حفص ﵁ حين أحال مستفتيَه إلى عليٍّ وزيدٍ؛ معلِّلاً سببَ عدم حملِه السائلَ على رأيه في المسألة بقوله: «لو كنتُ أردُّك إلى كتاب الله، أو إلى سنَّة رسول الله ﷺ لفعلت، ولكنِّي أردُّك إلى رأيٍ، والرَّأيُ مُشترَكٌ، فلم ينقض ما قال عليٌّ وزيدٌ ﵄».[2]

بيد أنَّ المشكلة تكمن في قصور النظر المَشُوب بالحماس المتفلِّت، والرغبة في التصدُّر والبروز، والعاطفة الجيَّاشة غير المنضبطة بنصوص الشرع الحنيف ومقاصده الرشيدة، في غياب ملحوظ لدى فئام من الناس لسُلَّم الأولويَّات وفقه الموازنات وتدبُّر المآلات وعواقب التصرُّفات، والاستئثار بالحقِّ، ومصادرة الصواب، والاستيلاء على الخيرية والصلاح بقوَّة الإرهاب الفكري! ورحم الله شيخ الإسلام البلقيني القائل: «الانتهاض لمجرد الاعتراض

---

(1) التذكرة الحمدونية (١/ ٣١٩).

(2) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٦٩٣).

من جملة الأمراض»[1].

وإلا فإنَّ آراء الفقهاء لا تعدو كونها فهمًا بشريًّا لنصوص الوحيين، ومحاولةً علميَّةً لتفسير كلام المعصوم، مرتبطةٌ بظروف وحيثيَّات تُفهم في سياقها، وبعضُها لا يُعمَّم أو يُقاس عليها.

وهكذا، هو مخطئٌ مَن سلخ الآيةَ الكريمة من سابقها ولاحقها، وأوهم أنها في غير مرادها، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2].

فهل مِن ناصحٍ أمينٍ قبل ألَّا يبقى ثورٌ ليُؤكل لا أبيض ولا أسود؟!

(1) مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (١/ ٢٤٠).

(2) سورة يونس، آية: 31، 32.

حوارات رواحل

حوار رواحل مع فضيلة الدكتور

محمد العبدة

فضيلة الدكتور محمد العبدة هو رئيس تحرير مجلة البيان البريطانية سابقًا، حاصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة جلاسكو - بريطانيا، ومتفرغ حاليًا لممارسة الدعوة الإسلامية والكتابة في شؤون الفكر والدعوة والتاريخ. وله إنتاج بحثيّ ثريّ.

من أبرز مؤلفاته:

1- دروب النهضة، أحاديث في الثقافة وشؤون الأمة.

2- قيام الدول وسقوطها، نصوص مختارة من مقدمة ابن خلدون.

3- مالك بن نبي، مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي.

4- حركة النفس الزكية، كيف نستفيد من أخطاء الماضي؟!

5- تأملات في الفكر والدعوة.

6- دروس التاريخ.

7- وذكرهم بأيام الله.

بدايةً مرحبًا بكم فضيلة الدكتور في منصة (رواحل) التي تَشْرف بلقائكم..

رواحل: مرت مئة عام كأنها لمح البصر أو هو أقرب، مئة عام من البحث والتنقيب وسبر أغوار مؤلفات التراث للوقوف على أسباب نهضة وتقدم الأمة الإسلامية، مئة عام من التدقيق والتمحيص وتأليف الكتب وتربية الرجال، إلا أن النتيجة والمحصلة النهائية هي

كما تعلمون، تزداد الأمور تعقيدًا، وتتكاثر على الأمة النكبات تلو النكبات، والنهضة التي كانت تبعد عنا ميلاً صارت تبعد أميالاً.. ماذا يحدث يا دكتور؟!

نعم، مرت مئة عام أو أكثر وحديث النهضة والإصلاح كان وما يزال، والذي كان يشكو منه رشيد رضا من تفرُّق المسلمين وضعفهم ما يزال، وما كان يُقاسيه الكواكبي من الاستبداد زادت حدّته، وكتب شكيب أرسلان لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم، وقد كانت بعض البلدان دائنة لقوة اقتصادها فأصبحت مدينة لكثرة الاستيراد، والمطالب الكبرى التي كانت تطلب هي المطالب اليوم، سواء كان مطلب تطبيق الشريعة أو الحرية السياسية والتحرر من التسلط الأجنبي.

صحيح أن الصدمة الحضارية مع الغرب وتقدمه العلمي والاقتصادي والسياسي أيقظت المسلمين ليروا ما هم فيه من الضعف، ولكن عوضًا عن أن يكون البحث منهجيًّا عن أسباب قوة الغرب وأسباب الخلل عندنا، راح كل فريق ممن يريد الإصلاح يجري إلى صيدلية الحلول فيأخذ عشرات الأدوية لعشرات الأمراض دون تشخيص من الطبيب كما يعبّر الكاتب الجزائري مالك بن نبي.

قامت جهود فردية وجماعية بعضها استمر ونجح وبعضها توقف، ولكنها جهود لم تتكامل ولم تُرتب الأولويات، وانشغل بعض روّاد النهضة بالردود على الهجوم الاستشراقي والتغريبي، وكانت في الغالب ردودًا اعتذارية ودفاعية ولم تنتقل إلى موقف التأسيس، وهو نشاط سلبي لا يدوم طويلاً، أما التفكير المتأني في المشكلة وإيجاد الحلول لها فهو نشاط إيجابي.

وسقط البعض في هوى الغرب، رفاعة الطهطاوي تكلم عن باريس (عاصمة الأنوار)، بينما كانت المدافع الفرنسية تدكّ قرى ومدن الجزائر عام 1830م. ولم ينتبه هذا الجيل إلى

خداع المصطلحات: فمفهوم التقدم أخذوه على عِلاته دون تحديدٍ لمضمونه، هل المقصود التقدم المادي فقط أم لا؟. لماذا استطاع المسلمون مقاومة أعتى الدول الاستعمارية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين؟ والجواب لأنه جيلٌ لم يخضع لعملية التغريب؛ فقد قاوم الأزهر الحملة الفرنسية، ولكن بعد أن تغربت مصر على يد محمد علي باشا دخل الإنجليز بسهولة، وتخرجت أجيال أصبح أكبر همهم أن يطالبوا الأمم المتحدة أن تمنحهم شيئًا من حقوقهم.

رواحل: ما أهم أسباب النهضة من وجهة نظرك، والتي كان ينبغي على المصلحين والمفكرين والقادة الاهتمام بها ووضعها في خانة الأولويات الأولى؟!

أولاً: النهضة تحتاج إلى (جذوة)، إلى (توتر روحي) كما يعبّر (مالك بن نبي)، الدين وحده هو الذي يستطيع أن يُشعلها، وليس التفكير المجرد والنظريات المجردة.

فإذا قلنا: إن علة الضعف هو الاستبداد فالسؤال يعود: ما سبب قبول الاستبداد؟ وأين التكيف بين الإيمان والإرادة؟ قد يكون المسلم صالحًا في شخصه، ولكنه غير مصلح اجتماعيًّا وحضاريًّا، غير فعَّال في أعماله. العامل الذي ولد الحضارة في عصورها الزاهية هو العامل التربوي الذي كوّن الفرد وربط العقيدة بالسلوك والعلم بالعمل.

ثانيًا: من أسباب النهضة: الشمولية، فالحل لا يبدأ من الفرد فقط ولا من المجتمع فقط، أو الدولة فقط، بل لا بد من التناغم والتفاهم بين هذه المحاور الثلاثة، فكما أننا لا يمكن أن نتقدم ببناء مدرسة فقط أو مستشفى فقط أو مسجد أو مؤسسة للتعليم أو لعمل الخير، بل لا بد من تأسيس الكل، وضمن مسار واحد.

ومن هذا التناغم: إصلاح الأمر السياسي، والانشغال بالشأن العام، وليس كما تشاءم الشيخ محمد عبده من السياسة ومِن فعل (ساس ويسوس).

ثالثًا: إن الحضارة الإسلامية قامت بالدين، وبالدين وحدَه، ولم تقم لأسباب اقتصادية أو جغرافية أو سياسية. والأمة الإسلامية أُمة متدينة، والعلماء هم القادة الذين يرجع الناس إليهم، هؤلاء هم المكلفون بنشر العلم في جميع طبقات الأمة. وهذا شيء أساسي في النهضة، وذلك لحماية الأمن الثقافي وحتى لا يكون جمهور الناس على جهل بواقعهم وحاضرهم. وقد قصرت كل الجمعيات والمشاريع الإحيائية في إبراز هذا الدور الكبير للعلماء.

رابعًا: خلال هذه الفترة التي نتكلم عنها نشأ تيار يريد اللحاق بالغرب (حلوِه ومُرّه) وهو ما يزال موجودًا حتى اليوم، وتيارٌ يريد التشبث بالهُوِية والثقافة الإسلامية مع الاستفادة من تقنية الغرب، ولكن هذا التيار الثاني الذي يمثّل جمهور الأمة، هو أيضًا كان أسيرًا، لمصطلحات الغرب: فالديمقراطية الغربية هي الشورى عندنا، والاشتراكية هي العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان في الغرب نحن سبقناه إليها (مع الاختلاف في بعض المضامين بيننا وبينهم) وهكذا: المواطنة، والحرية.

فلا التيار الأول هو دارس للغرب على حقيقته ولا التيار الثاني درس الغرب بمنهجية وعمق.

وكان الواجب في مثل هذا الصراع الفكري توضيح هذه المفاهيم وبيان الحق فيها، وتأصيلها من خلال الثقافة الإسلامية، ولا نزال في هذا الهم حتى اليوم.

رواحل: صناعة الإنسان.. هل تم تدمير البنى الأساسية للإنسان المسلم لدرجة عدم تمكنه من صناعة النهضة، أو حتى تقبُّلها ممن دعا إليها على مر العقود العشرة الماضية؟! هل المعضلة الأساسية هنا هي الإنسان؟!

لم يتم تدمير البنى الأساسية للإنسان المسلم، والدليل أنه قادر على الانخراط مرة ثانية أو ثالثة في مشروع نهضوي جديد، وبقيت الأسرة المسلمة تحتفظ بروابطها وعلائقها، وما

يزال التراحم بشكل عام في المجتمع الاسلامي، لم يتم التدمير ولكن تم التشوه والتشويش في الفهم والانفصام في الشخصية لكثرة المحاولات في تدمير الثقافة والعقيدة الإسلامية، وخاصة في مناهج التعليم التي وضعها أو شارك في وضعها المتغربون والعلمانيون، فأصبح الطالب لا يدري عن تاريخه أو حضارته إلا نُتَفًا مشوَّهة.

ومن جهة أخرى لم تتمَّ تصفية تراثنا مما علق به من (إيرانيات وإسرائيليات) ومرويات موضوعة. وبعض روّاد النهضة الذين انحازوا إلى عقيدة الأمة وثقافتها كانوا في موقع الهزيمة النفسية، ولذلك أوّلوا الآيات والأحاديث لتتوافق مع مقولات الغرب أو هجومه على الإسلام. بل ذهب البعض وفي أيامنا هذه إلى تبنّي مصطلحات الغرب، ولكن بعد أن يضع عليها لافتة (ليبل) أنها إسلامية !!

وقد حاولتْ حركات الإحياء الإسلامي استدراك هذا الأمر، وتربية الأجيال تربية قويمة. والأمر ما يزال في بداياته رغم مرور عقود على ذلك.

رواحل: ذكرتم في أحد مقالاتكم أن الأمة تفتقد لمشروع متكامل ينتشلها من براثن عدوّها، بل ينتشلها من مستنقع نفسِها، مشروع متكامل يجمع أهل العلم والمال والإدارة والاختصاص.. كيف ترى ملامح هذا المشروع؟!

نعم المشروع المتكامل هو الذي يجمع بين أهل العلم والاختصاص من جهة وأهل المال والإدارة من جهة أخرى، أهل العلم للتفكير والتخطيط والتنظير، وأهل المال لمساندة هذا التنفيذ على بلوغه أهدافه. والمال شيء مهم جدًّا يجب أن يُوضع في مواضعه وإلا كان سلبيًّا وعبئًا على الأمة، ولا أعني الدعم للمشاريع العامة ذات الفائدة لمجموع الأمة، ولكن أيضًا استثمار المال في التنمية الفعَّالة.

وهكذا نجد في سيرة الرسول ﷺ أثرَ الدعم المالي من أمثال عثمان بن عفان رضي الله عنه في بناء

الدولة في المدينة. والمقدم في هذا هم أهل العلم وأهل الاختصاص وهم الأدرى بالمشاريع النافعة للأمة، ومن أهم أسباب قوة الغرب في العصر الحديث هو هذا التسخير للمال في المشاريع الكبرى، ومساعدة الدولة لأصحاب المال في استثمار أموالهم، ومن تجاربنا الحديثة وجدت أنه في الحركة السنوسية كان التعاون واضحًا بين أهل العلم وأهل الإدارة والمال ولو بشكل بسيط.

وهكذا ابتعد الناس عن حياة الترف أو حياة الشظف.

ولا ننسى أن أعرق الجامعات في العالم الإسلامي كانت عملاً أهليًّا وقْفيًّا، وهكذا في أوروبا أيضًا كجامعة (أكسفورد).

رواحل: هل عجزت الأمة بكل مقدراتها عن إنجاز مثل هذا المشروع في مائة عام كاملة؟!

قامت مشاريع جزئية، وانتفعت جمعيات ومدارس من العمل الخيري، وشُجعت بعثات علمية لدراسة تخصصات شتَّى تفيد الأمة، ولكن حسب اطلاعي وعلمي لم يتم إنجاز مشاريع كبرى يتعاون فيها أهل العلم والإدارة والمال، كما ينبغي، وتكون مشاريعَ ذاتَ نفع عام والأمة بحاجة لها، ولا أعتقد أن الأمة تعجز بكل مقدراتها عن إنجاز مشاريع كبرى، فالخير حاضر فيها، ولكن المشكلة في القيادة، القيادة التي تستطيع الجمع بين هذه الرؤوس الثلاثة، وفقدان القيادة هو أزمة حقيقية تواجه المجتمعات الإسلامية.

رواحل: كيف يمكن إصلاح هذا العقل وهذه الروح اللذين دمّرهما الاستعمار؟!

إذا كان المقصود عملية التغريب أو اللحاق بالثقافة الغربية والحضارة الغربية، فلا شك أن التأثير كان واضحًا على بعض النخب وعلى الأجيال التي تأثرت بهذه النخب، وهذا يبعدنا عن مشروعنا وخصائص حضارتنا، والملاحظ أنه كلما ظهرت (تقليعة) فكرية

في الغرب تلقفها من يسمون أنفسهم بـ«المثقفين»، وعندما يبدؤون بدراستها وتقليدها يكون الغربيون قد أظهروا (تقليعة) أخرى، وهكذا يتنقلون من الرومانسية إلى البنيوية والتفكيكية.... الخ، وهذا شيء مؤسف يدل على التبعية والتقليد الذي يتهربون منه بنظرهم.

ولكن ليس التغريب وحده هو الذي خرّب الشخصية المسلمة؛ فهناك أيضًا أشياء داخلية ليست هي من أثر الاستعمار، بل من التخلف الحضاري، والبُعد عن التجديد والاجتهاد الذي أصاب الأمة، لأنه رغم عظمة هذا الدين دخل فيه من الشوائب ما عكّر صفوه مثل الفِرَق المنحرفة والعقائد الباطلة، والسؤال هو: كيف نحصِّن أنفسنا وكيف يتم إصلاح الفكر والعقل حتى يكون المسلم قادرًا على معرفة الحقائق، أي يكون عنده (الفرقان)، ولا نتحول إلى تابعين متطفلين على موائد غيرنا.

أعتقد أن إصلاح الشخصية الإسلامية فكرًا وعقلاً وروحًا (إذا صح التعبير) هو بالتمكُّن أولاً من القرآن الكريم تدبرًا ودراسةً وفهمًا، فهو الذي يصقل هذه الشخصية لتُدرك كل جوانب الحياة من منظار صحيح، وتصبح شخصية فعَّالة متوازنة، نعود إلى النبع الصافي، ونصفِّي الفكر مما علق به من أمراض التخلُّف مثل: طغيان الأشياء أو طغيان الأشخاص أو حبّ الأمور السهلة، تتعامل هذه الشخصية مع الواقع من خلال النص الإسلامي، وعندئذ تعرف ماذا تأخذ وماذا تدع من الأمم الأخرى.

رواحل: ألا يقع على كاهل المصلحين والمربّين والدعاة أنفسهم كِفْل كبير من هذا التراجع الناشئ لدى المسلمين؟! ألم يكونوا نظريين في أحيان كثيرة؟! بل ألم يكن أحيانًا واقعهم مخالفًا لما يدعون إلى تطبيقه في حياة المسلمين؟! ألم تكن حياتهم مليئة بالتناقضات التي تعود بالمتربين إلى المربع صفر؟!

لا شك أن العبء الأكبر في إصلاح حال المسلمين يقع على العلماء والدعاة وأهل الفكر، وإذا لم يكن هؤلاء قدوة في جميع أحوالهم وأقوالهم فلا يكون التأثير ولا تكون هناك آثار للتربية جلية واضحة. طبعًا نحن لا نستطيع أن نعمّم، فهناك كثير من الدعاة والعلماء كانت لهم جهود طيبة ومخلصة في تربية الأجيال وفي عودة الوعي ونشر العلم بين صفوف الأمة، ولكن الذي يُنتقد هو أن هذا التعليم وهذا الإرشاد لم يكن متكاملاً في أحيان، ولم يكن سديدًا في أحيان أخرى، هذا عدا عما ذكرتموه في السؤال وهو أن بعضهم كان نظريًّا يتكلم خارجًا عن الواقع، وأفعاله مخالفة لأقواله، وهذا الذي أدَّى إلى الانطباع السيئ لدى عامة الناس عن بعض الدعاة والمشايخ.

إنه لا يكفي أن يكون المربي قدوة بل أكثر من ذلك، فهو محطّ أنظار الناس، ومحطّ أنظار الشباب خاصة. وهذا هو الشيء الطبيعي، والأمثلة كثيرة جدًّا في تاريخنا لهذا النموذج القدوة بل هذا ما يتميز به تراثنا.

رواحل: كيف يمكن للمصلحين والمفكرين والدعاة أن يَصوغوا فكرًا جديدًا يتناسب مع الواقع المعيش وفي الوقت نفسِه ينجوا بأنفسهم من الآفات التي ظلت عالقة بأفكارهم طيلة السنوات الماضية؟!

الجديد الذي يجب أن يأتي به المصلحون والدعاة هو:

أولاً: المراجعات للماضي القريب، للأفكار التي تبين أنها قيلت في وقتها وأنها غير صالحة في وقتنا أو أنها في الأصل لم تكن من الدقة منهجيًّا، مراجعة صادقة ومتأنية لما كُتب وما طرح من شخصيات كبيرة ومحترمة، وهذا ليس تجريحًا لهم، ولكن الحق أحق أن يُقال.

ثانيًا: التجديد لا يكون في الإسلام، فالإسلام دين ثابت واضح قارّ، ولكن التجديد يكون في العودة لفهم هذا الدين، وما هي حاجتنا الآن، وذلك من خلال القراءات الكثيرة

لكبار الأعلام قديمًا وحديثًا وتطبيقها على الواقع.

هناك أعلام معاصرون كبار لا أرى أن المسلمين اليوم استفادوا كثيرًا من علمهم وكتاباتهم مثل رشيد رضا، وعبد الحميد بن باديس، والطاهر بن عاشور، والبشير الإبراهيمي، ومحمد عبد الله دراز... وغيرهم.

ثالثًا: لا بد من الاهتمام بمقاصد الشريعة وقواعد الشريعة وإدخال ذلك في المنهج الإصلاحي التربوي، وذلك من خلال العلماء الذين تصدَّوا لشرح هذا المنهج مثل الطاهر بن عاشور وعَلّال الفاسي.

رابعًا: لا بد من دراسة التجارب التي حاولت تطبيق الإسلام عمليًّا في العصر الحديث وبيان أسباب إخفاقها أو نجاحها نجاحًا جزئيًّا.

كل هذا يساعد على صياغة منهج في العلم والعمل فيه تجديد وليس فيه خروج على ثوابت الشريعة ومقاصدها الأساسية.

استشارات رواحل

الرهاب الاجتماعي وانعزال الطلبة في المحاضن التربوية.. كيف أعالجه؟!

د. أسعد الأسعد

رئيس مجلس إدارة مركز الدعم النفسي والتطوير الشخصي للاجئين السوريين – تركيا

السؤال:

لدينا في مركزنا خمسة فصول دراسية، في كل فصل منها 10 طلاب، وبصفتي مشرفًا تربويًّا بالمركز فملاحظاتي على مدار السنوات الخمس الأخيرة أنه دائمًا ما يوجد في كل فصل طالب أو طالبان منعزلان تمامًا عن بقية الطلبة، وهذا لفت نظري وأثار دهشتي؛ حيث إنهم لا يشاركون أقرانهم في أي أنشطة، خاصة الأنشطة الدعوية التي يقوم المعلمون بتكليفهم بها، كإلقاء الكلمات أو التدريب عليها، أو التحدث بصورة فردية مع المدعوين الجدد، أو حتى الأنشطة الرياضية وما شابهها، فيما يبدو لي أنها الأنشطة التي لها صبغة اجتماعية إلى حدّ ما. فكيف يمكننا معالجة هذه الإشكالية ودمج هؤلاء الطلبة مع أقرانهم؟! علمًا بأنهم قد يكون منهم من هو متميز في الجوانب العلمية أو الحفظ.

الجواب:

ظاهرة الانطواء والعزلة مشكلة حقيقية قد تواجه بعض الأطفال، ولا يجب إهمالها على الإطلاق؛ لأنها ببساطة مشكلة نفسية سلوكية قابلة للتطور، ويمكن أن ترافق صاحبها إلى مراحل عمرية متقدمة.

ومما لا شك فيه أن كل حالة تختلف عن قريناتها في الحال والمآل والأسباب؛ فقد تكون من أساس طبيعة الطفل وتكوينه النفسي، أو تعود إلى أسباب تربوية مِن قِبَل الأسرة أو المدرسة، كما يمكن لمرحلة المراهقة التي يمر بها البعض وما يعتريها من تطورات فيزيولوجية ونفسية أن تلعب دورًا بارزًا في الرغبة بالعزلة والانطواء.

لذا ومع اختلاف هذه الأسباب وجب قبل كل إجراء إخضاع كل حالة إلى دراسة مستفيضة من مرشد أو اختصاصي نفسي لتشخيص الحالة بدقة ولمعرفة الأسباب الحقيقية لما يعاني منه هذا الطفل، ومن ثَمَّ الطريقة المثلى للتعامل مع كل حالة على حدة، ليأتي بعدها دور المعلم والمربي وأولياء الأمور في مساعدة أطفالهم على التخلص من مشكلاتهم، والاندماج مع أقرانهم، والمشاركة في الأنشطة الجماعية.

وهنا يجب أن نُمَيِّز بين أمرين وَرَدَا في سؤالكم: الأمر الأول هو ظاهرة الانطواء والعزلة لدى بعض الأطفال، والثاني: هو ظاهرة الخجل وعدم المشاركة في الأنشطة الجماعية لدى البعض الآخر، وهو ما يسمى بـ(الرهاب الاجتماعي)، وهي ظاهرة طبيعية تنتاب حتى بعض الكبار في مواجهة الجمهور والتحدث أمام الآخرين.

وبالنسبة لمشكلة الانطواء والعزلة فيمكن أن نعزوها إلى أسباب عدة؛ منها:

1- أسباب شخصية وأسرية:

تعود لطبيعة الطفل وتكوينه الشخصي، وبالتالي ضعف ثقته بنفسه، والتي تعود في الأصل إلى طريقة التربية التي تلقاها في بيته، والتي تعود في الغالب إلى ما يلي:

- الشعور بالنقص بسبب معاناته من نقص معين أو إعاقة معينة، وافتقاد الشعور بالأمن لفقده الثقة في الغير وخوفه منهم.

– التدليل الزائد والاهتمام والمتابعة الزائدة من الأبوين أو أحدهما، والنابعة من الخوف وزيادة الحرص عليه.

– الخلافات الأسرية بشكل عام، وتنازع الأبوين حول طرق التربية والمتابعة، وما ينجم عنها من عُقَد نفسية يطول أثرها مع الأطفال.

– الشعور بالحرمان العاطفي نتيجة الفقد أو الانفصال أو قلة الاهتمام من الأبوين بالطفل، وهذا ما نجده كثيرًا في المناطق المنكوبة وحالات اليتم والنزوح واللجوء.

– المشكلات المادية التي تعاني منها الأسرة والتي تعكس على أفرادها جميعًا ضغوطًا نفسية لها ما لها من آثار سلبية لا يسلم منها حتى الأطفال؛ وذلك لحرمانهم من اقتناء الكثير من الأشياء التي يحبونها.

– العنف الأسري المادي والمعنوي، وما يتسبّب فيه من تكرار توجيه الرسائل السلبية من الأبوين أو أحدهما للطفل.

– تكرار مقارنة الطفل من ذويه بأحد أفراد أسرته أو أبناء أقاربه المتميزين.

– التمييز في المعاملة بين الأطفال في الأسرة الواحدة أو المدرسة؛ ما يولّد شعورًا بعدم الأهمية أو المحبة داخل الأسرة أو الفصل.

– التفاوت المادي والاجتماعي بين الأطفال في الفصل أو البيئة الواحدة.

– ضعف الخبرات الحياتية لدى بعض الأطفال في مهارات التواصل والتعامل مع الآخرين بسبب ضعف التوجيه الأسري.

– مرور الطفل بمرحلة المراهقة وما يرافقها من تبدلات فيزيولوجية، وما يخالطها من مشاعر تدعو إلى العزلة.

2- أسباب تعود للبيئة المحيطة وأثرها في التكوين العام للأطفال؛ مثل:

- عدم الاستقرار وتكرار النزوح وتغيير البيئات لدى الأطفال في مناطق الكوارث والأزمات.

- تعرض الطفل لبعض التجارب الفاشلة في التعامل مع الآخرين أو تنمر بعض الأقران عليهم؛ ما يولد لديهم الخوف من الآخرين ومن التعامل معهم.

- تدخل باقي الأهل في التوجيه والتربية، خصوصًا في الظروف الحالية التي ألجأت الكثير من الأسر للسكن مع بعض، أو اضطرار البعض للسكن مع أقاربهم بسبب اليتم.

- الفتور العاطفي والاجتماعي بين أفراد الأسرة، وأيضًا بين الأسرة ككل، والمجتمع المحيط بها يساهم بشكل مباشر في ظهور الانطواء عند الطفل.

- الانشغال بالتكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي لفترات طويلة، والاستغناء عن التواصل المباشر.

3- أسباب تعود إلى المدرسة والمحاضن التربوية؛ منها:

- اتباع الأساليب التقليدية في التعليم، والابتعاد عن الطرق الحديثة التي تحث على العمل الجماعي.

- ضعف خبرة المعلم في التعامل مع الحالات الخاصة للمتعلمين.

- التفرقة في المعاملة بين الطلبة مِن قِبَل المعلم؛ ما يولّد شعورًا بعدم الأهمية أو المحبة داخل الصف.

- غياب الاختصاصيين والمرشدين التربويين والنفسيين عن المحاضن التربوية.

- زيادة التنوع الديمغرافي -نسبة إلى الجغرافيا- بسبب النزوح المتكرر، ومِن ثَمَّ تقوقع

أبناء كل منطقة أو قرية على بعض وعدم الاندماج.

أما أسباب الرهاب الاجتماعي:

فقد تعود إلى ضعف الثقة بالنفس، وضعف مهارات التواصل والتعامل مع الآخرين في المواقف المختلفة وما يعرف بـ(الإتيكيت).

ولإبعاد الطفل عن الانطواء والعزلة وإدماجه مع الآخرين والتخلص من الرهاب الاجتماعي ننصح بما يلي:

1- ينبغي أن ندرك أن الطفل الانطوائي لديه حساسية مفرطة، وفي حاجة شديدة لتعزيز ثقته بنفسه وقبول ما لديه من نقص قبولاً يكون حافزًا لتغييره أو تجاوزه أو التأقلم معه، وإشعاره بأنه شخص محبوب ومميز، فيجب التركيز على ذلك.

2- تنمية شخصية الطفل وقدراته، وتعزيز المهارات الحياتية لديه، وأهمها مهارات التعامل مع الآخرين في المواقف المختلفة (الإتيكيت) ومهارات التواصل الفعال مع الآخرين.

3- التربية الاستقلالية عن الآخرين وخصوصًا الوالدين، والحرص على العدل والمساواة في التعامل بين الأطفال داخل الأسرة أو المدرسة.

4- حرص الأبوين على حَصْر وحَلّ المشكلات الزوجية داخل غرفة النوم، والنأي بالأطفال عنها أو الشعور بها.

5- الحرص على تقوية الروابط الأسرية داخل الأسرة والروابط الاجتماعية في المجتمع، وتعليم الأطفال الانفتاح الاجتماعي على الآخرين، وتشجيعهم على التواصل وتكوين صداقات مع أقرانهم.

6- عدم تحميل الطفل ما لا يطيق، وما لا يناسب قدراته وعمره الزمني.

7- إن أفضل أنواع التربية هي التربية بالقدوة، وأفضل قدوة للطفل هم الوالدان والمعلمون؛ فليحرصوا على ألا يرى الأطفال من تصرفات الآباء والمعلمين أي قبيح، وليركزوا على أن يروا منهم كل مليح.

8- الابتعاد عن توجيه الملاحظات للأطفال أو التعنيف أمام الآخرين أو دعوتهم أو إكراههم على فعل ما لا يحبون؛ كأن يطلب منهم أن يسلموا على الضيوف أو ينشدوا، أو الإشارة إليه على أنه خجول؛ فهذا يعزز هذا السلوك لديه.

9- تشجيع الطفل بالحرص على المدح والثناء عليه، وتوجيه الرسائل الإيجابية له باستمرار، وتجنُّب إرسال الرسائل السلبية له؛ كأن يقال له: أنت خجول، أنت لا تستطيع فعل هذا، أنت فاشل، أنت غبي.

10- إشراك التلاميذ الانطوائيين في الأنشطة والأعمال الجماعية، والإذاعة المدرسية.

11- تطبيق أساليب التعليم الحديثة واستراتيجيات التعلم النشط في التعليم، ومنها التعليم التعاوني والعمل في مجموعات، واستراتيجيات التعلم عن طريق اللعب والمسرح والمحاكاة وتبادل الأدوار، مع الحرص على وضعه في مجموعة تتقبله عند تطبيق نمط العمل في مجموعات.

12- تعزيز ثقة الطفل المنطوي بتعليمه معلومة خاصة لا يعرفها أقرانه، وسؤاله عنها في الفصل أمام الجميع ليكون هو المجيب.

13- سؤاله أسئلة سهلة ومساعدته في حلها.

14- تغيير مكانه إلى الصفوف الأمامية إن كان منزويًا في الصفوف الخلفية.

15 – تكليف الطفل الانطوائي بأنشطة بسيطة وسهلة التنفيذ للتمرن عليها في البيت، ومدحه وتعزيزه على تنفيذها أمام أقرانه.

16 – إدماجه في أنشطة ترفيهية وألعاب جماعية.

17 – تجنب المعلم تعنيف التلميذ أمام أقرانه أو تسخيف جوابه أو مشاركته؛ لأن هذا سيؤثر حتى على مشاركة الطلبة المشاركين بالأصل.

18 – عدم الطلب من التلميذ الإجابة عن السؤال، وإنما طرحه على المجموع مع النظر المحفز والحاني للطالب المقصود، وتشجيعه بابتسامة على المشاركة والإجابة، وشكره على مشاركته وإجابته مهما كانت، والانتقال لآخر بقول: أحسنت، أريد إجابة أخرى.

ختامًا:

يجب أن يعلم كل معلم ومربٍّ أن نسبة كبيرة من أبناء الأمة أصبحوا أيتامًا مع وجود الأبوين لنسبة كبيرة منهم، خصوصًا مع ما تمر به الأمة في كل بقاع الدنيا من مِحَن؛ وذلك لانشغال ذويهم عنهم، إما بهموم المعيشة، أو بالملهيات من وسائل التواصل الاجتماعي التي قرَّبت البعيد وأبعدت القريب الذي سنُسأل عنه يوم القيامة وهم أبناؤنا ومن استرعانا الله إياهم.

وعليه فإن رسالتي الأخيرة لكل أب وأم: الله الله فيمن استرعاكم الله إياهم؛ فتمثلوا قول النبي ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»[1]. واعلموا أن حاجات أطفالكم هي أكبر من الطعام والشراب، فتبيّنوها بالعلم والمعرفة، ومراجعة ما فاتكم في تربيتهم، وأعطوا كل ذي حق حقه، ومن نعم الله عليكم أن كتب المعرفة في جميع التخصصات أصبحت

---

(1) صحيح مسلم: (996).

مبذولة مجانًا الآن مع توفر الوقت الكبير المتاح، ولكن يحتاج فقط إدارة واعية تستثمره.

ورسالتي لكل معلم ومربٍّ: إنك خليفة النبي ﷺ في رسالته، وهذا رغم أنه تشريف فهو تكليف سيسألك الله عنه يوم القيامة، فتمثَّل ذلك وأنت تؤدّي عملك العظيم، واجبر تقصير أولياء الأمور فيمن تُربّي، وتحرَّ في تعاملك معهم أرقى الأساليب التربوية، ولا تركن إلى ما معك من علم ومهارة، واحرص على تعلُّم كل جديد، ولا يؤثّر على ذلك ما تمر به من ظروف وضغوط مادية ونفسية جمَّة نقدّرها لك، وسيحفظ الله لك ذلك كله. وأبشر بموعود الله في قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»[1].

(1) أخرجه الترمذي (2685) وصححه الألباني.

طفلي العنيف..

هل سيصير داعية عنيفًا؟!

د. أحمد الفرجابي

مستشار تربوي وأسري

السؤال:

من خلال اختلاطي مع المراهقين والفتيان بحكم عملي مشرفًا تربويًّا ومهتمًّا كذلك بالعمل الدعوي وممارسًا له طوال السنوات العشر الأخيرة؛ ألاحظ أن كثيرًا من المراهقين لديهم نزعة قوية للعنف، سواء العنف اللفظي واستخدام الألفاظ والردود الوقحة مع أقرانهم وممارسة التنمر، أو العنف الجسدي تجاههم، والذي تسبَّب فيه ربما الظروف المحيطة بهم، أو استغراقهم في الألعاب العنيفة على الجوالات وأجهزة الحاسب الآلي، أو ربما أسباب أخرى لا أعرفها..

لذلك كان يراودني دائمًا تساؤل: هل النشأة العنيفة للدعاة الصغار تؤثر في تعامل الداعية أو المربي مع المدعوين في المستقبل؟! بمعنى آخر: هل الطفل الذي يُعدُّ ليكون مشروع داعية ينبغي أن يتم اختياره بعيدًا عن هذه الفئة العنيفة أم يمكن اختيار أحدهم وتهذيب سلوكه؟! وما الذي ينبغي على المربين لكي يتمكنوا من محو هذه الرواسب العنيفة من نفوس دعاة ومربي المستقبل؟!

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحابته ومن والاه..

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، فالرفق واللين من هدي رسوله الأمين، والرفق ما كان في شيء إلا زانه ولا نُزِعَ من شيء إلا شانه، وقد قال الله لنبيه وقد بعثه -عليه صلاة الله وسلامه- رحمةً وهدايةً للعالمين؛ حيث قال تعالى له: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[2]، فلابد للدعاة في تدريبهم لأنفسهم ولغيرهم من السير على هدي النبي ﷺ الذي كان أرحم الناس بالناس.

بدايةً هذه بعض النقاط المهمة التي نريد أن نضعها بين أيدينا قبل أن نعرض لتفاصيل الإجابة:

أولاً: الدعوة إلى الله -تبارك وتعالى- تخصص دقيق، وعمل كبير، بل هي أرفع مقامات الدين، وهي مهمه رسولنا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والأنبياء ومن سار على دربهم من الهداة المصلحين.

ثانيًا: لا بد أن يكون الداعي بعيدًا كل البُعْد عما ينفّر الناس عنه؛ فالداعية الناجح يقصده الناس ويجدون عنده الرفق والخير والهداية، فهو من المحسنين.

ثالثًا: المهام الكبيرة تحتاج إلى إعداد كبير، ومن المهم حُسْن اختيار من سوف يرشَّح للعمل الدعوي، ثم نكثّف البرامج ونِنوعها في سبيل إعداد هذه الأجيال التي ستحمل همّ الأمانة والرسالة التي تركها النبي ﷺ في أعناقنا.

رابعًا: تربية الدعاة لا بد فيها من تحلية وتخلية، لا بد من تخلية من النقائص وإحلال

---

(1) سورة النحل، آية :125.

(2) سورة آل عمران، آية :159.

الفضائل والمكارم، وهذا من المعاني المهمة، فلا يصلح أن نأتي بالفضائل دون أن ننزع الرذائل والنقائص التي علقت بالنفوس بفعل هذه المجتمعات التي ابتعدت كثيرًا عن هدايات الشرع.

خامسًا: للداعية مؤهلات فطرية وأخرى مكتسبة، ومن المهم معرفة من يصلح للدعوة، بل يمكن أن نذهب إلى تخصص أكثر لنعرف في أيّ ميدان من ميادين الدعوة يمكن أن يصلح هذا الشاب أو ذاك.

سادسًا: قد يصعب علينا في هذا الزمان الحصول على من لا نقص فيه؛ فنحن بشر والنقص يطاردنا، والإشكالات تحيط بنا، ولذلك الأصوب وضع معايير للاختيار أولاً، ثم وضع قاعدة بيانات لكل من يتقدم لعمل الأنبياء وأشرف الأعمال: الدعوة إلى الله -تبارك وتعالى-، ثم نسعى بعد ذلك في تنمية الإيجابيات ومعالجة النقائص والسلبيات، وصولاً إلى جليل الغايات، ودورنا هنا هو تهذيب السلوكيات وتصويب الاتجاهات لدعاة المستقبل حتى تثمر الدعوة وتنجح في هذا العمل العظيم.

إن دور العاملين في حقل الدعوة كبير في تخليص دعاة المستقبل من آثار تلك الألعاب العنيفة، أو التي نتجت بفعل سلبيات النشأة الأولى في مجتمعاتنا، وأرجو ألا ينزعج الدعاة من وجود تلك النزعة عند بعض شبابنا؛ إذ لا بد لدعاة المستقبل من معرفة علل عصرهم؛ فهذا العنف -إذا كنا نخافه ونمنع وجوده في الدعاة- فهو موجود في المدعوين، ولن يحسن عرض الإسلام وفهم قضايا الناس من لا يعرف الجاهلية، وسوف يستفيد من يتعافى على أيدي الدعاة والتربويين الربانيين من آثار العنف ويكتسب مناعة لنفسه وبصيرة في علاجه لغيره من إخوانه ممن وقعوا في هذا الإشكال.

ودورنا -معشر الدعاة العاملين والمربيين- كبير في تغيير السلوكيات السلبية، فإن

عجزنا عن التغيير الكامل فعلينا أن نغيّر مجاريها، هذا أيضًا ما يقوله علماء التربية؛ بأن نجعل الغضب لله وفي الأمور التي تستحق، ونجعل الغلظة في القول لمن يستحقها، وكل ذلك من الحكمة المطلوبة، ولذلك هذه من الأمور المهمة التي لا بد أن نراعيها ونحن نسعى في التصحيح وتغيير تلك السلوكيات التي علقت بالنفوس في أيام غفلتنا وبُعدنا.

وهنا أحب أن أنبّه أيضًا إلى أن ميادين الدعوة واسعة، ومن خلال إعداد الدعاة سوف نعرف من هو الأصلح لخطاب الناس، ومن هو الأقدر في مجال التأليف، ومن هو الأعمق فائدةً في ميادين التخطيط وإدارة الأعمال الدعوية، فالدعوة اليوم بحاجة إلى صحفيين وإعلامين ومصورين ومغردين وشعراء وأدباء ومخططين يضعون الاستراتيجيات ويحددون الأولويات، وكُلّ ميسَّر لما خُلِقَ له؛ فالدعوة إذًا تحتاج إلى إعداد عظيم، والبدايات المحرقة هي التي توصل إلى نهايات مشرقة؛ بإذن الله -تبارك وتعالى-.

نأتي إلى السؤال المهم: كيف ننجح في محو آثار العنف من نفوس دعاة الغد؟! ونختصر ذلك في النقاط التالية:

أولاً: علينا الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجوء إليه؛ فإن قلوب الصغار والكبار بين أصابع الرحمن يقلّبها ويصرفها، وهداية التوفيق منه وحده ﷻ.

ثانيًا: علينا أن نجتهد في معرفة أسباب العنف، ونجري الدراسات المعمّقة عن ذلك؛ فإن معرفة السبب أكبر ما يساعدنا في إصلاح الخلل والعطب.

ثالثًا: علينا أن نقوم بدراسات متأنية لشجرة عائلة كل داعية، ونعرف ترتيبه بين إخوانه، وظروف نشأته، ومعرفة تاريخ وخلفية مظاهر العنف التي عنده، سلبية كانت أو إيجابية، فقد يكون تنمَّر على آخرين أو كان هو ضحية للتنمر، فأثَّر ذلك سلبًا في سلوكه.

ثالثًا: علينا أن نحرص على إدارة حوارات مع دعاة المستقبل من أجل تصحيح المفاهيم حول مسائل مثل الشجاعة والرجولة والشدة؛ ففي ديننا ليس الشديد بالصُّرعة الذي يصرع الرجال، ولكن الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب؛ فتصحيح المفاهيم له أثر كبير لأنه يؤثر على القناعات الموجودة في داخل النفوس.

رابعًا: إحياء قِيَم الحب والتعاون، وتنميه قيمة العفو والحلم تأسيًا بأنبياء الله الذين لم يكونوا يغضبون لأنفسهم.

خامسًا: علينا أن نسعى في استيعاب طاقات الشباب لنشغلهم قبل أن يشغلونا، ثم نوجه هذه الطاقات في الاتجاه الصحيح، وندرّبهم على إدارة غضبهم والتحكم في مشاعرهم وضبطها بقواعد الشرع.

سادسًا: لا بد من حرص المربّي الداعية الذي يربي الدعاة -دعاة المستقبل- على أن يكون قدوة في تعامله مع طلابه، فلا شك أن تجنّبه لأيّ مظهر من مظاهر العنف هو أقصر طريق لنزع الخلل في نفوسهم، ونحن نؤثر بأفعالنا أكثر من أقوالنا، والأخذ بالقدوة أخذ متكامل، ولذلك ينبغي أن نوجد لهم هذه القدوات ممن تسلحوا بالصبر والحلم والعفو وحسن إدارة انفعالاتهم وغضبهم.

سابعًا: الحرص على محو آثار العنف الغائرة في نفوس الشباب بمناقشة مظاهر العنف الأسري، وعرض المنهج الشرعي الصحيح حتى يكون الاحتكام للشرع وليس للعادات والتقاليد، فإن من الناس من يظن أن الضرب ينفعه والعلم يرفعه؛ (لنا العظم ولكم اللحم) كما يقول البعض، ولذلك لا بد من تصحيح هذه المفاهيم؛ فآثار القسوة هذه آثار خطيرة، وهي التي تقتل عندهم روح المبادرة، وهي التي تولّد عندهم رغبة في الانتقام من آخرين

كما أوذوا في صغرهم.

ثامنًا: التأكيد على العدل بين الأبناء والطلاب والزملاء والمرؤوسين؛ فالعدل أولاً مطلب شرعي، وهو من أهمّ أسباب سدّ الأبواب للسلوكيات السلبية، ومنها العنف الذي نتحدث عنه.

تاسعًا: علينا أن نحرص على تنمية القدرات العلمية والمهارات الحياتية، ونسعى في اكتشاف المواهب؛ فإنه لا يلجأ للسلوكيات السلبية مثل العنف إلا مَن فشل في اكتشاف نفسه وقصَّر من حوله من الدعاة والمربين في اكتشافه؛ فقد يكون العنف بسبب الإحباط والإحساس بالفشل، وكأنه يريد أن يلفت النظر، وأن يظهر بهذا الجانب السلبي بكل أسفٍ.

عاشرًا: علينا أن نحرص على برامج التعايش والمشاركة مع دعاة المستقبل، فلا نكتفي بالتدريب النظري للدعاة، ولكن لا بد من المعايشة والمشاركة لهم؛ حتى نُخلّصهم أولاً من ضعف التكيف الاجتماعي، وأيضًا ننمّي عندهم الروح الجماعية، فالمؤمن الذي يخالط ويصبر خير من الذي لا يخالط ولا يصبر، كما أن وجود المربي مع الدعاة -دعاة المستقبل- يساعده في اكتشاف صور الخلل ومعالجتها في البداية، والعلاج في البدايات سهل.

حادي عشر: وضع قواعد واضحة للتعامل مع النفس ومع الغير، انطلاقًا من قواعد الشرع الحنيف، وتدريب الشباب على العادات الحسنة؛ مثل: فنون الاحترام والذوق الرفيع.

ثاني عشر: حزم المربي وصرامته عند حصول تجاوز تجاه الآخرين من طلابه الدعاة، كما حصل لرسولنا مع أبي ذر ﵁ عندما عيَّر رجلاً بأُمّه فقال له النبي ﷺ: «**إنك امرؤ فيك**

جاهلية»[1]، وكان ذلك أيام تنزُّل الوحي وبدايات التربية.

ثالث عشر: تربية دعاة المستقبل على ثقافة الاعتذار، وتدريبهم على جبر الخواطر؛ لكونها سبب النجاح، وفيها الوقاية -بحول الله وقوته- من المخاطر، وتدريبهم على حُسْن الظن بالناس.

رابع عشر: الدراسة المتأنية لمناهج الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم، مع نماذج من سِيَر دعاة الحق عبر تاريخ المصلحين الربانيين.

أخيرًا: التسلُّح بالصبر، مع الاستمرار في التربية والمتابعة الواعية، والتقييم المستمر، والتوجيه الرشيد. ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد.

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

ابني مدمن للألعاب الإلكترونية.. كيف أعالجه؟!

وليد الرفاعي

كاتب وباحث ومدرب تربوي

السؤال:

ابني يبلغ من العمر عشر سنوات، وقد أنجبته وأنا صغيرة، ولم أدرك في صِغَره حجم الأضرار التي تترتب على اللعب بالألعاب الإلكترونية، فمنذ كان عمره عامين كان يلعب مع إخوتي، وتعلق بها بشكل شديد جدًّا، حيث اضطررت عند بلوغه خمس سنوات شراء جهاز خاص به، ومن هنا بدأت المشكلة؛ كنت أنا وأبوه نحاول جاهدين تنظيم وقت معين للعب به، ولكن لا جدوى؛ يظل يبكي ويرجونا حتى نملّ ونجعله يلعب، وأنا أعلم أن هذا خطأ، ولكن بعد بلوغه سن السابعة أتت له قريبتنا بهدية آيباد، وحلّت علينا الكارثة، خصوصًا أن جميع من حولنا من أهلنا يملكون الآيباد، فلم أستطع حرمانه منه، بل حاولت جاهدة أن أسيطر عليه، وبالفعل كنت أحرز تقدمًا، ولكن منذ عام تقريبًا رحل أهلي إلى منطقة أخرى بعيدة، وأصبح ابني وحيدًا، فكنت أتعاطف معه وأسمح له بالجلوس على الآيباد أو البلايستيشن.

والآن ما أن تختفي الأجهزة حتى يصبح كالمدمنين، ينتظر مرور الساعات حتى أسمح له؛ عيونه تأثرت، وحتى عموده الفقري انحنى، مع العلم أنه ذكيّ جدًّا، والأول على صفّه، وحنون ومتعاون، واجتماعي، ولا يكذب، ويصلّي، وموهوب جدًّا بالإلكترونيات، ومبدع فيها، ولكن خوفي من أن يستمر هكذا وأفقد ابني، ماذا أفعل؟! ساعدوني جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

لا شك أن مشكلة تعلق الأطفال والكبار على حد سواء بالتكنولوجيا، وخاصة السمارت فون والآيباد، وكذلك ألعاب الفيديو، قد أصبحت مشكلة يعاني منها المجتمع الحالي، خصوصًا في ظل الاستخدام المفرط، أو ما قد يُوصَف بالإدمان عليها، إلا أن تأثيرها سيكون أكثر ضررًا على الأطفال منه على الكبار؛ لأنهم ما زالوا في مرحلة النمو الجسدي والعقلي والنفسي والعاطفي.

وبالنسبة لطفلك، فمعك حق بوصفه «مدمن»؛ لأنه قد ثبت فعليًّا من خلال الدراسات بأن التعود على استعمال هذه التقنيات يؤدي إلى الإدمان؛ ذلك أن الطفل إذا ما أُبعد عن هذه التقنيات، فستظهر أعراض انسحابية تشبه أعراض الإدمان.

وهنالك عوامل معينة ساعدت على تعلق ابنك بهذه التقنيات؛ منها: أنه قد بدأ يستخدمها منذ سنّ مبكرة، وقد كان يستخدمها لأوقات طويلة دون أن يتم تحديد وقت معين له، وكذلك كونه لا يتاح له فرص للاختلاط بالأطفال واللعب معهم.

والمشكلة أن طفلك قد بدأ تعلقه بهذه التقنيات من عمر السنتين، واستمر على ذلك حتى الآن، فأمضى بذلك أغلب طفولته، وهو يقضي وقته باللعب عليها، وقد ثبت أن للاستخدام المطول لهذه التقنيات أضرارًا متعددة على صحة الأطفال ونموهم السليم.

ومن هذه التأثيرات السلبية:

أنها تؤثر على نمو الجسد بالمعدل الطبيعي، وعلى عضلات الطفل، وتؤدي إلى مشكلات في العضلات وفي عظام الرقبة والكفتين والظهر.

وهي كذلك تؤثر على القدرة على التركيز والانتباه عند الطفل، وتقلل من فترة التركيز،

وتؤثر كذلك على القدرة على القيام بالعمليات الحيوية للدماغ، كالتحليل والتركيز والاستنتاج وغيرها، وقد وجد أيضًا أن السرعة الهائلة التي تتحرك بها الصور والألعاب الالكترونية تؤثر سلبًا على الدماغ، وعلى العين أيضًا وتتعبها.

كما أن استخدام هذه التقنيات لفترات طويلة يؤدي أيضًا إلى قلة الحركة، وبالتالي إلى البدانة والخمول، وقد وجد أن الأشعة الكهرومغناطيسية الموجودة في هذه الأجهزة كالسمارت فون والآيباد، لها تأثير ضارّ على صحة الطفل وعلى نموه، وكذلك على نومه.

كما أن بعض الدراسات التي أُجريت على تأثير هذه الأجهزة على الأطفال خلصت إلى أنها تُعلّم الطفل العدوانية، وتؤدي إلى ظهور مشكلات في السلوك؛ فيصبح الطفل سريع الغضب والانفعال، هذا إلى جانب تأثيرها على تفاعل الطفل الاجتماعي، وعلى تطور اللغة لديه، وعلى قدرته على فهم الانفعالات والمشاعر والتواصل مع الآخرين؛ فهي تعزله تدريجيًا على ذاته، ويفقد القدرة على الاندماج، وهذا طبعًا يؤثر على النجاح في الحياة بشكل عام، وعلى حياته العملية والاجتماعية، وكذلك على التحصيل الدراسي.

وقد لُوحِظ أيضًا أن استخدامها له تأثيرات على الصحة النفسية للطفل، وقد تؤدي إلى القلق والإحباط، وفي أحيان قد تؤدي إلى الاكتئاب.

كما أن من أهم الأمور التي تساعد الطفل على النمو السليم جسديًا وذهنيًا وعاطفيًا ونفسيًا خلال طفولته، هو اللعب؛ حيث يستخدم الطفل خياله، ويستكشف الأشياء والعالم حوله من خلال الاحتكاك بها عن طريق اللعب، فعندما يحرم فرص اللعب والتفاعل الاجتماعي، فهذا لا شك سيؤثر سلبًا على نموّه وتطور قدراته في جميع النواحي.

ولا شك أنك تدركين أضرار الاستعمال الزائد لمثل هذه الأجهزة على طفلك، وهذا هو

سبب استشارتك لنا، ولكن أنا أدرك أن سحب هذه الأجهزة منهم ليس بالأمر السهل، وأنه يشكل تحديًا كبيرًا للأهل، وما يفعله زوجك أيضًا ليس بالحل الصحيح؛ فأنت لا تستطيعين أن تسحبيها مرة واحدة من طفلك؛ لأن هذا قد يؤدي إلى ظهور أعراض انسحابية ويؤثر سلبًا عليه، وأنا أيضًا لا أستطيع أن ألوم طفلك على تعلقه بها؛ لأنه ليس لديه بدائل أخرى؛ فهو طفل بحاجة إلى اللعب والمرح، وبحاجة إلى أن يشغل وقته بشيء يجذبه؛ وهو في شبه عزلة اجتماعية، وليس لديه أطفال وأصدقاء يخالطهم ويمضي بعض وقته معهم.

فإليك أختي بعض النصائح التي ستسهل عليك تخليص ابنك من تعلقه الزائد بهذه الأجهزة، بإذن الله:

– أهم نقطة هي وضع حدود وقوانين تخص استعماله لهذه الأجهزة؛ فينبغي أن يتم تحديد وقت محدد لاستخدامه إياها لا يتعداه، كأن يخصص له ساعة للعب يوميًّا، ويحدد وقت هذه الساعة، كأن تكون بعد أن ينهي واجباته المدرسية، ولكن حاولي أن يكون استخدامه لها قبل موعد نومه بفترة؛ حتى لا تؤثر على نومه.

– من المهم أن يتم تحديد نوع البرامج التي يستخدمها الطفل، بحيث يغلب عليها الطابع التعليمي أو الترفيهي الذي يخلو من العنف والعدوانية.

– لا تلبي رغباته باقتناء الأجهزة الأحدث، أو بشراء ألعاب الفيديو الحديثة، واكتفي بما لديه، واثبتي على موقفك، وكوني حازمة في هذا المجال.

– ولعل النقطة الأهم هنا هو: أن يُتاح لطفلك فرص الاختلاط بالأطفال في مثل سنّه؛ فشجِّعيه على اللعب مع أصدقاء المدرسة والخروج معهم إلى اللعب في أوقات أخرى من اليوم، أو في نهاية الأسبوع، وعلى دعوة أصدقائه إلى بيته للعب معهم، وحاولي أن تقوّي

علاقتك بالجارات أو بالصديقات اللواتي لديهن أطفال في مثل سنّه، وتوفّري له فرص اللعب معهم ما أمكن.

- قومي بتسجيل طفلك في نادٍ رياضي لتعلم رياضة معينة يحبها، كالكاراتيه أو المصارعة أو أي لعبة، ومن الأفضل أن تكون لعبة جماعية ككرة القدم مثلاً، وشجعيه على ذلك، ولا تستسلمي لرفضه.

- اصطحبي طفلك معك إلى الأماكن العامة التي من الممكن أن يلتقي بها بأطفال في سنّه، ويلعب ويتحرك، مثل الحدائق العامة التي تحوي أماكن لعب للأطفال، وإن كان لديه دراجة هوائية فشجعيه على ركوبها.

- أعطي ابنك مسؤوليات معينة في البيت ينشغل بها، وكافئيه عليها، وتستطيعين أن تشجعيه على كسب المال مثلاً من خلال قيامه بمهام معينة في البيت، وبهذا فأنت تشغلينه عن الإلكترونيات وتعلمينه تحمل المسؤولية.

- شجّعي زوجك على اصطحاب ابنه معه إلى الصلوات الجماعية في المسجد، وأن يرافقه في خروجه من حين لآخر؛ حتى يشغله عن الانكباب عن هذه الألعاب.

- قومي باصطحابه معك إلى السوق، ودعيه يختار بعض الـBoard games (ألعاب الطاولة)، مثل المونوبولي مثلاً، أو الشطرنج أو «احزر من»، أو غيرها من الألعاب التي تحتاج إلى تفكير وتفاعل بينه وبين شخص أو أشخاص آخرين، وخصِّصي بعض الوقت أنت ووالده لكي تشاركيه اللعب بها، وابنك طفل ذكي، ولا شك أن مثل هذه الألعاب ستجذبه.

- ابحثي عن هواياته ومواهبه، وقد ذكرت أنه موهوب جدًّا، وحاولي أن تنمّيها عنده،

ووفري الأدوات اللازمة له لكي ينمّيها ويمارسها، وكلما شغلتيه بأشياء يحبها، كلما سهل عليك هذا تخليصه من إدمانه على الإلكترونيات.

أختي الكريمة: إن الأمر يحتاج إلى جهد وصبر، ويحتاج إلى استخدام الحوافز والتشجيع وتوفير البدائل، وإشغال وقته بالأمور التي يحبّها ويستمتع بعملها بعيدًا عن الإلكترونيات، والحمد لله فانشغاله بهذه الإلكترونيات لم يؤثر على دراسته وتفوقه بعد، وربما أن هذا لأن طفلك يتمتع بمستوى عالٍ من الذكاء، وهو موهوب كما ذكرت، لكنه قد أثَّر على ظهره وعلى نشاطه وتفاعله الاجتماعي بلا شك، لكن وما زال في الوقت متسع لكي تصححي الأخطاء السابقة، وتساعديه على أن يتخلص من هذا الإدمان، ويستثمر وقته في تنمية قدراته ومواهبه، وفي تطوير تفاعله الاجتماعي الذي هو أمر مهم في صحته النفسية، والأم هي الأقدر على مساعدة طفلها مهما كانت التحديات، فتسلحي بالإرادة والتصميم والحب الفطري الذي خلقه الله في قلبك، وأكثري من الدعاء والاستعانة بالله تعالى على ذلك.

وفقك الله وأصلح لك ابنك، وجعله من المتميزين المتفوقين والصالحين الأبرار، وزاده بسطة في العلم والجسد، وجعله سببًا لسعادتك في الدارين.

أشعر بالتناقض بين كوني مربيًا وإيماني الضعيف.. فهل أستقيل؟!

د. عبد اللّه الأشول
باحث شرعي وداعية

السؤال:

أنا مشرف على حلقة قرآنية بمسجد حيِّنا، أعلّم فيها الأطفال تجويد القرآن، وأحفظهم ما تيسر من كتاب الله ﷻ، وأشرح لهم معاني الآيات بصورة إجمالية، وأقوم أحيانًا معهم ببعض الأنشطة الترفيهية والتعليمية والتربوية؛ بحيث لا يقتصر الأمر على مجرد ترديد الآيات دون فهم لمعانيها، أو تشرُّب للفوائد والدروس المستفادة منها.

لكنني أحيانًا أشعر بالتناقض فيما أفعل، لا سيما حين أرتكب ذنبًا أو يعتريني في أوقات ما ضعف في إيماني أو فتور عن أداء السنن وتقصير في الواجبات، فأحدّث نفسي بذلك، وأرى في بعض طلبتي اجتهادًا أكثر مني في العبادات والمحافظة على الفرائض ومراجعة القرآن وقراءة الأوراد.. كثيرًا ما أقرر التوقف عن التدريس لهذا السبب، لكن إخواني ينصحونني بالاستمرار مع المجاهدة، ولا أدري حقيقةً ما جدوى ذلك. فهل أتوقف؟! أم أن هناك علاجًا لهذا الضعف الشديد الذي أحسّ به من آن لآخر؟!

الجواب:

الأخ العزيز، نشكر لك جهدك الذي تبذله من أجل تعليم وتربية أبناء المسلمين، وبَذْلُك في ذلك لجهد أكبر بحيث يتعدى الأمر مجرد التلقين لغرس العقيدة والمعاني التربوية

والأخلاقية العميقة، فهذا جهد مشكور، وقليلٌ مَن يقوم به الآن.

أخي الكريم: كما يحتاج الإنسان إلى غذاء يقيم بدنه، ويحافظ عليه من الهلاك، فإن حاجته لغذاء الروح أعظم من حاجته لغذاء الأبدان؛ لأن فوات غذاء الأبدان ينتج عنه هلاك الأجساد في الدنيا، وأما غذاء القلوب فينتج عن فقدانه خسارة الدنيا والآخرة؛ ولذلك شبّه الله تعالى مَن فَقَد غذاء الروح بالميت، وجعل نور الوحي حياة لتلك الروح، تنجو به من ظلمات التيه، وتتكامل معها إنسانيته التي كرّمه الله تعالى بها، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

والحفاظ والاستزادة من الغذاء الإيماني صفة أهل الإيمان الحقيقي؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[2].

وأنت -أيها المربي الكريم- قد تسنّمت منزلةً عظيمةً عبر قيامك بوظيفة تربية النشء وتزكيتهم؛ وتحتاج إلى زاد إيماني مستمر تستعين به في أداء رسالتك، حتى تضمن التجدد وتنجو من التبدد، وبين يديك جملة من الأمور المهمة، أسأل الله تعالى أن ينفعني وإياك بها:

أولاً: استشعر دائمًا أنك في عبادة، وأن دورك في هذه الحياة هداية الخلق للحق، واطلب الثواب من الله تعالى، وأخلص له القصد وحده، ولا تنتظر الثواب من أحد غير الله تعالى، وكلما جعلت الله تعالى غايتك وقصدك نجوت من مكائد الشيطان، وحفظ الله تعالى عليك إيمانك، فلم يكن للشيطان إليك سبيل؛ كما حكى الله تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

(1) سورة الأنعام، آية: 122.

(2) سورة الأنفال، آية: 2.

﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾[1]. وكلما عظم استشعارك لهذا المعنى شعرت بحلاوة الإيمان في قلبك، وزاد حرصك على البذل والعطاء.

وثانيًا: اطلب الكمال في أداء رسالتك دائمًا، وابذل أسباب تحقيق ذلك؛ من خلال الحرص على اكتساب المهارات العلمية والفنية والتربوية، وعدم الاكتفاء بالوسائل القديمة، وهذا كله داخل في معنى حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)[2].

فلربما كنت سببًا في إخراج عظيمٍ ينشر الخير في العالم، ويرفع مناره في قادم الأيام، واعلم أن العظماء الذين تعدَّى عطاؤهم ونفعهم عموم الناس، إنما كانوا نتاج من كان يرعاهم ويربيهم، ويشحذ هِمَمهم ويرقيها في درجات السمو، فالشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل، وابن تيمية، وبطل الصحراء عمر المختار، والأمير القائد عبد الكريم الخطابي... وغيرهم من العظماء الكثير، كانوا أثرًا من آثار مَن ربَّاهم وصاغ شخصياتهم في بدايات حياتهم.

ثالثًا: اعمل بعلمك، وصدّق بأفعالك أقوالك، فإن فعلت ذلك وجدت لذلك لذة إيمانية عظيمة في قلبك، ووجدت انسجامًا وتصالحًا مع نفسك، وشعرت بصلاح البال، وطمأنينة القلب، ونجوت من التوبيخ والوعيد في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[3]، والعذاب الشديد في الآخرة؛ فعن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤْتَى

(1) سورة ص، آية: 82، 83.

(2) أخرجه أبو يعلى (1437)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 1880.

(3) سورة الصف، آية: 2، 3.

بالرَّجُلِ يومَ القِيامَةِ، فيُلْقى في النّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بها كما يَدُورُ الحِمارُ بالرَّحى، فَيَجْتَمِعُ إلَيْهِ أَهْلُ النّارِ، فيَقولونَ: يا فُلانُ ما لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بالمَعروفِ، وَتَنْهى عَنِ المُنْكَرِ؟ فيَقولُ: بَلى، قدْ كُنْتُ آمُرُ بالمَعروفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ»[1].

وتأمل قول ابن القيم في وصف من ناقض قوله بفعله: «... جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا! قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طريق»[2].

وقال الشاعر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

رابعًا: داوم على تحقيق الاستقامة، واحرص على فعل النوافل والفرائض، واجتناب المكروهات والمحرمات، وليكن لك وردٌ من القرآن، مع الإكثار من ذكر الله تعالى في جميع أحوالك؛ فإن ثمرة ذلك الدخول في زمرة أولياء الله تعالى السعداء، الذين تتنزل عليهم الملائكة لتغمرهم بالأمن والطمأنينة، والسكينة والسعادة، وتبشّرهم بالفوز برضوان الله تعالى وجنته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[3].

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (3267)، ومسلم (2989).

(2) الفوائد، ص: 61.

(3) سورة فصلت، آية: [30-32].

وعنْ أبي هُريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ قال: مَنْ عادَى لي وليًّا فقدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تقرَّبَ إليَّ عَبْدي بِشيءٍ أحبَّ إليَّ مِمَّا افْترضتُ عليْه، وما يزالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحبَّه، فإذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، ورِجْلَهُ التي يَمْشي بِهَا، وإنْ سَأَلَني لأعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتعَاذَنِي لأعيذَنَّهُ»[1].

خامسًا: تعرّف على سيرة المصلحين، وجهودهم في تربية أممهم ومجتمعاتهم، ووفي مقدمتهم الأنبياء -عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم-، والمصلحين من أصحابهم وعلى رأسهم أصحاب نبينا -م وأرضاهم-، ومن حمل عنهم تلك المسؤولية من العلماء والمصلحين، وحينها ترتفع همتك، ويزداد ويتجدد إيمانك؛ قال الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2].

سادسًا: لازم أصحاب الهِمَم العالية، واحرص على الرفقة الصالحة، الذين ترتقي بهم ويرتقون بك في مقامات الفضل والخير، واحرص على تكوين البيئة المعينة لك على أداء دورك العظيم، فالنفوس تتأثر بمحيطها وما حولها، والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل كما قال -عليه الصلاة وأتم التسليم-.

سابعًا: محاسبة النفس المستمرة، من خلال التقييم المستمر للأداء، والسعي لإصلاح جوانب القصور والخلل في البدايات، والحذر من غوائل النفوس وأدوائها، ومن أعظمها الحسد بين المشتغلين بهذه الرسالة المهمة، والعجب بالنفس، والرياء وطلب الأجر والثواب من الخلق، وملازمة الاستغفار من أي قصور أو خلل، قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ

(1) أخرجه البخاري (6502).

(2) سورة هود، آية: 120.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1].

وعن الأغر المزني -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[3].

ثامنًا: تفاءل، ولا تجعل لليأس إلى قلبك طريقًا، فيثبطك ويوهن قلبك، ويلقي عليك سحابة من القنوط لا تمطر إلا على القلوب الخالية من الإيمان بالله تعالى ومعرفته، ولا تستعجل قطف الثمار سريعًا، واجعل تركيزك على إتقان البدايات، وأما النهايات فَكِلْ أمرها إلى الله تعالى، وهو لن يضيع جهدك ما دمت كذلك.

فعليك بذر الحب لا قطف الجنا   والله للساعين خير معين

ولا تستسلم للمعارضات المعاصرة فتقعدك عن رسالتك وقيامك بواجب توجيه النشء وتربيتهم، فإنك رائد في المجتمع، وليس من صفات الرائد اليأس والوهن والضعف، وتضييع الحقوق الواجبة واستبطاء التغيير المنشود تحت ضغط المعارضات من حولك؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ٨٧﴾[4].

وتذكر قول الحبيب محمد ﷺ لما خيَّره الله أن ينزل العذاب على قومه: «بل أرجو أن

(1) سورة محمد، آية: 19.

(2) أخرجه مسلم (7033).

(3) أخرجه البخاري (6307).

(4) سورة يوسف، آية: 87.

يُخْرِج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[1].

تلك الأيادي التي امتدت ليوسف عن	حقد فألقته في جب بلا شفقة
هي الأيادي التي امتدت بفاقتها	يومًا لتسأله شيئًا من الصدقة
يصرّف الله أحوال العباد فلا	تقلق وعِشْ مؤمنًا في عزة وثقة

تاسعًا: أكثر من الدعاء أن يثبّت الله قلبك على الإيمان، وأن يعينك في أداء واجبك وحمل رسالتك، واستشعر أنه -سبحانه وتعالى- قريب منك، وأنه لا يرد دعاءك أبدًا؛ فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ ربَّكُم حَيِيٌّ كَريمٌ يَستحيي مِن عَبدِه أن يَرفَعَ إليه يدَيهِ فيَرُدَّهما صِفرًا»[2].

وعاشرًا: وهي ختامها، تذكر أنك ميّتٌ، وأن مقامك عند الله تعالى يوم القيامة عظيمٌ، فما هو جوابك يوم يتوجه السؤال إليك عن عمرك ووقتك وحياتك، وما وهبَك الله تعالى من النعم التي لا تُعدّ ولا تُحصَى، هل أديت شكرها، وهل أديت الأمانة التي شرَّفك الله تعالى بها يوم اختارك واصطفاك لتكون دليلاً عليه، هاديًا الخلق إليه.

وتخيل ذلك النداء يوم القيامة حين يتوجه إليك، كما قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾[3].

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبي الهدى والرحمة محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) أخرجه البخاري (3231).

(2) أخرجه أبو داود (1488) وصححه الألباني.

(3) سورة الإسراء، آية: 14.

الرسول يربِّي

الأبعاد النفسية في

تربية النبي ﷺ لأصحابه

د. شوكت الطلافحة

المدير التنفيذي لمركز «تربية» - الدوحة

إن المتأمل في سيرة النبي ﷺ وسيرته، يقف مشدوهًا أمام العظمة المحمدية، التي أكرمه الله تعالى بها؛ إذ تتعدد جوانب الفائدة والقدوة حتى تكاد تنفلت من إطار الحصر، فالسياسي يجد في هديه عليه السلام بُغْيته، ومن طلب الاقتصاد حوَّل وجهه شطر سُنته، والباحث الاجتماعي يجد في حياته عليه السلام مرامه وأُسس علمه، والفقهاء مازالوا يدورون في فلك توجيهه وإرشاده... وهكذا؛ فسيرته لوحة فسيفسائية زاهية الألوان بديعة الأثر، تجذب العين بجمالها، وتنعش الروح بأشواقها.

وليس عجبًا إذًا أن يكون للمربين والعاملين في المجال التربوي نصيب من هذا البحر الزاخر بالعطاء والخيرات؛ ولذا كُتبت الأبحاث والدراسات التربوية متناولة زوايا مختلفة من وحي المربي الأعظم -صلوات ربي وسلامه عليه-.

وفي مقالتنا هذه نتناول البعد النفسي في تربيته عليه السلام لأصحابه الكرام، مكتفين بالإضاءات والمقتطفات؛ حيث المقام مقام اختصار لا استيعاب، وتوجيه لا تفصيل.

بين التربية والتزكية:

يختلف أهل العلم في تحديد الفروق بين التربية والتزكية، سواء من حيث الفاعل والمفعول به، أم من حيث السن الذي تقف عنده أو الفئة المستهدفة من هاتين العمليتين،

إلا أن الاتفاق حاصل على أن التزكية هي المقام الأعلى والأرقى، وهي عملية تشاركية بين الفاعل والمفعول به، وأن رسولنا ﷺ كان يقوم بدور التزكية؛ فقد قال ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾[1].

ولذا فإن بناء النفوس وتجهيزها لمهمة الإعمار والاستخلاف والعبودية الحقَّة، وتخريج أُمّة منتجة عاملة مرضية عند ربها ﷻ؛ كانت مهمته العظمى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد تمتع ﷺ بصفات عظيمة وكثيرة جعلت منه مزكيًا عظيمًا ومربيًا عملاقًا، تقف كل مدارس التربية عند قدميه متعلمة، ومن ذلك:

1- إدراكه عليه السلام لبيئة المتربي وأثرها عليه، وهذا جاء في تعامله عليه السلام مع الأعراب حين تعاملوا بالغلظة، ومع أهل مكة حين واجهوه بالقسوة.

2- دقة الملاحظة والاهتمام بالحالة النفسية للصحابة، ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل الرسول ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة، ما لي أراك جالسًا في غير وقت الصلاة؟! قال: هموم لزمتني وديونٌ يا رسول الله، قال: أفلا أعلّمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب الله ﷻ همّك، وقضى عنك دَيْنك؟! قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». قال: ففعلت، فأذهب الله ﷻ همي، وقضى عني دَيْني[2].

(1) سورة البقرة، آية: 151.

(2) أخرجه أبو داود (1555).

إنها نفسُه الشَّفافة ﷺ؛ لا يدع أحدًا من صاحبته يصارع الهم -وما أثقله- دون أن تكون منه لمسة حانية على ذلك القلب المثقل المهموم.

3- معرفته بقدرات وطاقات المتربين: لم يكن ﷺ يدير دولته، وينشر دعوته، وهو في قصر مشيد بينه وبين الناس حُجُب وأبواب، إنما كان بين أصحابه موجّهًا، وفي جلساتهم مسامرًا ومؤنسًا، وفي غزواتهم قائدًا وسندًا، وفي أعمالهم يده بيدهم بانيًا أو جامعًا للحطب، ولذا كان هذا الالتصاق بين المزكي والمتزكين والمتربي والمتربين بوابته ﷺ لمعرفة قدرات وطاقات أصحابه، فكان يضع كل إنسان في مكانه المناسب، فالصِّدِّيق صاحِبٌ ومستشارٌ وخليلٌ، وخالد الشجاع هو سيف الله المسلول، وزيد بن ثابت صاحب الذكاء اللغويّ الحاد هو مترجم الرسول ﷺ الخاص، وحسان بن ثابت لا يجيد القتال بالسيف لكن شِعْره أشد على المشركين من وَقْع النبل، فكان شاعره ﷺ.

محطات نبوية في البناء النفسي:

1- تباشير الأمل رغم مناشير الباطل:

حرص النبي ﷺ أن يبني جيلاً لا يعرف الانكسار؛ إذ هو المعوَّل عليه في حمل الرسالة، وتبليغ الدين في الآفاق؛ ولذا ما لبث في العهد المكي ينفك من تذكير الصحابة بالنصر، وأن هذا الدين ظاهر لا محالة، فالمسلم عليه بالصبر والحلم والتربص للحظة التمكين، ومن هذا حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه الشهير، المروي في صحيح البخاري؛ إذ قال رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنجد لنا، ألا تدعو لنا؟! قال ﷺ: « كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ على رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أوْ عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ. واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتّى يَسِيرَ الرّاكِبُ مِن

صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ على غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

إنها التباشير رغم المناشير، فاثبتوا فإن الدين منصور، بهذا وغيره كان يزكي ﷺ أصحابه في سبيل بناء نفسي محكم.

2- البرمجة الإيجابية:

تعالَ وعش معي في هذا النص النبوي المفعَم بمعاني التربية الإيجابية، الفيّاض بالود، المرسوم بالتقدير، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحَمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بَكْرٍ، وأشَدُّهم في أمرِ اللهِ عُمَرُ، وأصدَقُهم حَياءً عُثْمانُ، وأقضاهم عليٌّ، وأعلَمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبَلٍ، وأفرَضُهم زَيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرَؤُهم أُبَيٌّ، ولكلِّ أمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأُمَّةِ أبو عُبَيدةَ»[2].

أيّ حياة عاشها الصحابة الكرام، حين سمعوا هذا الوصف من مربّيهم، وهو يختار أجمل ما فيهم ويعلنه على الملأ؟! مدح وتقدير، وإشارة من خبير إلى هؤلاء الأفذاذ أن تمسّكوا بجواهر الصفات التي عندكم فلا تفرّطوا فيها، إنها برمجة نفسية إلى يوم القيامة، مازالت الأمة تدرس رأفة الصديق، وحياء ذي النورين، وشدة الفاروق.. وكذا علينا -معاشر المربين- أن نكتشف الجميل فننشره ونبرمج أبناءنا عليه، حتى تغدو صفات ملاصقة، وخلالاً كريمة لا تنفك عنهم أبدًا.

3- الرفق بالجاهل حتى يتعلم:

بال الأعرابي في المسجد، فوجد من الصحابة الكرام نفرةً وشدةً، ولك أن تتخيل الحرج

---

(1) أخرجه البخاري (6943).

(2) أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، وصححه الألباني.

الذي هو فيه، والارتباك الذي أصابه، والفزع الذي ألَمَّ به، وبين كلّ هذه الخلجات النفسية، يسمع صوتًا حانيًا، وقويًّا هادئًا، يعلم جهالات الناس فيسدها بالعلم، ويزكّي النفوس الثائرة بالحلم، ويرشد المربين على أثر البيئة في الشخصية، غادر الأعرابي وفي نفسه حبًّا، وفي عقله علمًا، وفي ذوقه أثرًا؛ إنه أبو القاسم عليه السلام، حين يتعامل مع النفوس فيزيل ما فيها من وهَن، ويظهر ما فيها من عبق.

ختامًا.. السنة النبوية مليئة بمثل هذه الكنوز، أُلِّفَتْ فيها كُتُبٌ ومراجع وأبحاث ومقالات، حَرِيٌّ بنا أن نستزيد منها في كل حين، فلن نجد نبعًا صافيًا كنبعه عليه السلام؛ يروي الظمآن، ويزيل العطش، نبعًا يبني نفسًا سوية، شفافة، قوية، ومنتجة.

سفير الإسلام (مصعب بن عمير)

ركائز التكوين ومآثر التمكين

د. محمد سعيد الهجري

(خبير تصميم وتطوير برامج تربوية والمشرف العام على منصة رواحل)

تستوقفني البعثات التعليمية والدعوية التي كان ﷺ ينتدب لها أصحابه رضي الله عنهم، معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري إلى اليمن، مصعب إلى المدينة، وجعفر برأس وفد الحبشة، قائمة لا تنتهي من مهامَّ أَوْكَلَها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لبعض صحابته؛ فأتساءل: لِمَ وقع الاختيار على صحابيٍّ بعينه دون غيره؟ وما السمات التي جعلت منه محلَّ اختيار أداء تلك المهمَّة؟ ثمَّ ما حجم الثقة والصلاحيات التي منحها له رسول ﷺ وهو يقوم مقامه في مهمة عظيمةٍ كالتعليم والتربية والدعوة؟

ولأجيب عن هذه التساؤلات؛ سأجعل من سفير الإسلام الأوَّل (مصعب بن عمير) محلَّ بحثٍ وتأمَّل نستجلي بعض ملامح تكوين تلك الشخصية، وطبيعة المهمة الموكَلة إليه مقارنةً بما يحمله من سماتٍ، ونختم بأبرز مآثر التمكين التي تحقَّقت على يديه في تلك المهمة التي أوكلها له رسول الله ﷺ.

البدايات:

عُمِّر مصعب بن عمير في الإسلام قليلاً، فقد قُتِلَ في أُحُد عن أربعين سنة، ولم تُدوِّن كتب التاريخ حظًّا وافرًا من ترجمته، إلا أن الصفحة الناصعة في سيرته تلك التي تروي أخبار بعثِهِ له ﷺ إِلَى الْمَدِينَة بَعْد أَنْ بَايَع الْأَنْصَارُ الْبَيْعَةَ الْأُولَى، لِيُعَلِّمَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُوهُمْ

إِلَى تَوْحِيدِ الله تعالى وَدِينِهِ، تصدَّر لإقراء القرآن الكريم وتعليمه، فلقِّب بالْمُقْرِئ، وأسلم على يديه كبار الأنصار، مهام جليلة اختصرها التوصيف الذي لم يشتهر عن أحد غيره بأنه: (أول سفير في الإسلام)، ولا شكَّ أنَّ مهمة (السفارة) مهمَّة عظيمة تصنّف في عصرنا الحاضر ضمن العلاقات الدولية ووزارات الخارجية التي هي ممثلة عن الدول، وربَّما كان السفير في غالب الأحيان الناطق الرسمي عن الدولة، والممثل لها في المحافل، بل ويشترط في اختياره مجموعة من السمات والمؤهلات التي تجعله بلغة العصر (دبلوماسيًّا) يجيد التعامل مع مختلف المواقف والأشخاص.

ولِنفهم طبيعة ما أُوكِلَ بِهِ (سفير الإسلام مصعب)؛ نعيش معه في محطَّتين: **الأولى: (ركائز التكوين)** في شخصيته، ثم **(مآثر التمكين)** والإنجازات التي تحقَّقت على يديه، لعلَّ إضاءةً تُبرِق للعاملين في ميدان التربية، وإشارةً تعيد ترتيب أولويات المنشغلين بالدعوة والتزكية، أو ملحظًا يوسِّع نظرَ القائمين على صناعة الرواحل.

ركائز التكوين:

مصعب بن عمير سيِّدٌ من سادات قومهِ، مَعدِنٌ ينضحُ بالدُّرِّ، ويفوح عبقًا وثراءً في مكة، هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، بيته بيت شرف وسيادة، كانت فيهم مناصب الندوة واللواء والحجابة، عاشَ ثراءً جعل منه بعرفنا الحالّي (ابن نعمةٍ)، يقول ابن سعد: «كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابًا وجمالاً وسبيبًا، وكان أبواه يحبَّانه، وكانت أمه مليئةً كثيرة المال، تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي من النعال»[1].

(1) محمد بن سعد: الطبقات الكبرى 3/ 86، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1990م.

هذا المشهد من الثراء والترف الذي كان يعيشه مصعب في وقتٍ كان غالب أهل مكة يقاسون شظف العيش ولأْوَاء المشقَّة، لك أن تستحضره فتعقد مقارنة بينه وبين المشهد الختامي الذي أُسدِل عليه سيرته، وطويت به صفحته، يوم أن لم يتمالك رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام دموعهم حين كفَّنوه بثوب إن غطُّوا رأسه؛ بدت رجلاه، وإن غطوا رجليه؛ بدا رأسه[1]، أو ذلك المشهد الذي كان عليه غالب أيامه، كما عند الحاكم عن الزبير ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا بقُباء ومعه نفر، فقام مصعب بن عمير عليه بردة ما تكاد تواريه، ونكَّس القوم، فجاء فسلَّم فردوا عليه، فقال فيه النبي ﷺ خيرًا وأثنى عليه، ثم قال: «لقد رأيت هذا عند أبويه بمكة يكرمانه وينعمانه، وما فتى من فتيان قريش مثله؛ ثم خرج من ذلك ابتغاءَ مرضاة الله ونصرة رسوله»[2].

«لقد ترك الشاب مصعب حياة الترف، وهجر كنف أبويه الكافرين، وكانا غنيَّيْن يعتنيان برفاهيته، وقَبِلَ شظفَ العيش مع ثُلةِ الشباب المؤمن في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فعانَى معاناة شديدة بعد هذا الانقلاب الكلي في حياته؛ فبعد الجِدَة فقر، وبعد الترف والنعومة حرمان وخشونة، وبعد الشِّبَع جوع، وبعد الأمن خوف، ولكن مصعبًا وهب جسده لقلبه، وضحَّى بدنياه لآخرته، وتحمَّل في ذات الله تعالى ما يلقى»[3].

تُرى كيف للمربي الأول ﷺ أن أحدث ذلك التأثير في مصعب في ظلِّ بيئةٍ مترَفةٍ، ودلالٍ مُتَنعِّمٍ يغدو فيه ويروح؟ بنظرة إجمالية لتكوين شخصية مصعب ﵁ نجمل ثلاث ركائز أساسيَّة:

---

(1) محمد الكاندهلوي: حياة الصحابة 2/ 574، 2، تحقيق: بشار عوّاد، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1999م.

(2) الحاكم: المستدرك، كتاب الإيمان، باب ذكر مصعب بن عمير العبدري، 3/ 728، رقم 6640.

(3) جاسم الدرويش: مصعب بن عمير، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)، ج35، العدد2، 2012م.

1) بغير الإيمان لا وقود ولا زاد:

قطب الرحى في أيِّ تغييرٍ ينشُدُهُ الإنسانُ هي قناعتهُ بأنَّ انتقاله خيرٌ له وأبقى مِمَّا هو عليه الآن، ولا وقود يدفع لذلك التحوُّل مثل الإيمان، الإيمان ذلك الخطاب الذي حظِيَ باهتمامه ﷺ مع من تحت يديه في (دار الأرقم)، فقد كانت الدَّار محضنًا يُشع إيمانًا يؤكد فيه ﷺ على قضايا التزكية، ويترقَّى بالمتربِّين، يجمع شتاتهم على الله، ويبعث في نفوسهم الثقة بالله، يبشِّر وينذر، يعظ ويذكِّر، ذلك الخطاب رأينا أثره في حياة الصحابة يوم أن اشتدت بهم البلاءات؛ فظهر معدنهم، وبرز ما صُقِلوا عليهِ من إيمانٍ يدفعهم للصبر واليقين.

تلقَّى مصعب بن عمير هذا الزاد من مجموع جلساته معه ﷺ، ومن تردُّدِه الدائم عليه في دار الأرقم، فإنه رضي الله عنه من السابقين الأولين، أسلم فكتَم إسلامه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرًّا، حتى بَصُرَ به عثمان بن طلحة يصلِّي؛ فأخبر أُمّه وقومه، فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوسًا حتى خرج مهاجرًا الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة[1].

إنَّ الفترة الذي قضَّاها مصعب مصاحبًا بدايات الدعوة، معايشًا أوائل التنزيل؛ صقلت معدنه، ومنحته اليقين والثقة بموعود الله تعالى، كما أنَّ ما منحه رسول ﷺ لمصعب وأمثاله مِمَّن كانوا معه في هذه المرحلة من القرب والاعتناء والمعايشة ما لا يُفسَّر أثرهُ إلا بالحوادث والمشاهد المذهلة التي نقرؤها عنهم حين نطالع كتب التراجم؛ فندرك حقًّا ذلك الإيمان الذي ملأ قلوبهم فصنعوا الأعاجيب.

(الإيمان) ركيزة التكوين الأولى في شخصية مصعب، إيمانٌ يستبقيه نشِطًا لدعوته، متينًا في دينه، مستلذًّا بكل ما يبذل ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ولقد شهد له رسول الله ﷺ بتوجُّه ذلك القصد وإخلاص النية حين رآه مقبلاً عليه إهاب كبش قد تنطَّق به، فقال: «**انظروا**

(1) الكاندهلوي: حياة الصحابة 2/ 572.

إلى هذا الذي نوَّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلّة شراها -أو شُريت- بمائتي درهم، فدعاه حبُّ الله وحب رسوله إلى ما ترون»[1].

(الإيمانُ) صنع من مصعب رجلاً لا يقدِّمُ حبًّا على حبِّ الله تعالى، ولا حبِّ رسوله ﷺ ولو كان أقرب قريب، وقصته مع أخيه أبي عزيز بن عمير حين وقع في الأسر يوم بدرٍ خيرُ منبئٍ على ذلك، قال أبو عزيز بن عمير: مرَّ بي أخي مصعب ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شُدَّ يدك به، فإنَّ أمّه ذاتُ متاع، لعلها تَفْدِيهِ منك، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك[2].

(الإيمانُ) هو الذي أرسى دعائم الصبر في تكوين مصعب، وأقام مناراته له فيما يستقبل من دعوته، صَبَرَ مصعب حين أخذوه بعد إسلامه فحبسوه، فلم يزل محبوسًا إِلَى أن هاجر إِلَى الحبشة، صَبَرَ على ألم الغربة مهاجرًا إلى الحبشة، مفارقًا مراتع الصِّبا، ذاق مع الغربة بؤس العيش، وجدب الحياة، ولَمَّا رجع آثر الرجوع إلى مكة مواصلاً رحلة الجهاد والصبر وتحمُّل البلاء؛ تغير الحال من نعيم إلى شظفٍ، فَفقَد المال والنعمة وقد كان أنعم شباب مكة، وتطاير عنه جلده تطاير جلد الحية، كان ينقطع به السَّير فما يستطيع أن يمشيَ، فيعرض له أصحابه القسِيَّ يحملونه على عواتقهم[3]، ثُمَّ هاجر إِلَى المدينة بعد العقبة الأولى، إنَّها رحلة مضنيةٌ من الابتلاءات، ومسيرةٌ حافلة بالصبر، يقودها الإيمان الذي يستعذب صاحبه في

---

(1) أبو بكر البيهقي: شعب الإيمان 255/ 8، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003م.

(2) ينظر: أبو القاسم السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية 155/ 5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1412هـ.

(3) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء 148/ 1، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة: سوريا، ط3، 1985م

الله كل شيءٍ، وكلما زاد صاحب الإيمان ابتلاءً؛ ازداد ثباتًا، وما يلقَّاها إلا الذين صبروا وما يلقَّاهَا إلا ذو حظٍّ عظيم.

معاشر المربين: بغير هذه الرَّكيزة (الإيمان) تبقى مخرجات التربية متأرجحة بين القناعة والتضحية، والتراجع والانسحاب، فلا حراك يدفع، ولا زاد ينفع مثل الإيمان، فاقصدوا في برامجكم ومناهجكم ما يعين مَنْ تحت أيديكم على الارتقاء بإيمانهم، وتثبيتهم عليه، فإن الإيمان يبلى، ودوركم تجديده.

2) العلم: بصرٌ وبصيرة:

ثاني ركائز التأسيس في شخصية مصعب (العلم)، ومع أن كتب السير لا تُسعفنا بكثير أخبار عن تلك المجالس التي جلسها مصعب رضي الله عنه متعلمًا منه ﷺ، ولا شهدت كذلك على وقائع وأحداث كشفت عن جوانب من علمه رضي الله عنه مقارنة بحال غيره من الصحابة كالخلفاء الأربعة، ومعاذ، وأبي موسى، وابن عباس، وابن مسعود وغيرهم؛ لكنَّ المتأمل في طبيعة المهام التي انْتُدِبَ لها مصعب يظهر له بجلاءٍ أنه رجلٌ مُلِئَ علمًا وفقهًا.

فمصعب كان يُقْرِئ القوم القرآن، ويصلي بهم، ويعلِّمهم الإسلام، ويفَقِّهُهُم في الدين، وهكذا كان طلب أهل العقبة الأولى منه ﷺ كما أورد ذلك ابن هشام[1]، ولم يكنْ لرسول الله ﷺ ليبعث لهم معلمًا ومقرئًا ومفتيًا إلا من اكتملتْ أهليَّتُه، وحَسُنَتْ دِيانَتُهُ، ورَضِيَ عنه علمًا وفقهًا، وذاك شَرفٌ ظفر به وحاز سَبْقَهُ مصعب.

تستوقفنا بعض الإشارات واللمحات السريعة تُنْبِئُك عن مخزون مصعب بن عمير العلمي الذي تلقَّاه من تَرَدُّدِهِ على دار الأرقم مُتَعلِّمًا، على أقلِّ تقديرٍ مخزونٌ إلى تلك الفترة من تَنَزُّل الوحي تكفي لأَن يُرَشَّح لمهمةِ التربية والدعوة والتعليم لمجتمعٍ وبيئةٍ جديدة،

(1) الكاندهلوي: حياة الصحابة 2/ 572.

ومن تلك الإشارات العلمية:

◈ **تدرُّجه بالأهمِّ في الدعوة والتعليم:** قد لا تُصنّف هذه الخصلة في أبواب العلم وتقاسيمه، لكنَّها أحد أهم سمات العالِم، فالعالِم مَنْ يُعلِّم صغارَ العلم قبل كبارِه، وموقفه مع أسيد بن حضير ثم سعد بن معاذ يُوقِفُنا على هذا الفقه منه ﵁، فقد عرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، قرأ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾[1][2]. من غير أيِّ إثارةٍ لتفاصيل أخرى يمكن أن تُحدث نفورًا منهما، وهذا من فِقْهِهِ ﵁ في تقدير الأهمِّ لكل مرحلةٍ.

◈ **توسيعه دائرة التعلُّم:** كان مصعب ﵁ حريصًا أول الأمر على نشر الدعوة بين أفراد قبيلة الأوس؛ لأن معظم من أسلم في العقبة الأولى كانوا من الخزرج[3]، وذلك بُعْدُ نظرٍ منه وبصيرة في توسيع دائرة التعلُّم والتأثير، وتقديم إضافة أخرى للدعوة من خلال كسب الأوس ليكتمل الهدف المنشود بتوحيد المدينة وتهيئتها للدعوة الجديدة، وفتح مساحة أخرى من مساحات التغيير في المجتمع قدحُها وزنادها تعليم الأوس ودعوتهم، ولقد آتت هذه الحركة الدؤوبة منه ﵁ ثمرتها بإسلام أسيد بن حصير وسعد بن معاذٍ سيِّدي الأوس الَّذين كان لإسلامهما ما بعده من التأثير وانتشار الدعوة، قال ابن الأثير واصفًا هذا النشاط من مصعب: «أسلم على يده أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وهما سيِّدا قومهما، وكفى بذلك فخرًا وأثرًا في الإسلام»[4].

---

(1) (الزخرف:1-3).

(2) ابن هشام: السيرة النبوية 436/ 1.

(3) هاشم الملاَّح: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ص175.

(4) عز الدين ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، 134/ 4، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م

◈ **تنوُّع مصادر المعرفة لديه:** حيث أكسبته هجرته للحبشة ثم إلى المدينة سعة أفقٍ، ومعرفةً بأحوال الشعوب وطبائعهم، ومعتقداتهم، وفي ذلك تهيئة وتقديرٌ ربَّانيٌّ للدور الذي سيوكَل إليه في المدينة يستدعي أن يكون على انفتاحٍ مع الجميع، حكيمًا في إدارة الطبائع واختلاف الشخصيَّات، وقد كان له ذلك رضي الله عنه.

◈ ومن الإشارات العلمية التي تبرز **قوَّةُ حجَّتِهِ في التعامل مع الشُّبَهِ**، ولْنقرأ على سبيل المثال حواره مع أمِّه متَّخذة من عاطفة الأمومة مدخلاً للشبهة، مشكِّكةً له في دينه، منتقدةً بقاءه على ما هو عليه من الإسلام، مازجةً ذلك بحنيَّة الأم ومشاعرها لعلَّ ابنها يستمع إليها، أو يراجع ما خالفها عليه من معتقداتٍ وأفكار، بيد أنَّ قناعته بدينه راسخة، ومثل هذه الشبه لا محلَّ لها في قلبه وعقله، ثم إنَّ ردوده على تلك الشبه قاطعةٌ لا مجال فيها للمحاباة أو التلكُّؤِ، ولا مجال فيها لأمِّه إلا أن تذعِن وترضخ فتتركه وشأنه، يروي القصة ابن سعد في الطبقات حين عاد مصعب إلى رسول الله ﷺ يحمل البشرى بإسلام الأوس والخزرج، فبلغ أمه أنه قدم، فأرسلت إليه: **يا عاقُّ! أتقدم بلدًا أنا فيه لا تبدأ بي!؟** فقال: ما كنتُ لأبدأ بأحدٍ قبل رسول الله، فلما سلَّم على رسول الله وأخبره بما أخبره ذهب إلى أمه، فقالت: **إنكَ لعلى ما أنت عليه من الصبأة بعدُ،** قال: أنا على دين رسول الله، وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله، قالت: **ما شكرت ما رثيتك مرة بأرض الحبشة، ومرة بيثرب،** فقال: أفِرُّ بديني أن تفتنوني، فأرادت حبسه، فقال: لئِن أنتِ حبستني؛ لأحرصنَّ على قتل من يتعرَّض لي، قالت: فاذهب لشأنك، وجعلت تبكي، فقال مصعب: يا أمة إني لك ناصح عليك شفيق، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قالت: والثواقب لا أدخل في دينك، فيزري برأيي ويضعف عقلي، ولكني أدعك وما أنت عليه وأقيم على ديني[1].

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى 3/ 88.

ويبقى القرآن الكريم هو المكوِّن العلمي الأبرز لمصعب بن عمير؛ إذ هو المهمة الأساسية التي بُعِثَ بها إلى المدينة يعلِّمُ ويقرئَ ويُفقِّهُ، ولأجله لقِّب بالمقرئ[1]، وبهِ برز المكوِّن الثالث في شخصيته المتمثِّل في فصاحته وبلاغته وقدرته على الإقناع والحوار، وما ذاك إلا مظهرٌ من مظاهر القرآن الكريم وإعجازه، وصناعته للغة من يحفظُه وترنَّم به.

3) الحوار والإقناع:

لغة الحوار لن تؤتي ثمارها، ولن تُجدي نفعًا ما لم يكن صاحبها على قدرٍ من المؤهلات والسمات الخُلُقِيَّة التي تُنْفِذُ خطابه إلى قلوب مستمعيه كالتواضعِ، وعدم التعصُّبِ للرأي، وحُسن الاستماع، وهذا عين ما اتَّسم به مصعب في جملة حواراته ودعوته.

مصعب بن عمير مُحاوِرٌ نَاجِحٌ ضَبَطَ مسيرةَ الحِوار في كُلِّ المواقف التي وقفها، وبلغ الهدف المنشود من تلك الحوارات، وهذه بعض السمات التي اتَّسم بها مصعب في مجموع حواراته:

- **قبل الحوار يهيِّئ الأجواء المناسبة للموقف ولطبيعة الشّخص الذي سيعرض عليه الدعوة**: نراه يجلس كثيرًا في حائط بني ظفر على بئرٍ يقال لها مرق، يدعو ويعلِّم ويحاور[2]، وتلك وإن كانت إشارةً عابرةً إلا أنها ملحٌ يُحدث في نفس المحاوَرِ والمدعُوِّ هدوءً وراحةً واستئناسًا بالخضرة والماء المجاورينِ.

- **لغة الإنصاف والعدل**: في جملة حواراته ﷺ جعلتْ له قبولاً، وأحدثت له أثرًا، ولم تجرِّئ عليه مَنْ يقوى على الردِّ والتكذيب غالبًا، ها هو يعرض على أسيد بن الحضير

---

(1) ابن الأثير: أسد الغابة 182/ 5، الذهبي: سير أعلام النبلاء 102/ 1.

(2) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية 161/ 3، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.

لَّما جاءه مغضبًا، «أوَ تجلس فتسمع، فإِنْ رضيتَ؛ أمرًا قبلته، وإن كَرِهْته؛ عزَلْناهُ عنك»، وتكرَّر ذات العرض مع سعد بن معاذ، وما كان منهما إلا أن شهدا له على هذا الإنصاف فقالوا: (أنصفتَ)[1]، ولك أن تتخيل مُحَاوِرًا بهذه النفسية من العرض؛ لن يكون مُتَشَنِّجًا ولا معَنِّفًا، ومُحَاوَرًا بهذه النفسية من الاستماع؛ لن يكون متعَصِّبًا، ولا جَاحِدًا.

◈ **أدب العرض، وتقدير المحاور، وحُسْنُ الاستماع:** لمصعب رضي الله عنه القدرة على امتصاصِ غضب مَنْ أمامه، بما حباه الله تعالى من هدوءٍ وسعة بالٍ، سهلٌ ليِّنٌ، قليل الخلاف، يقُولُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ: «كَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ لِي خِدْنًا وَصَاحِبًا مُنْذُ يَوْمَ أَسْلَمَ إِلَى أَنْ قُتِلَ رحمه الله بِأُحُدٍ، خَرَجَ مَعَنَا إِلَى الْهِجْرَتَيْنِ جَمِيعًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ رَفِيقِي مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَرَ رَجُلًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا، وَلَا أَقَلَّ خِلَافًا مِنْهُ»[2]، تمثلت هذه الأخلاق في أدبه في العرض، وتقديره لمن يحاوره، وإنصاته له، وحُسن استماعه، وتلك سمةٌ عظيمةٌ في المحاوِر بها يكسب القلوب، ويؤلِّف الأفئدة، ويجمع الصفَّ، ويلمُّ الشَّتات، وهكذا مجموع حواراته مع أمِّه، أو مع مَن قَدِم عليهم في المدينة حواراتٌ ملؤها الدفءُ، وحُسن العرض، والتقديرُ والاحترام، والاستماع للمحاوِر إلى آخرِ كلمةٍ، وقد تكرر هذا كثيرًا مع أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ، أكسبه هذا المكوِّن الاحترام، ووضع له القبول، وأبلغه مقصده في التأثير.

وهكذا برزت معالم التكوين لشخصية مصعب: (الإيمان - العلم - الحوار) في طبيعة المهمة التي أوكلت إليه في بدء مسيرة الدعوة الإسلامية، وسيظهر جليًّا تفاصيل هذه الركائز في طبيعة المهام والآثار والإنجازات التي تحقَّقت له رضي الله عنه بعد عامٍ واحدٍ من مُهِمَّتِهِ.

---

(1) ابن سعد: الطبقات 87/ 3.

(2) ابن سعد: مرجع سابق 117/ 13

مآثر التمكين:

المُتتبِّع لنشاط مصعب بن عمير رضي الله عنه في الفترة التي قضاها مربِّيًا وداعيًا في المدينة لا يمكنه أن يحصر طبيعة المهمة التي انتُدِبَ لها رضي الله عنه في تعليم القرآن الكريم وإقرائه فقط، فإنَّ بُعْدَ نظرِهِ ﷺ في المكاسب التي يريد تحصيلها من إرسال مصعب إلى المدينة كانت السَّبب في عودته من الحبشة، فرسول الله ﷺ يعلم ما يتمتَّع به مصعب من قدرةٍ على الدعوة، وأسلوب في الإقناع جعلته يختاره من بين العديد من الصحابة الآخرين الذين هُم أكبرُ منه سنًّا، «كما أنَّ النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أدرك أنَّ مصعبًا أصبح رجل الساعة آنذاك؛ لذا أُوكلت إليه أخطر مهمة سيتحدَّد عليها مصير الإسلام، ودولة الإسلام في دار الهجرة الجديد»[1].

هذه الحركة الدؤوبة منه رضي الله عنه قرابة عامٍ كاملٍ حقَّقت مكاسب ما كانت لتحقِّقها الجيوش والجنود. ويمكن أن نُجمل أهم مآثر التمكين ومفاخر الإنجازات التي تحقَّقت على يديه رضي الله عنه في: (تأمين قاعدة للدعوة - صناعة الرواحل - توسيع دائرة التأثير).

1) تأمين قاعدة مجتمعية للدعوة الجديدة:

يوم أن ضاقت مكة بدعوته ﷺ، وبلغ من عُتاتها وكُبَرائها أن حالوا بين المستضعفين من المسلمين وبين حرِّيَّتهم في اختيار الدِّين الذي يرغبون، ساموهم سوء العذاب وأبلغ التنكيل؛ بحث رسول الله ﷺ عن موطنٍ يكون ملاذًا لأتباعه، ومصدر استقرارٍ ومأمنٍ للجماعة المطاردةِ المضطهَدَةِ، وقد كان ذلك بإرسال مصعب إلى المدينة، وهو دور مفصلي في حياة الدعوة، يستدعي جملة من الإجراءات والوسائل لتأمين القاعدة المجتمعيَّة لتقبُّل الدعوة الجديدة، وتهيئة الأفراد لها؛ لذا فقد حرص مصعب لتحقيق هذا المكسب على:

(1) جاسم الدرويش: مصعب بن عمير، مجلة أبحاث البصرة، ج35، العدد2، 2012م.

◈ **توحيد الصفِّ، وجمع الكلمة:** وذلك بالصلاة بأهل المدينة جماعةً، وإقرائهم القرآن في حلقات تُعقد في البيوت والمجالس، وأُولَى بواكير هذا الجَمعِ المَوَحَّدِ الصفِّ والكلمةِ بَرزَ في بيعة العقبة الثانية حين قدم مصعب بسبعين رجلاً وامرأتين[1]، مجمعين قولهم على: «حتى متى نترك رسول الله يُطرَد في جبال مكة، ويُخَاف»[2].

◈ **غشيانه المجالس والقبائل والبيوت:** يدعو إلى التوحيد، ويعلِّم القرآن، في إشارة واضحةٍ للقوم أنَّ حدثًا عظيمًا يُهيَّأُ له المجتمعُ.

◈ **نشره الدعوة بين أفراد الأوس:** الفصيلِ الذي لم يدخل في الإسلام بَعْدُ، وهم مكوِّنٌ أساسٌ في المدينة، ولا يزال يعوقهم بعض العوائق عن القناعة بالدين الجديد، ولو بَقُوا على حالِهِم؛ لسبَّب ذلك إشكالاً ومُمانعةً في تقبُّله، فهم رأسٌ في المدينة، وأصحابُ رأيٍ ومشورةٍ؛ وقد أراد مصعب بهذه الدعوة توحيد أهل المدينة أوسِهِمْ وخَزْرَجِهِمْ على تقبُّل دين الإسلام كدينٍ جديدٍ وافدٍ على مجتمعهم يقبلون به، وله ينقادون ويسلمون، وهنا نشط مصعب في زياراته لبني عبد الأشهل، وبني ظفر، وحرص على دعوة أسياد الأوس كسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير[3].

◈ **عدم إثارة الرأي العام:** وذاك من فِقْهِهِ رضي الله عنه وحكمته في تهيئة الأجواء، وتكوين قاعدةٍ مجتمعيَّةٍ مبنيَّةٍ على الاتفاق، مرجئًا قضايا الخلاف إلى مرحلةٍ لاحقةٍ، يعوِّل فيها على تغلغل الإيمان في قلوب أتباعه، تحرَّك مصعب حذرًا مستخفيًا في نشاطه ودعوته، يقيم الجمعة في

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية 2/ 61.

(2) جامع المسانيد، مسند جابر، ج 2 الجيم - الزاي.

(3) الملاح: الوسيط في السيرة، ص175.

هرم النَّبيت من حَرَّة بني بياضة قربًا من نقيع الكلمات، في مكانٍ يبعد عن الأنظار[1]؛ حتى لا يَتنبَّه الآخرون مِمَّن لم يسلم بعدُ فيحول ذلك بينه وبين استكمال مهمته، وأشار ابن سعد إلى أنَّ مصعب لم يقم الجمعة حتى كتب لرسول الله ﷺ يستأذنه أن يُجمِّع بهم، فأذِن له[2].

نستطيع القول: إن القاعدة المجتمعية بتلك الإجراءات والوسائل التي قام بها مصعب قد تمَّ تأمينها، وبقدوم مصعب بوفد العقبة الثانية تحققت طلائع هذا الإنجاز، واكتملت البشارة، وتهيَّأ المجتمع لهجرته ﷺ من مكة إلى المدينة، فطار في الآفاق خبر مقدمه ﷺ، واشرأبَّت الأعناق لرؤيته، ولا شكَّ أنَّ لنشاط مصعب وحركته الدؤوبة في تهيئة المجتمع لهذه اللحظة أبلغ الأثر، وأعظم التأثير، وهي بحقٍّ مفخرة من مفاخره، وأحد أبرز مآثر التمكين التي تحقَّقت على يديه، فرضي الله عن مصعب.

2) صناعة الرواحل:

مَنْ ينشغل بتربية الأجيال، وصنع القيادات التي تتصدَّر المشهد الدعويَّ والتربويَّ؛ يدرك تمامًا صعوبة صنع تلك الرواحل التي تحمل الأعباء، وتتقلد التكاليف، وتكون مددًا ومرجعًا للعمل الدعوي والتربوي، ولو لم يكن في مهمة مصعب إلا أنْ قام بهذا الدور؛ لكفى.

وإنك لتُبْهَر حين ترى (رواحل) بحجم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير كانوا حسنةً من حسنات مصعب، قال ابن الأثير: «أسلم على يديه أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، وكفى بذلك فخرًا وأثرًا في الإسلام»[3]. ثم إنَّك تُبهر أخرى بالأسلوب الذي وفَّق الله تعالى له مصعب ليكسب أمثال أولئك الرواحل لصفِّ الدين الإسلامي، ولقد كان من أولويات

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية 2/ 77.

(2) ابن سعد: الطبقات 3/ 188.

(3) ابن الأثير: أسد الغابة 4/ 134.

مصعب في التأثير على هذه الرواحل وكسبها لصف الدعوة:

- **اصطفاء تلك الرواحل وحسن اختيارها:** ساعده في هذا الدور أسعد بن زرارة، فإنه حين يقدم عليه سيدٌ من السادات مِمَّن يُعوَّل عليه أن يكون له تأثير في الدعوة؛ ينبِّه لذلك مصعبًا بقوله: «إنَّ هذا سيِّدٌ في قومه، إن يُسْلِمْ؛ يُسْلِمْ قومه من بعده»[1]، ويقول: «جاءك والله سيِّدٌ من ورائه قومُهُ، إن يتبعوك؛ لا يتخلَّف عنك منهم اثنان»[2]، فأسلم على يدي مصعب سعدٌ، وأسيدٌ، ومحمد بن مسلمة، وعمرو بن الجموح، وهم قيادات القوم وأسيادهم.

حُسن الاصطفاء لتلك الرواحل كان له ما بعده من توسُّع دائرة التأثير، ونشر الإسلام، فإنهم كانوا مسموعي الكلمة في أقوامهم، ولذا لم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وأضحى فيها رجالٌ مسلمون ونساءٌ مسلماتٌ، ولم يكن يمَّر يومٌ دون أن يسلم الرجل أو الرجلان، ولم يترك بيتًا إلا ترك فيه أثرًا طيبًا، وصوتٌ للإسلام فيها يتردَّد.

- **انتقاء طبيعة الخطاب مع تلك الرواحل:** فإنهم ليسوا من عوامِّ الناس الذين يقبلون بالكلمة دون نقاش، لذا أحسن مصعب رضي الله عنه توظيف ملكاته في الحوار، والإقناع في خطابه معهم، ها هوَ يُحسِن العرض، فلا يجادل ولا يغضب، يتكلم بلغة الإنصاف والعدل، ولا يَسْتفِزُّ في مسائل الخلاف، لا يصادم، ويجعل من القرآن الكريم رسالته في التأثير والإبلاغ حتى ألان له أولئك القيادَ فأسلموا.

3) توسيع دائرة التأثير:

ثالث مآثر التمكين ومفاخر الإنجازات التي تُسَطَّر في سيرة العظيم (مصعب): توسيع دائرة التأثُّر والتأثير، ولقد كان ذلك هدفًا منشودًا، وبُعدًا مقصودًا في هذه المهمة العظيمة،

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية 2/ 77.

(2) الكاندهلوي: حياة الصحابة 1/ 221.

مكَّة تضيق على المسلمين، ولا بدَّ من موطئٍ قدم آمنٍ لرسول الله ﷺ، ومَنْ معه ينشرون الدين، ويقيمون فيه دولتهم، ولم تكنِ المدينة لتتقلَّد هذه المهمة؛ لو بقيت دائرة التأثُّر والتأثير محصورةً في بضعة بيوت أو أشخاص، لذا عمل مصعب في خطٍّ متوازٍ، يجتهد على الرواحل من أسياد الأوس والخزرج من جهةٍ، ويوسِّع دائرة التأثير والدعوة مع عوامِّ القوم مِنْ جهةٍ أخرى إلى أنِ انهالت البشائر بإسلام تلك الرواحل كسعدٍ وأسيدٍ، فكفوه جزءًا كبيرًا من تلك المهمة بوجاهتهم في أقوامهم، وكلمتهم المسموعة فيهم، ولْنرصد حركة مصعب لتوسيع تلك الدائرة المشار إليها من خلال:

- بناؤه مسجدًا يصلي بالمسلمين الجمعة والجماعات.
- غشيانه بيوتاتِ أهل المدينة، ومجالِسِهم، ومزارعهم؛ لإبلاغ الدين.
- انشغاله بإقناع القيادات والرواحل، مِمَّن أسلم حديثًا بأن ينشر هذا الدين، مبلِّغًا قومه وأهل بيته، فأسلم بإسلامهم خلق كثيرٌ.

هكذا اتسعت دائرة التأثُّر والتأثير لهذه الدعوة المباركة، وتجلَّت نتائجها المبهرة في موسم الحج في السنة الثانية عشر للبعثة يوم أن عبَّأ مصعب أصحابه للحجِّ واللقيا بالرسول الكريم ﷺ، ليحثوه على الهجرة للمدينة، فخرج بسبعين رجلاً وامرأتين، في صورةٍ أبرزت إحدى ثمار ونجاح تلك السفارة التي انتدب لها رسول الله ﷺ مصعبًا، فقد أوجدت موطِنًا للدعوة بشَّر به النبي الكريم ﷺ بقوله: «إنَّ الله قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون فيها»(1)، فخرج الصحابة أرسالاً، وكانت إيذانًا ببدء الهجرة للمدينة.

رحل مصعب رضي الله عنه شهيدًا يوم أُحُد، هاجمه ابن قميئة، ضرب يده اليمنى فقطعها، فأخذ مصعب الراية بيده اليسرى، فقطعت، فاحتضن الراية، وظل يقاوم، حتى سقط شهيدًا،

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية 2/ 111

وهو يردد قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[1]. فأسرع إليه مهاجران من بني عبد الدار، فحمل أحدهما اللواء، وأسرع الآخر يحمل مصعبًا إلى النبي ﷺ فألقى عليه النبي نظرة الوداع، وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

أسدل الستار على شخصية حملت أعباء الدعوة، وذلَّلت كثيرًا من المصاعب، وهيَّأتْ موطنًا للدعوة برحيلٍ هادئٍ كما عَمِل في الدعوةِ هادئًا، رحل حاملاً لواء الجهاد، كما عاش حاملاً لواء التعليم.

رحل ابن الثراء والترف والنعمة، مدلَّلُ أبويه، مَنْ يلبس أفخر الثياب، ويأكل ما يشاء، وتَتَّسِع له المجالس، رحل فلم يجدوا له كفنًا يغطوه به، إن غطوا رأسه بدت رجلاه، وإن غطوا رجليه بدا رأسه.

رحل مصعب وهو ابن أربعين سنة ليعلِّم جموع المصلحين أنَّ الحركة بركة، وأن الهمّ عزمٌ وتوقُّدٌ وتوثُّبٌ نحو البذل والعطاء، لا القعود والقنوع وتفضيل ملَّذات الحياة.

رحل سفير الإسلام ليعلِّمنا أنَّ التأثير لا يُقاس بعدد السنوات التي تقضيها في تربيةٍ، أو دعوةٍ، أو نشاطٍ، وإنما بالصدق والإخلاص، وباعث الهمِّ والنيَّة، فربَّما أحدثْتَ أثرًا بكلمة عابرةٍ، أو فكرةٍ طارئةٍ؛ فأحسِنِ القصْدَ، واقصُدِ السَّبيل.

فارق مصعبُ بن عمير الدنيا شهيدًا، لم يخلف وراءه شيئًا مِن متاع الدنيا، ترَك المالَ والجاه والنعيم، وآثَرَ ما عند الله تعالى، ابتغاء وجه ربِّه الأعلى، ولسوف يرضى.

---

(1) سورة آل عمران، آية: 144.

(2) سورة الأحزاب، آية: 23.

إضاءاتٌ للعاملين:

- مَنْ لم يخرج من دائرة الراحة، ولم يكُ مستعدًّا لبذلٍ أو تضحيةٍ في سبيل دعوته ورسالته فلا يؤمِّل كثيرًا على عطائه وإنجازه.

- لا يليق بمعاشر المربين أن يدوروا مع مصالحهم حيث دارت، ولا أن يتراجعوا عن الطريق عند أول هزَّةٍ تُصيبهم.

- نؤمن يقينًا أن حجم التضحية والبذل التي عاشها مصعب تغني عن ألف محاضرة فيهما؛ فزِّينُوا الأقوال بالفِعَال.

- تفقّدوا رواحلكم، أعيدوا التوازن في بناء الأولويَّات، والتعامل مع الدنيا وملهياتها ومشاغلها، كم هو مزعجٌ تساقط الرواحل عند أول اختبارٍ، أو إيثار الانسحاب عن الساحة في مقابل الانشغال بالأعباء اليومية والحياتية.

- أَوْلُوا الأقدمين من المتربِّين رعايةً ومعايشةً وتفقُّدًا، فإن أثرهم يظهر ولو بعد حين؛ فالإيمان الذي حظِي به مصعب في بدايات التكوين، كان له الأثر البارز في صنع التمكين، فالإيمان الإيمان.

- التأثير الصادق يظهر على المحيَّا دون مسافاتٍ طويلةٍ في انتظار الغرسِ، ذهب أُسَيْد ليمنعَ مصعبًا من الدعوة، دقائق ثم عاد لقومه، فقال سعد بن معاذ: «لقد جاءكم بوجهٍ غير الذي ذهب به»، فاصدقوا القصد، و﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾[1].

- قد نُغرق أنفسنا بالبحث عن تجدُّد الوسائل التربوية مع مَنْ تحت أيدينا، ولو صدق

(1) سورة الأنفال، آية: 70.

الواحد منا نفسه لكان أحوج ما يكون إلى تجديد مركزية التأثير التي يُعنَى بها مع المتربين: يتفقّدها وينظر من أين أُتِيَ؟ ولِمَ قلَّت بركة تأثيره بتلك الوسائل؟ الوسيلة متكررة في دعوة مصعب لكلا الرجلين (أسيد وسعد)، والنتيجة عظماء من عظماء الدين تدخل الإسلام.

- معاشر المربين: قوام التربية معايشةٌ ومتابعةٌ، إحدى نقاط التأثير في شخصية مصعب أنه لم يفتر في دعوته، يتابع الناس ويغشاهم في المجالس والبيوت، لا يسأم ولا يكلّ، ومواقفه مع أمه شاهدة على ذلك.
- لا داعي للتحجُّج بالبيئة المحيطة أنها ليست عامل بناءٍ، ولا معينة على النشاط والحركة والدعوة، فمن رحم المعاناة يُولَد الفجر، ولسنا نُعذر بظروفٍ أعظم من تلك التي عاشها مصعب فقيرًا، غريبًا، مهاجرًا، لكنَّ حركته تتجاوز هذه العقبات كلها.

أخيرًا:

ترك مصعب حياة الترف، وهجر كنف أبويه، وكانا غنيَّينِ يغنيانه برفاهيته، قَبِل شظف العيش مع ثُلة من المؤمنين في دار الأرقم، عانَى معاناةً شديدةً قطعت عنه جميع موارده المالية، ذَبُل جسمه، وتغيَّر لونه، وأصابه من الجوع ما لا يستطيع الوقوف معه، ليؤسِّس لقضيَّة يجدر أن تبقى ماثلةً أمام العاملين، حاضرة في نفوس المصلحين:

وَمَـنْ تَكُـنِ العَلْيـاءُ هِمَّـةَ نَفْسِـهِ ... فَـكُلُّ الَّـذِي يَلْقَـاهُ فيهـا مُحَبَّـبُ

إذا أَنـا لَمْ أُعْـطِ الْمَـكارِمَ حَقَّهـا ... فَـلا عَـزَّنِي خـالٌ، وَلا ضَمَّنِـي أَبُ

فرضي الله عن مصعب، وأجزل درجته في عليِّين، وجمعنا به في الصالحين.

النبي ﷺ وتوظيف المواهب

د. خالد البكر

أستاذ الحديث والسنة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

في كل مجتمع قُدُرات وطاقات ومواهب، تتفاوت بين البشر، قال الله مبيّنًا أنه قد فاوت بين خَلْقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

فالأمة الواعية هي التي توظّف المواهب والقدرات الهائلة للإبداع؛ لتعطيها المزيد من عوامل الرُقي والتطوّر والتقدم، فتكون فاعلة على مستوى الإنجاز في شتَّى المعارف والفنون. وهي تهتم بتوظيف أصغر الطاقات وأكثرها بساطةً وجزئيّة لتتطور الحياة وتترك بصمات واضحة وفعّالة في مسيرة الأمم والشعوب.

لقد أعلنها يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2]، فوظّف نفسه فيما يُتقنه ويكون ماهرًا فيه؛ ليعالج أزمةً اقتصاديةً خانقةً ستعصف بمصر، وقد نجح في ذلك، كان يمكن لملك مصر أن يعيّن أحد أقاربه أو يختار من حاشيته كما جرت العادة، فيوسف لا يعدو كونه خادمًا، وللتوِّ خرج من السجن، فلا يُقارَن بأقارب الملك وحاشيته، لكنَّ وعي الملك بخطورة الأمر وحاجته أن يضع الرجل المناسب في المكان المناسب دفَعه لذلك.

---

(1) سورة الزخرف، آية: 32.

(2) سورة يوسف، آية: 55.

إن معرفةَ الرجال، ووضْعَ كُلٍّ في محله المناسب له، وتكليفَه بالمهمة التي يصلح لها، ليس عند أحد كما كان لدى رسول الله ﷺ، وهنا تتجلّى عبقرية القيادة.

تأمل مثلاً عبارات المدح والثناء التي كان يُغدقها النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم، ما كانت إلا توظيفًا لمواهبهم ومراعاة لإمكاناتهم العقلية والجسدية، فلا علاقة للحسب والنسب واللون والجنس في ذلك؛ فالرسول القائد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يضرب لنا المثل والقدوة في استثمار تلك الطاقات وتوظيفها أفضل توظيف، لقد كان أكثر الخلق فِراسة في اختيار الرجل المناسب للمقام المناسب.

فلو نظرنا إلى عبارات الإطراء التي كان يُطلقها على أصحابه، لوجدناها قد تنوعت وتعددت؛ لتتناسب مع الإمكانات والقدرات، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم للوهلة الأولى وهم يتلقَّون تلك الإشادة من نبيهم، فلم يتعاملوا معها على أنها نياشين وأوسمة تُعلّق على الصدور، يفاخرون بها الأقران والأصحاب، بل أدَّوا زكاتها، وتفاعلوا معها بالعمل والجهد والبذل والعطاء.

ولنستعرض شيئًا من عبارات المدح، وكيف تم توظيفها:

أبو بكر رضي الله عنه هو « الصِّدِّيق»، فلا بد أن يسجّل مواقف صِدْق عند الملمات، وقد ظهرت تلك المواقف عند وفاة النبي ﷺ، فثبّت الناس: «مَن كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت»[1]، وفي موقفه من حرب المرتدين: « لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»[2].

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه هو «الفاروق»، فعاش حياته كلها مُفرِّقًا بين الحق والباطل.

---

(1) صحيح البخاري (4452).

(2) صحيح البخاري (1400)، ومسلم (20).

ومعاذ بن جبل رضي الله عنه هو «أعلم الأمة بالحلال والحرام» ليتهيأ بعدها داعية ومرشدًا وقاضيًا إلى اليمن التي كانت تضج آنذاك بالثقافة الفارسية، وكانت تحتاج عالمًا متمكنًا ليقوم بدوره خير قيام.

وبلال بن رباح رضي الله عنه هو «الأندى صوتًا» ليستأثر بالأذان دون غيره.

وخالد بن الوليد رضي الله عنه هو «سيف الله المسلول»، فاسأل اليرموك وأخواتها: ماذا فعل خالد وسيفه؟ وكيف كانت قيادته للجيوش؟

وقد نجد بعض الصحابة لا حضور لهم في بعض الميادين؛ إلا أنهم قد برزوا بصورة مؤثرة وفعَّالة في ميادين أخرى، فحسان بن ثابت لم يكن له ظهور في ميدان الجهاد، لكنه برز كصوت إعلامي مؤثر، وظّفه النبي ﷺ في هذا الميدان: **«فو الذي نفسي بيده لَكلامُه أشدُّ عليهم من وقْع النبْل»**[1]. وكذا أبو هريرة رضي الله عنه رَاوِية الإسلام برع في حفظ الأحاديث.

ونجد أحيانًا أن دعاء النبي ﷺ لأصحابه قد يرتبط بتنمية موهبة ومهارة تميز بها ذاك الصحابي، ليكون لها ذاك الأثر بعد ذلك، فقد دعا لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما، بقوله ﷺ: **«اللهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ، وعَلِّمْهُ التأويلَ»**[2]، فكان ابن عباس بعدها حَبْرَ الأمة وترجمان القرآن.

والتوظيف لا مجال فيه للمجاملة على حساب مصالح الأمة، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملُني؟ قال: فضرب بيدِه على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر! إنك ضعيفٌ، وإنها أمانة»[3].

(1) أخرجه النسائي (٢٨٩٣) وصححه الألباني.

(2) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٦٤٥).

(3) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

كان يمكن لعمر أن يكون مؤذِّنًا، وأن يكون معاذ قائدًا للجيش، وابن الوليد مفتيًا، لكن عطاءهم لن يكون بحجم عطائهم في المجال الذي أتقنوه وبرعوا فيه، وهذا أمرٌ مهمٌّ، فرُبَّ شخص يقدّم (80٪) في مجال يتفوق فيه، فلو سُحب إلى مجال آخر قد لا يقدّم إلا (20٪) فقط.

في بلداننا ثمة طاقات مبدَّدة ومبعثَرة، وإمكانات غير مستغلَّة، والأمة أحوج ما تكون إليها، قدرات لم توظَّف وتُرعى، فذهبت وضعفت وأصبحت في عداد النسيان، وكثير كانت لديه العديد من المواهب والخصال والقدرات، لكنها ضلت طريقها؛ لأنها لم تجد مَن يرعاها في مَهْدها ويصب عليها ماء الحياة ليقويها، فتصبح سمة مميزة لصاحبها.

العمل للنهوض بالأمة والمضي بها نحو بناء حضاري مشرق ونهضة علمية زاهرة يحتاج إلى تكاتف الجهود وتكامل المواهب والطاقات والاستعدادات والإمكانات حتى تتكامل الأدوار وتُستثمر الطاقات بفعالية أكبر وبوقت وجهد أقل.

كيف ربى النبي ﷺ في أصحابه
التنوُّع ومراعاة الفروق الفردية؟!

محمد حشمت

ماجستير العقيدة – قسم الدعوة وأصول الدين جامعة ميديو – ماليزيا

عملك كمُرَبٍّ لمجموعة من الأفراد، أو كوالد لمجموعة من الأبناء؛ يجعلك دائمًا أمام معضلة التنوع؛ حيث اختلاف الطبائع والنفوس والأحلام والتوجهات، وتزداد مسؤولية المربي عندما يتعامل مع أعراف مختلفة وتنوعات أكثر من الناحية الاجتماعية أو العلمية أو التَّديُّنيَّة.

وهنا تظهر أهمية مراعاة تنوع الأفراد واختلافهم عن بعضهم، وتتجلى تلك المراعاة في سيرة المربي الأول في هذه الأُمَّة ﷺ؛ حيث كان يتعامل مع كل شخص كـ«حالة خاصة»، لها ظروفها ومتطلباتها وطريقتها في التعامل والتوجيه والإصلاح.

وقد اخترت هنا ثلاث شخصيات من أصحابه رضي الله عنهم، لنتلمس الفعل النبوي مع كل واحد منهم؛ ليتضح لنا هذا التنوع الذي نتحدث عنه، أحدهم مشهور، والثاني قليل من يعرفه، والأخير لا نعلم عنه إلا موقفه هذا.

أما المشهور فهو الصحابي الجليل والفارس الصادق النبيل كعب بن مالك الذي سطر القرآن الكريم توبته، بعد قصة تخلفه عن غزوة تبوك.

والثاني: هو الصحابي الشجاع المهيب: خوَّاتُ بن جبير رضي الله عنه. والخوَّات في اللغة: الجريء، والرجل الذي لا يُبالي ما ركب من الأمور. والناظر في حياة خوَّات رضي الله عنه يرى أنه قد انطبق

فيه هذا الوصف تمامًا في جاهليته وإسلامه.

يكفي أن تمر على قصة «ذات النِّحيين» التي اشتهرت في كتب الأمثال، لتعلم صِدق هذا الوصف: جريء، لا يبالي ما ركب من الأمور، حتى جعلته هذه الجراءة في الجاهلية مضرب المثل في «الغُلمة» فيقال: «أغلم من خوّات».

فلما خلعَ عباءة الجاهلية وأشرقت شمس الإسلام على قلبه، واستقامت تلك الصفات على ميزان الإسلام؛ صارت هذه الجرأة في الحق، واستحالت إلى استخفاف بالصعاب في سبيل الله، وإذا بتلك الجرأة وعدم الاكتراث بالمخاطر، تتجلى في خوَّات الذي تذكره المراجع كـ«أحد الشجعان المذكورين»، و«أحد الأبطال المشهورين»، و«أحد فرسان رسول الله ﷺ».

والمشكلة التي حدثت هنا يلخصها خوَّات بقوله:

«نزلنا مع رسول الله ﷺ مَرَّ الظهران، قال: فخرجتُ من خبائي فإذا أنا بنسوةٍ يتحدثن، فأعجبنني، فرجعتُ فاستخرجتُ عيبتي، فاستخرجتُ منها حُلّة فلبستها، وجئتُ فجلستُ معهن، وخرج رسول الله ﷺ من قُبّته فقال: «أبا عبد الله! ما يُجلسك معهن؟»، فلما رأيتُ رسول الله ﷺ هِبته واختلطتُ، قلتُ: يا رسول الله! جمل لي شَرَد، فأنا أبتغي له قيدًا»[1].

أما الثالث، فهو الشاب الذي جاء استأذن النبي ﷺ في الزنا، وهو مشهور بهذه الحادثة.

هنا باختصار نُسلِّط الضوء على جانب واحد، وهو كيفية تعامل النبي ﷺ معهم، على اختلاف أحوالهم ودرجاتهم، ومشكلاتهم التي استعملها النبي ﷺ في تربيتهم من خلالها، وكذلك تربيتنا نحن على مراعاة تنوع الأفراد.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (4/ 203).

إذن، عندنا هنا ثلاث شخصيات بثلاث مراتب:

الأولى: يسعى فيها المربي لإصلاح الخلل من أقرب طريق وأيسره، وينصبّ المجهود على تعليم «المدعو- الابن- المربَّى»، خطأ ما يسعى إليه وأثر ذلك على قلبه وحياته، وتجد ذلك في تعامل النبي ﷺ مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزِّنا.

تأمّل:

يقول: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ. مَهْ! يريدون منه أن يسكت؛ إجلالاً لرسول الله ﷺ، واستنكارًا أن يأتي يستأذن في أمرٍ كهذا. فيقول له النبي ﷺ: «اُدْنه». اقترب مني.. وهذا أوّل بذل الحُب! فدنا منه قريبًا، ثم قال: «أتُحِبّهُ لأُمّكَ؟». قال: لا والله! جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناسُ يُحبُّونه لأُمّهاتهم». قال: «أفتُحِبُّهُ لابْنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يُحبونَهُ لبِناتهم». قال: «أفتُحبهُ لأُختِكَ؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناسُ يُحبّونه لأخَوَاتهم». قال: «أفتُحبّهُ لعَمّتِكَ؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناسُ يُحبونَهُ لعمَّاتِهم». قال: «أفتحِبّهُ لخالتِكَ؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»[1].

هذا التكرار والطَّرْق المستمر على غلاف القلب للتبصير بالعواقب هو المطلوب في تلك الحال. نعم؛ «بَذْل الحب» في أوضح صوره، وكذلك «تبصير بالعواقب» في وضوح تامّ لا يترك له أيّ تأويل. ثم يختم بالحب فيضع يده الشريفة عليه، ويقول: «اللهم اغفِر ذنبهُ وطهّر قلبهُ، وحصّن فرْجَهُ». فاستجاب الله للنبي ﷺ وصلح حاله ببركة دعائه له، وأيضًا ببركة «دعوته» له بالطريقة الصحيحة التي تُصلِحه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

---

(1) أخرجه أحمد (22211) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1/ 712).

هذه هي المرتبة الأولى.

أما المرتبة المقابلة؛ فتتميز بإلقاء كثير من مهمة اكتشاف الخطأ والتصحيح على المدعو نفسه أكثر من المربي، فربما عمد المربي إلى بذل الحب بسَحْب مَظَاهِرِه وكتمانه، وشرع في التبصير بالعواقب بتفويضها للمخطئ لمراجعتها بنفسه ومعايشة ما جناه على نفسه!

وهذا ما حدثَ في قصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم، لما تخلّفوا عن غزوة تبوك، وكان النبي ﷺ إذا قدم من سَفَر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم يجلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون، فطفِقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقَبِل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ثم يدخل «كعب».

انتبه!

يقول: فجئته، فلما سلَّمتُ عليه تبسَّم تبسُّم المغضب، ثم قال: «تَعَالَ»! فجئت أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي: «ما خَلّفَك، ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك؟».

بكل هذا الحسم! «بذل وتبصير» بوضع مخصوص..

يقول كعب رضي الله عنه: «بلى، إنِّي والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيتُ أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطِيتُ جدلاً؛ ولكني -والله- لقد علمتُ لئن حدثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يُسخِطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صِدق، تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله!

لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفتُ عنك..

فيقول ﷺ: «أمّا هذَا فقَدْ صَدَق؛ فقُم حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ»[1].

(1) أخرجه البخاري (4418) ومسلم (2769).

هل لاحظت ما بين الحالتين؟!

هناك يقول له: «اُدنه».. اقترب، وهنا يقول له: «تعال!».

هناك يبصره بالعواقب ثم يدعو له.. وينتهي الأمر في جلسة واحدة.

أما هنا.. فالأمر يحتاج إلى تربية من نوع خاص ووقت تحدث فيه التخلية وإصلاح الخطأ: «قُم حتى يقضي الله فيك!».

ثم تأتي المرتبة الثالثة، وهي الوسطى بين تلك الحالتين.. هنا حادثة خوَّات رضي الله عنه؛ بيْنَ بيْنَ.. لا هو بالذي أصبح راسخًا ككعب بن مالك رضي الله عنه، الذي أسلم قديمًا وشهد العقبة وهو شاعر الإسلام المفوَّه، ولا هو كالشاب الجاهل الذي جاء يستأذن في الزنا.

يقول ﷺ: **«أبا عبد اللهِ! ما فَعلَ شِرَادُ جملِكَ؟»، «يا خوَّات! أَمَا آنَ لذلكَ البعِيرُ أن يَرجِعَ عن شُرُودِهِ؟!»**[1].

إن هذا الإنكار يأتي بين هذا وذاك؛ بذلٌ للحُبِّ: «أبا عبد الله»! يُكنّيه، يتلطف معه في العبارة، وهو بين قوله: «ادْنُه»، وبين قوله «تعال!».

«ما فعل شراد جملك؟». أيضًا هنا بينَ بينَ؛ بين «أترضاه لأمِّك، لأختك، لعمَّتك، لخالتك؟!». وبين الوضوح في قوله: «ما خَلَّفَك؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك؟!». وفيه إنكار وتبصير وتَذكير بما مرَّ في جاهليته، وتحذير أن يعود لما كان منه أيام الجاهلية، فيقول: «أما آنَ لهذا البعير أن يرجع عن شروده».

هل لاحظت أن التبصير في الحالات الثلاث كانت وسيلته «الاستفهام» لا الإقرار؟!

هكذا ينبغي أن يكون «التبصير» بإحياء الفطرة واستخراج الخيرية التي أودعها الله فيها؛

(1) أخرجه الطبراني في الكبير (203/4، رقم 4146) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٤).

لتكون إرادة التغيير ذاتية نابعة من القلب، قائمة على الاختيار لا مجرد التبعية والانخراط بلا وعي.

أما الإقرار فيأتي سلسًا مبذولاً ممّن انجلت عن بصيرته عوامل الحَجْب وشواغل النفس وهمزات الشيطان.

هكذا -أيها المربي-: «السؤال منك والإقرار منه».

يقول خوَّات رضي الله عنه: «ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال: «السلام عليك أبا عبد الله! ما فعل شراد ذلك الجمل؟»».

أراد أن يُذَكِّره.. لن تمر هذه الفعلة كأختها.. هناك خَرْق ينبغي أن نُصلحه وإلا اتسع.. نعم يُذكِّر كل مرَّة بِحُبّ وتبصير.. يُعلِمه أنك في دائرة اهتمامي، وليس معنى أني رأيتك ولم أعنِّفك أن الأمر مرَّ.. لا؛ أنت شخص مهمّ عندي، ولا يمكن أن أتركك بشيء أعلم أنه يُهلكك وأسكت!

يقول خوَّات رضي الله عنه: «فلما رأيتُ ذلك تعجلتُ إلى المدينة، واجتنبتُ المسجد والمجالسة إلى النبي ﷺ، فلما طال ذلك تحيَّنتُ ساعة خلوة المسجد، فأتيت المسجد فقمتُ أصلي».

هكذا.. بدأ التذكير المستمر يأتي ثماره، الإحساس بالذنب أول التوبة.

تأمّل الآن هذا المشهد الذي يحكيه كعب رضي الله عنه: «وتنكَّرت لنا الحيطان التي نعرف حتى ما هي الحيطان، وتنكرَت لنا الأرض حتى ما هي الأرض التي نعرف، وكنتُ أقوى أصحابي، فكنتُ أخرج، فأطوف بالأسواق، وآتِي المسجد».

هل لاحظت التشابه بين الحالين؟!

أليس يشبه ما يذكره خوَّات هنا: « فلما طال ذلك تحيّنتُ ساعة خلوة المسجد، فأتيت

المسجد فقمتُ أصلي»، هل انتبهت أن العامل الجوهري المشترك هنا هو: «المسجد!».

يقول خوات رضي الله عنه: «وخرج رسول الله ﷺ من بعض حُجَره فجأة، فصلى ركعتين خفيفتين، وطولتُ رجاء أن يذهب ويدعني».

لقد بلغ الحياء بخوَّات كل مبلغ حتى ما عاد يقوى أن يُقابل حبيبه ﷺ، ولكن المربّي القائد الذي علم الخير في أصوله وأعماله، وقد حان وقت أن يُطَبِّب الجرح ويزيل الألم، قال ﷺ: «طوِّل -أبا عبد الله- ما شئتَ أن تطوِّل، فلستُ قائمًا حتى تنصرف!».

وهو مزاح لطيف ممزوج بحبٍّ وحَسْم وعاطفة أخوة جياشة، وكأنه يقول له: لن أدعك هذه المرة حتى يلتئم الجرح!

ويقول خوَّات رضي الله عنه: «فقلتُ في نفسي: والله لأعتذرن إلى رسول الله ﷺ ولأبرئن صدرَه. فلما قال ﷺ: «السلام عليك أبا عبد الله! ما فعل شراد ذلك الجمل؟».

فقلتُ: والذي بعثك بالحق! ما شردَ ذلك الجمل منذ أَسلَم! فقال ﷺ: «رحمك الله.. رحمك الله.. رحمك الله!». ثلاثًا. ثم لم يعد النبي ﷺ لشيء مما كان.

هكذا كان النبي ﷺ يراعى تنوع الأفراد، وهكذا كان يعامل كل إنسان بما يصلحه، لا قوالب ثابتة، لا ضغوط نفسية ليكون مثل فلان أو فلان، لا قلق من تصنيفات، لا تدمير للطاقات والقدرات تحت ضغط التنميط، لا جمود على هيئة واحدة، ولا إهدار لتطورات الأعمار والقدرات، هذا هو منهج التربية الإسلامية.

وصلِّ اللهم وسَلِّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المتابعة التربوية وقت الشدائد والأزمات

محمد عادل

باحث تربوي

المتأمل في السيرة النبوية يلاحظ أنه ﷺ لم يكتفِ بالجانب النظري في تعليم أصحابه وتزكيتهم، بل كان يربيهم تربية تعتمد المعايشة والمشاركة وتوظيف الأحداث وتقديم القدوة، ذلك لأن التربية الراشدة ليست عملية نظرية يتم فيها تلقين المتربين وتعليمهم القيم بعيدًا عن المعايشة والتطبيق، بل هي في أساسها وظيفة عملية، تحتاج إلى جهد كبير، وتمر بمراحل متعددة، ويقوم المربي فيها بمجموعة من المهام المتنوعة.

كما يمكننا أن نلاحظ أيضًا أنه من أجل الحصول على الثمار المرجوة من هذه التربية؛ كان عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقوم بدور مهم، ووظيفة غاية في الخطورة لا تكتمل عملية التربية دُونَها، متمثلة في عملية المتابعة الدائمة، والرعاية المستمرة لأصحابه، للتأكُّد من سلامة المنهج وحسن التطبيق.

تنوعت صور متابعته ﷺ لأصحابه وشملت كل المجالات المهمة المؤثرة في حياة الفرد والجماعة، ابتداءً من أمورهم الدينية، فضلاً عن الرعاية النفسية والاجتماعية، حتى الأمور المالية والمشاكل الخاصة كانت تجد المتابعة المناسبة منه ﷺ.

تعريف المتابعة التربوية ومفهومها:

المتابعة التربوية: تعني تلك الجهود المتواصلة والرعاية المستمرة الشاملة التي يَبذُلها المربي من أجل التأكد من جَوْدة البناء الإنساني بكل جوانبه، خاصة القلبية والنفسية والعقلية

والسلوكية، والتزام المتربين بالمنهج التربوي بكل جوانبه وحُسن تطبيقه، وتهيئة بيئة المتربين تهيئةً مناسبةً للنمو المطرد، بمنع أي أسباب قد تُؤدي للحَيْد عن المنهج، ومعالجة أيّ خطأ أو قصور يؤدي للانحراف عنه.

فالمتابعة التربويةُ في أساسها تهدف إلى ثلاثة أمور أساسية: هدف «بنائي» يهتم بضمان حسن سير عملية البناء الإنساني بناءً متميزًا شاملاً. وهدف «وقائي» يهتم بوضع الحواجز لمنع أي خلل أو قصور يَحْدُثُ في أثناء عملية البناء. وهدف «علاجي» يهتم بإصلاح ما يَتسلل العَطب إليه في الكيانِ الإنساني.

ضرورة المتابعة وأهميتها:

- التربية عملية مستمرة، لا يكفي فيها توجيه عابر من المرب.. إنما يحتاج إلى المتابعة والتوجيه المستمر..
- كما أن المتلقي نفسٌ بشرية وليس آلة تَضغط على أزرارها مرة، ثم تَتركها وتنصرف إلى غيرها، فتظل على ما تركتَها عليه، بل هي نفس بشرية دائمةُ التقلب،.. فالعجينة البشرية عجينة عصية تحتاج إلى متابعة دائمًا.
- وتزداد أهمية قضية المتابعة في العمل التربوي في واقعنا المعاصر لأسباب عدة يمكن إجمالها في الآتي:
- كثرة المهام الملقاة على عاتق المربين، مع عدم تفرغ الكثيرين منهم، مما يصعّب مهمتهم في قضية المتابعة.
- ازدياد المشاكل وكثرة المؤثرات التي تلعب دورًا سلبيًّا في عملية التربية مما يعقّد دور المربي، ويتطلب جهدًا أكبر لرصد تلك المؤثرات والتعامل معها.

- صعوبة توفير بيئة «آمنة» كمحضن تربوي مناسب يوفّر الحد المقبول من التربية والمتابعة الجيدة.
- قلة عدد المربين المؤهلين، مما يضطر البعض منهم للقيام بمتابعة أعداد تزيد عن طاقتهم.

صور من المتابعة النبوية للصحابة وقت الشدائد والأزمات:

شواهِدُ اهتمامه ورعايته ﷺ بمتابعة أصحابه أكثرُ مِن أن تُحصَى، إلا أن متابعته ﷺ لأصحابه وقت الشدائد والأزمات كانت تختلف، لما لهذه الأوقات من خصوصية، وما يلم بالمرء أثناءها من مشاعر ضعف وألم، تحتاج معها النفوس مزيد متابعة واهتمام.

لذا كان نبينا الكريم ﷺ مع كثرة مشاغله يرعى أصحابه، ويتفقد أحوالهم، ويَعُودُ مريضهم، ويتبع جنائزهم، ويتحمّل الدَّيْنَ عنهمُ، ويسارع ﷺ إلى إزالة ما قد يعترض أصحابه من مشكلات.

ومن نماذج متابعاته ﷺ لأصحابه وقت شدتهم:

رعايته لآل ياسر وهم يُعذَّبُون

قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة، يعذّبونهم برَمْضَاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول -فيما بلغني-: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ»(1). فأما أُمّه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام»(2).

---

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم (٥٦٦٦)،وقال الألباني في فقه السيرة ص١٠٣: حسن صحيح.

(2) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٠).

كان رسول الله ﷺ يعلم ثِقل الحمل وعظيم المشقة التي يلقاها ياسر وآله وغيرُهم من الصحابة، الذين كانوا يُعذَّبون في الله؛ بسبب إسلامهم، «فكان الرسول ﷺ يخرج كلَّ يوم إلى أُسرة ياسر محييًا صمودهم وبطولتها، وكان قلبه الكبير يذوب؛ رحمةً وحنانًا لمشهدهم وهم يتلقّون من العذاب ما لا طاقةَ لهم به.

هذه المتابعة الدائبة لأصحاب القلوب المعذَّبة بالبشرى تارةً، والدعاء تارةً أخرى؛ تُشْعِر المُبتلين أن هناك مَن يشاركهم آلامهم ويشعر بمعاناتهم، ويهتمّ لأمرهم، مما يكون له أكبر الأثر في اجتيازهم هذه الفتن بثبات، وتعاليهم بعظيم ثقتهم بالله على كل محاولات الترهيب والتعذيب.

مواساته ﷺ لمن فقد ولده:

أخرج النسائي من طريق معاوية بن قرة عن أبيه؛ قال: «كَانَ نَبِيُّ اللهِّ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلَكَ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا لِي لَا أَرَى فُلَانًا؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِّ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَذَاكَ لَكَ»[1].

مواساته لجابر رضي الله عنه بعد استشهاد والده:

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ خِرَاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِّ يَقُولُ: «لَقِيَنِي رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَقَالَ

(1) أخرجه النسائي (2087) وصححه الألباني.

لِي: يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا. قَالَ: أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟. قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يُرْجَعُونَ. قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾»[1].

إن النفوس البشرية تكون في أضعف حالاتها عند المصائب، خاصةً إذا كان المصاب في الولد أو الوالد، وهنا تأتي مشاعر الرحمة على المبتلى ومواساته كماء زُلال يطفئ من نار الألم داخل النفوس، ويهدِّئ من روعها.

عندما شاهد رسول الله ﷺ ما أَلَمَّ بجابر بن عبد الله من حزنٍ جرَّاء فقْده لأبيه، فضلاً عما وُضِعَ على كاهله من عبء رعاية إخوانه الصغار، وقضاء دَيْن أبيه وهو بعدُ لا يزال شابًّا، مما ضَاعف همّه، وزاد ألمه، أراد رسول الله ﷺ أن يُواسيه بحسْب هذا القَدْر الكبير من الحزن والهم، فساق إليه بشرى فاقت بكثير كل ما خالطه من ألم.

فيا لها من بشرى عظيمة يتشرف بها كل مسلم! أن يخص أباه بنَيْل شرف كلام الله رب العالمين كفاحًا دون غيره من البشر، وما يحمل هذا من دلالة بالغة على عظيم منزلته، فعندها تجد القلوب من حلاوة الفرح بالثواب والبشرى بالمكانة، ما يذهب بألَم الفراق وهمّ المسؤولية.

وتخبرنا السيرة النبوية أن الرسول ﷺ لم يكتفِ بالدعم النفسي لجابر بل تابع مشكلته وسعى في تسديد دَيْن أبيه كإجراء عمليّ يلفت به نظر المربين إلى أن دورهم لا ينبغي أن يقف

(1) أخرجه الترمذي (3010)، وابن ماجه (190) وصححه الألباني.

عند حدّ كلمات المواساة، ولا يصحّ أن يقف عن حد أمورهم الدينية -على أهميتها-، بل لا بد أن يتجاوز ذلك ليشمل الدعم المادي طالما كانت الأسباب متاحة.

وبالتأكيد لم ينسَ جابر بن عبد الله ﵁ هذه الحادثة لرسول الله ﷺ، لما تركته في نفسه من عظيم أثر، فظل جابر ﵁ يحدّث بحديثه هذا مع رسول الله ﷺ؛ عرفانًا بجميله واعترافًا بفضله.

دروس مستفادة من المنهج النبوي في المتابعة وقت والأزمات

1- الرسول ﷺ كان يُولِي اهتمامًا أكبر ومتابعةً أشدَّ لِمَن يواجه أزمة، وهكذا يجب أن يكون المربي يقظًا مع المتربين يمايز بين طريقة متابعته لهم وقت أزماتهم عنها في بقية الأوقات.

2- بدون الجانبِ العمليِّ الذي يشارك فيه المربي المتربي همومَه ويتابع مشاكلَه،.. تَفْقِدُ التربيةُ روحَها، وتَقِلّ قيمةُ الدروس النظرية التي تعلّمها المتربي على يد مربيه.

3- يجب أن تكون المتابعة التربويةُ وسيلةً لتحقيق أهداف التربية الإسلامية، وتحريرًا للنفوس من الضعف؛ وعلاجًا من كل صور العجز وأسبابِ الهمومِ.

4- المتابعة للمتربين وقت أزماتهم لا يصح أن تقف عند أمورهم الدينية بل يجب أن تتعدى ذلك للدعم والإعانة في أمور دنياهم، فمشاكل الدنيا تؤثّر -ولا شك- على نفس صاحبها وسلامة دينه.

5- موقف المربي إيجابًا وسلبًا من المتربين في أزماتهم من المواقف التي لا تُنْسَى وتترك أعمقَ الأثر في نفوس المتربين.

ختامًا..

ينبغي على كل مَن يعمل بحقل التربية أن يهتم اهتمامًا بالغًا بالمتابعة التربوية؛ لأن الغفلة

عنها تؤدّي إلى ضياع كثير من الجهود المبذولة.

ومن المهم يقظة المربي الدائمة إلى أحوال المتربين، وملاحظة أيّ تغيّر قد يطرأ على أحوالهم وأدائهم، والحرص على ازدياد حضوره ومتابعته لهم وقت أزماتهم، لمزيد الحاجة إلى العناية والمساعدة في تلك الأوقات، والمسارعة إلى حلّ المشكلات وتداركها قبل أن تتضخم، وتصعب السيطرة على نتائجها.

مهارات تربوية

بناء المهارات القيادية والإدارية للمربي

د. محمد ناجي عطية

مدرّب ومستشار الجودة والبناء المؤسسي والتخطيط الاستراتيجي

تربية الأجيال على الخير والفضيلة وربطهم بربهم وشريعته، من أسمى المهام التي يؤديها البشر في هذه الحياة، وهي جزء من مدلول الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

ولهذا السبب بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، يدعون الناس إلى ربهم ويربطونهم بخالقهم، يطلبون لهم السلامة والنجاة، ولا يريدون منهم جزاء ولا شكورًا. فكان أكبر الهموم والتحديات التي تواجههم في الحياة، ليست المعيشة ولا الأهل ولا الأبناء، بقدر ما كانت دعوة الناس إلى الله رب العالمين.

والمتأمل في النماذج العظيمة لأنبياء الله الكرام كقدوات رائعة ومنارات مضيئة في الدعوة والتربية؛ يجد أنهم منطلقون من قواعد ثابتة في مسيرتهم الدعوية؛ من أبرزها: وضوح الرؤية، صفاء العقيدة، ثبات المنهج، القيم الربانية السامية، والأخلاق الحميدة. ويلي كل ذلك العمل الدؤوب الذي لا يعرف الكلل أو الملل، واستهداف كافة شرائح المجتمع بالخير دون استثناء، حتى وإن أعرضوا وتكبروا، فمازالوا في دائرة الاستهداف الدعوي، على أمل ورجاء أن يصلحهم أو يخرج من أصلابهم من يستقيم على الصراط الذي يدعون إليه.

---

(1) سورة فصلت، آية: 33.

وطالما جعلهم الله قدوة للدعاة والمربين إلى يوم الدين، فقد فصَّل وبيَّن وأسهب في سرد نماذج من قصصهم المعبرة عن طريقتهم ومنهجهم، وحثَّ نبينا على اتباع طريقتهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[1]، في توجيه وإرشاد إلى أن المنهج الأسمى والطريقة المُثْلَى هي طريقتهم في الدعوة إلى الله تعالى، فسار على ذلك خاتم المرسلين عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مع الفضل في ظهور وشمول دعوته لعموم البشرية، وخلودها بحفظ ما جاء به إلى يوم الدين.

ومع تغيُّر وسائل العصر ومعطياته، وكثرة مدخلاته وملابساته؛ تغيَّرت الوسائل وطرق التعلم والتعليم، فصارت أعمق تأثيرًا وأوسع انتشارًا، وباتت منابر متاحةً للجميع دون استثناءٍ. فالواجب المتحتّم على المربين في هذه الحالة اللحاق بالركب، والمسارعة إلى تعلمها واستخدامها بفعالية، ولكن مع ذلك يجب ألا يشغلهم رونقها الظاهر وبريقها اللامع عن المحافظة على أصالة وجوهر المنهج الذي يجب أن يظل واضحًا نقيًّا، والعقيدة تبقى راسخةً شامخةً، والقيم والمُثُل تستمر ثابتة وواضحة في وصولها إلى أذهان المربين من دون أيّ تشويش أو غبش؛ حتى لا تنحرف البوصلة إلى مسار أو مسارات أخرى.

هذه المقالة تعالج موضوع بناء المهارات القيادية والإدارية للمربي في ظل معطيات العصر الفكرية والتقنية والمهارية، والتي مزجت بين الخير والشر، في محاولة لتوظيف ما أمكن من إيجابياتها في ترشيد وتطوير العمل التربوي بما يتوافق مع المنهج الرباني والهدي النبوي.

وسوف نتناول الموضوع من ثلاثة محاور:

الأول: بناء المهارات القيادية والادارية للمربي، والثاني وسائل بناء هذه المهارات، والمحور الثالث: البرنامج التنفيذي المقترح لتطبيق وتطوير المهارات القيادية للمربين.

---

(1) سورة الأنعام، آية:90.

المحور الأول:

المرتكزات العشر لبناء المهارات القيادية والإدارية للمربي:

من البديهي ألا يتولى التربية والدعوة إلا من كان على دُرْبَة ودراية بهذا الفنّ الجليل والعلم العظيم، والذي هو -كما سبقت الإشارة اليه- رسالة جميع المرسلين من رب العالمين، ومن المُحَال أن تؤتي التربية الجادة الملتزمة ثمارها مالم تستوفِ شروط التدريب والتأهيل للمربين على هذه الغاية العظمى والمنهج العظيم.

والمعلم المربي إذا أُحسنت طرائق إعدادِه وتأهيلِه، وتم قبل ذلك حُسْن اختياره وَفْق الحد المقبول من المواصفات التي تتناسب مع طبيعة المهمة، فإن ثمار ذلك ستكون واضحة وجلية، ولو طال زمانها.

ومثَل ذلك كمثَل الزارع الماهر العالم بالمواسم وطبيعة الأرض ووسائل الري وأنواع البذور وطريقة بذرها ووسائل الحرث والزراعة، فجدير به بعد بذل الأسباب وحُسن التوكل على الله أن يجني ثمارًا يانعة تسرّ الناظرين، وتحقّق الغاية المرجوة من عملية الزراعة، والعكس بالعكس، فلا تُرْجَى ثمرة نضيجة تحقق المراد إذا لم تتم العناية أولاً بالمزارع الذي يُدير كافة شؤون الزراعة باقتدار وكفاءة لتحقيق الغاية التي وُجد من أجلها.

ومن وجهة نظرنا، هناك عشر مرتكزات لا بد من تنميتها لدى المربي في مجال القيادة والإدارة التربوية حتى يصبح أهلاً لأن يقوم بمهمة التربية للأجيال؛ وهي:

1 - الرؤية الواضحة:

من أبرز الملامح القيادية وضوح الرؤية لدى المربي وهي (البصيرة) المقصودة في دعوة النبي محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا بد من توفرها ابتداءً في كل ما يريد فعله وتصور ما يستطيع من أبعاده؛ وغاياته ووسائله، ومداه ومنتهاه، وأوله وآخره؛ لأن أيّ قصور في وضوح

الرؤية يؤدي إلى الغبش والتخبط الذي يفرز اختلاط الأمور وتناقض المواقف، وتتداخل المناهج بالوسائل، فتكون النتيجة إنتاجًا هزيلاً متناقضًا رغم كثرة الوسائل وتعددها، لكنها تظل فاقدة التركيز المؤثر في حُسْن استثمارها وإدارتها لكي تنطلق من معين واحد مقصود ومحدد، ثم تصبّ في مكان مقصود ومحدد أيضًا؛ وهذا يعود بالتأكيد إلى وضوح الرؤية لدى المربي. ومن ذلك قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «واللهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ على غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

2- وضوح الغايات والأهداف:

ومن الملامح القيادية: وضوح الغايات أو الأهداف البعيدة أو الأهداف الاستراتيجية، فكلها تعني (النتائج) الطموحة التي تحقّق الرؤية المستقبلية.

والغايات بعيدة المدى يمتد عمرها إلى خمس أو عشر سنوات وربما أكثر أو أقل والذي يحكمها هو عامل الاستقرار.

وأما الأهداف فهي نتائج مطلوب تحقيقها لمدة أقل من الزمن، ويمكن اعتبارها وسائل وخطوات لبلوغ الغايات الكبرى في المستقبل وتحقيق الرؤية الطموحة للمربي والمنهج التربوي.

3- المنهج السليم:

ومن الملامح القيادية الاختيار المقصود والمؤكد للطريق الواضح التي يسلكها المربي القائد في تحقيق الغايات التربوية. فلا تكفي البصيرة ووضوح الرؤية، بل لا بد من وضوح وصفاء العقيدة والمنهج وهو منهج وسبيل الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى. ويمكن التدليل على هذا بأن المبتدعة وأصحاب الضلال والأهواء كثيرًا ما تكون لديهم رؤيتهم الواضحة

(1) أخرجه البخاري (6943).

وغاياتهم الطموحة، لكنهم في المنهج سلكوا سبيلاً غير سبيل المؤمنين؛ فضلُّوا وأضلوا.

4- **التخطيط التربوي:**

ومن مبادئ الإدارة الحديثة التخطيط ورسم الخطط، وهي طريقة قديمة اتبعها كلّ المصلحين على مر الأزمان مع اختلاف الأسلوب والوسائل. والتخطيط يعني باختصار شديد إيجاد البرنامج العملي المزمن والمفصل لوضع الأهداف موضع التنفيذ. فهو أداة تساعد على إدارة الموارد المالية والبشرية والمدخلات التربوية، لإنتاج مخرجات مستهدَفة بمواصفات محددة قابلة للقياس، في زمن محدد ومعلوم. فإذا غاب البرنامج الزمني الذي ينظّم أوقات تنفيذ المهام وإسنادها إلى المعنيين، تكون النتيجة تزاحم الأعمال، والتركيز على البعض وإهمال البعض، وربما يحدث تخبُّط وخلط في الأولويات وتقدم الأمور غير المهمة على حساب الأمور المهمة.

5- **التنظيم والترتيب:**

ومن مقومات الإدارة وجود العقلية المنظمة التي تجيد ترتيب الأمور، فهي القادرة على تقسيم الأعمال وتوزيع الأدوار، وإدارة العمل باقتدار وفق الإمكانيات والجدارات المتوفرة، ثم تنسيق الجهود والأدوار، وإدارة التقديم والتأخير، والشدة والمرونة، ومراعاة المصالح والمفاسد، وإدارة الأزمنة والأعمال، وضبط إيقاع المسير، في الطريق التي تحقّق الغايات النهائية للعمل المطلوب.

6- **تنمية مقومات القيادة والتوجيه والتحفيز:**

الشخصية القيادية للمربي هي الشخصية القادرة على بثّ الحماس وحشد الطاقات والأفكار والجهود باتجاه الغايات الكبرى. وإدارة وتهديف برامج الثواب والعقاب باتجاه الغايات الكبرى، والتحكم بكل اقتدار في اكتشاف المواهب والطاقات، وإعطاء كل ذي

حق حقه من الرعاية والاهتمام، مع التوازن بين قيم العدل والمساواة؛ فالعدل بين المختلفين في المواهب والطباع والإنتاج والإبداع بإعطاء كل منهم ما يستحق، والمساواة في معاملة الجميع بمبدأ القيم والأخلاق والمُثُل السامية الحميدة.

ويدخل فيها إدارة برامج التحفيز والترغيب والترهيب كاستراتيجية في بناء النفوس السوية، وتجنُّب وسائل الهدم من جرح المشاعر، وهدم القِيَم وتحطيم المبدعين والإبداعات، باستخدام وسائل منفّرة وطرق مقززة بدعوى التعليم والتربية. بل ينبغي التعامل معها بوعي وذكاء بتهيئة المناخات المناسبة لذلك، بما يولد الإبداعات واستخراج كنوز العقول الذكية والمبدعة، كما ينبغي التخلص من ممارسات الكبت وخنق الإبداعات وكبت المشاعر التي يمارسها بعض المربين بحجج واهية؛ منها فرض الهيبة وترك الدلال، وتنويع أساليب التربية دون مبررات واقعية.

ويدخل فيها التنسيق بين الطاقات والإبداعات وترتيب الأولويات بما يحقق الغايات التربوية، وتركيز الموارد بحسب تلك الأولويات، وإيجاد مناخ من التوازن بين تقديم الأهم على المهم وربما حُسن إدارة الأهمية والأولوية والاستعجال في المهام.

7- التطوير والتحسين المستمر:

فلئن كان التطوير والتحسين المستمر مطلبًا مهمًّا وملحًّا للمتربي في المحاضن التربوية؛ فإنه من باب أولى مطلب في غاية الأهمية للمربي نفسه. ويقصد بذلك حسن إدارة التطور والتقدم المستمر في حياة المربي، كل يوم وكل أسبوع وكل شهر وكل عام وكل مرحلة من العمر، حتى تظهر الثمار بمراحلها المختلفة منذ بدايتها حتى الوصول إلى الثمرة النضيجة التي لم تأتِ جزافًا لكنها تولدت عن رؤية واضحة وقناعة راسخة وأهداف طموحة وخطة دقيقة.

ومن هنا كانت الغاية البعيدة من كافة برامج التطوير والتحسين المستمر هي إحداث

ذلك الفرق، الذي لم يكن فرقًا عشوائيًّا بل مدروسًا ومخططًا وممنهجًا.

8- تنمية روح الفريق:

وهي غاية كبرى من الغايات التربوية، وتعني حسن إدارة الناس وفِرَق العمل وقيادتهم، وتعليمهم على التجمع على الهدف الواحد، والعمل المنسق الموحد الصادر عن مشكاة واحدة بوسائل متعددة، وواجهات مختلفة، مع التوازن بين الفروق الفردية للأفراد، وحجم النتائج المطلوبة من مجموع الفريق. كما تعني أيضًا حُسْن إدارة الخلافات، وإعمال مبدأ المصالح والمفاسد في إدارتها.

إن الاهتمام بروح الفريق الواحد يؤدي إلى تعزيز روابط الأُخوة الإيمانية، وتوحيد الجهود والطاقات باتجاه الأهداف، وتجنُّب تشتيتها في أحداث جانبية ومشاحنات ومشاكسات فرعية، لها انعكاساتها المؤثرة على بلوغ الغايات المطلوبة في الأزمنة المحدودة والجودة المرغوبة.

وتربية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قائمة على مبدأ: «يد الله مع الجماعة»[1]، وتربية الحواريين والأصحاب من أتباع الأنبياء، كلها قائمة على نفس هذا المعنى، وأهم ما فيه تأهيلهم من خلال القدوة لمواصلة المسير في نفس الاتجاه الذي حدّد معالَمه قائدُهم ومعلمهم ومربيهم.

9- التزام وبناء القيم السامية:

فالتزام القيم والمبادئ مِن قِبَل المربّي، وتربية الأتباع عليها هي أُسُس وجوهر التربية الرشيدة، إنها القواعد الراسخة التي تحمل المبنى العظيم. فلئن كان المربي يمثل قواعد

(1) أخرجه الترمذي (2166) وصححه الألباني.

البناء، فإن المتربين يمثلون الأعمدة التي تحمل المبنى انطلاقًا من تلك القواعد.

إنَّ أيّ إخلال في منظومة متانة القواعد والأعمدة، يؤثر تأثيرًا خطيرًا على رسوخ المبنى وصموده أمام عوامل التعرية، فضلاً عن ظهور الشقوق والشروخ في جوانب وأجزاء المبنى. ومعلوم في عالم العمران أن المواد الأصلية وحُسن اختيارها وفق معايير الجودة وحُسن تنفيذها وفق نفس المعايير، له أثره الكبير على تماسك وبقاء وصمود المبنى، والعكس صحيح.

وما كانت دعوة الأنبياء إلا مثلاً شديد الوضوح على التزام القيم والمبادئ والمُثُل في أنفسهم أولاً، ثم غرسها في أهلهم وأتباعهم، وهكذا تناسق البناء من الأدنى إلى الأعلى، فأخرجوا أجيالاً حملوا رسالة الأنبياء بنفس القوة والمنهجية والوضوح.

10- تقييم وتصحيح الأفكار والسلوك:

وهي خاتمة الجهود وثمرة التربية والتعليم، وبعد اكتمال الثمرة، من الطبيعي والمناسب مع فطرة البشر ظهور بعض الأخطاء والانحرافات في الأفكار والمعتقدات والسلوك، فتبقى وظيفة التوجيه المستمر والمتابعة الدؤوبة ملازمةً للعملية التربوية.

فكم حدثت من مواقف بين المهاجرين والأنصار، وبين الصحابة الأخيار، وكيف وقف النبي ﷺ مسدِّدًا وموجِّهًا ومرشدًا على الصواب، لم يفتر يومًا عن ذلك بحجة أنهم قد نالوا النصيب الكافي من التربية والتعليم ولن يحتاجوا لمزيد رعاية وتوجيه، بل كانت استراتيجية المتابعة والتصحيح دائمة مستمرة حتى قبضه الله تعالى، وتولَّى المهمة من بعده أبو بكر ثم عمر وسائر الخلفاء رضي الله عنهم، وهكذا. إنها سيرة لا تنقطع من التصحيح والتصليح طالما وُجد بشر يخطئ فيرجع، وربّ يغفر ويتوب، ومنهج يجب أن يعلو ويسود، وعباد للرحمن يجب أن يحملوا الرسالة الصحيحة من المهد إلى اللحد.

المحور الثاني: وسائل بناء المهارات الإدارية للمربي:

وكما أن للمهارات القيادية والإدارية للمربي عشرة عناصر، فكذلك بناؤها يحتاج إلى عشر وسائل؛ هي:

1- الإخلاص والصدق:

الإخلاص في الدعوة والتربية، والصدق مع الله؛ أصول وأسس لمن يريد العمل مع الله؛ حيث إنه لا يُقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لله تعالى صوابًا على سُنة رسول الله ﷺ. ويلحق بذلك صدق التعامل والتعاطي مع هذه المهمة بما تحمله من حرارة في المشاعر، ويقين بالمصير، واحتساب الأجر والثواب، وصبر على المتاعب والمصاعب والمشاق. وأيّ إخلال في هذه المنظومة ينعكس سلبًا على مخرجات التربية والتعليم.

2- الرغبة في التغيير الذاتي لدى المربي والمتربي:

الرغبة في التغيير الذاتي تتفاوت بحسب الأشخاص، ويتفاوت بذلك مقدار البذل والعطاء والجهد والتضحية، ومن هنا كان لا بد من وضع بعض المعايير لدى اختيار المربين مثل معايير الرغبة في التغيير، والصبر، والعمل الدؤوب.

إن التربية ليست وظيفة تنتظر وصول المرتب من عدمه -مع أهمية ذلك-، لكنها معنى أعمق وأشمل وهي إحداث التغيير العميق والجذري في المعتقدات والقِيَم والسلوك، ومعها تصبح الوظيفة والمرتب مجرد وسائل لسد الحاجة واستنفار تلك الرغبات، واستخراج مكنونات النفوس من الإبداع والرغبة في إحداث التغيير المطلوب في أعماق النفوس للمربي والمتربي.

3- دوام التطلع للتطوير:

مَن لم يتقدم يتقادم، ومَن لم يتجدّد يتبدّد، فبقاء المربي على أساليبه ووسائله القديمة في زمن

من أبرز سماته التطور والتغيير المستمر والمتسارع في الوسائل يجعله عُرضة للإهمال، وتصبح أساليبه القديمة لا تتناسب مع مستوى لغة العصر ولا تراعي تطلعات المتربين؛ حيث إن هذا العصر أجبر الجميع على متابعة كل جديد. ومالم يرتقِ المربي إلى متابعة الجديد، ويتمكن من استخدامها الاستخدام الأفضل، فسوف يخفت تأثيره في حياة المتربي شيئًا فشيئًا بقدر ذلك.

4- القراءة والاطلاع:

القراءة والاطلاع في مجال التخصص وتعلم المهارات المتنوعة، والاطلاع على سير القدوات والناجحين والاطلاع على الواقع المحيط وتحليل ما يدور فيها بروية، ومحاولة الإفادة من كل ذلك في تحسين عرضه للمسائل وتطوير أدائه وتحديث أساليبه، حيث تمكنه من بلوغ العلم الغزير والثراء الفكري والثقافة الواسعة، فينتج عنها رسوخ العلاقة مع المربي، وزيادة ثقة المتربي بقدراته وسعة علمه واطلاعه وخبراته. كما تُقوِّي مَلَكة تحليل المشكلات وحُسن النظر والتحليل للواقع والأحداث، وتوصيفها التوصيف المناسب مما يساعد على الفهم السليم والتصرف الرشيد، ومِن ثَمَّ اتخاذ القرارات المناسبة، وتقديم الحلول التي تعترض المتربي في شتى مناحي الحياة، وهذا بلا شك من أهم عوامل الجذب بين المربي والمتربي.

5- العلاقة والتواصل مع القدوات:

ومن أبرز وسائل بناء المهارات لدى المربي: قوة العلاقة والتواصل مع المربين القدوات في زمانه ومكانه، لينهل من علومهم، ويستفيد من خبراتهم وتجاربهم، ويتخلق بأخلاقهم ويتأدب بآدابهم، فضلاً عن تسديدهم الدائم للأفكار والآراء الصادرة عنه، فينتج عن ذلك إعادة ضبط البوصلة في الاتجاه الصحيح في العلم والدعوة إلى الله على منهج الأنبياء والمرسلين.

ومن أسوأ ما تمر به بعض المحاضن التربوية: انعدام القدوات وكبار المربين المعاصرين؛

حيث ينضب معين الخبرات والتجارب والممارسات الحسنة، ويتولى عليها حدثاء الأسنان فيقودون الناس على قلة دراية وضعف بضاعة من العلم والفقه، فينحرف المسار شيئًا فشيئًا إلى طريق آخر.

ومن أهم وأسهل وسائل اتباع القدوات: القراءة في قصص الأنبياء وسيرة النبي ﷺ والخلفاء والصحابة وأئمة الهدى، والمصلحين على مرّ الزمان، ومع أهميتها البالغة في تكوين شخصية المربي، إلا أنها لا تغني عن القدوات من الأحياء المعاصرين الذين لديهم الخبرات الكبيرة في مشكلات العصر وحوادث الزمان.

6- الحضور المنهج للدورات العلمية والتربوية والمهارية:

إن المشاركة في البرامج والدورات العلمية والتربوية والمهارية وإعطائها اهتمامًا أكبر، وفق منهجية محددة مسألة من السهولة بمكان؛ بحيث لا تُعجز أحدًا في هذا الزمان؛ حيث إنها أصبحت متيسرة ومتاحة للجميع، خاصة مع توفر وسائل التقنية الحديثة ووسائل التواصل وتبادل المعلومات في جميع الأقطار. والمقصود هنا هو الحضور المنهج لدورات محددة نابعة عن أهداف مكتوبة، تنفذها خطط مكتوبة وتغذيها مدخلات مدروسة؛ فينتج عنها مخرجات محسوبة ومتوقعة. وتم تنفيذها من خلال برنامج زمني محدَّد، يتم تقييمه لقياس مدى التقدم ومستوى الإنجاز.

7- الكتابة والتعبير والنشر:

من بديهيات هذا العصر أن معظم الناس يكتبون وينشرون في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، ومن لا يكتب أو ينشر لم يَفهم لغة العصر بعدُ. لكن ليس المهم أن نكتب، لكن السؤال ماذا نكتب؟ وكيف يجب أن نكتب؟

فمن المهارات التي ينبغي أن يتقنها المربي: فن إدارة الكتابة والنشر في الوسائط، مع

تهديف الكتابة وتوجيهها باتجاه رؤية أو أهداف محددة، واختيار الملائم والأكثر جاذبية والأبلغ في إحداث الأثر، حتى يتمكن من الانتشار وتوصيل المعلومات ليس لأتباعه فحسب، بل لشرائح عريضة من الناس من الذين هم بأمس الحاجة لتلك الكتابات، وما تحمله من إرشادات وتجارب وخبرات، وبالأسلوب العصري المحبب والجذاب.

وهذا ينمّي في المربي ثلاثة أمور مهمة، **الأول**: التدريب على استخدام الآلة الإعلامية ومنصات التواصل وأساليب التعامل معها لبلوغ أهدافه، **الثاني**: صقل مهارات الكتابة والتأليف وصولاً إلى غزارة الكَمّ وجودة الكيف، **الثالث**: المساهمة في تعليم الناس وتصحيح مفاهيمهم والتأثير أفكارهم وسلوكهم بشكل أعمق ومنهج أسلم ونطاق أوسع.

8- حمل هموم الأُمّة:

حمل هموم الأُمّة هي من الغايات الكبرى للتربية، فينبغي أن تكون هذه الغاية وعيًا وثقافة ينطلق منها المربي باعتبارها الأمر العظيم والخطب الجلل؛ إنها تعني ربط الناس برب العالمين، والاهتمام بقضايا المسلمين، ومعايشة همومهم ومشكلاتهم. فمن لم يكن كذلك فإنه يعيش خارج بيئته الطبيعية وموطن قلبه الأصلي.

9- التفكير في المستقبل:

ويعني استشراف المستقبل للدعوة في ضوء الوعود الربانية باستخلاف الأمة وظهور الدين على كل الأديان، وسيادة الأمة على كل الأمم، وبثّ الأمل واستخدام مفردات وإمكانيات الحاضر للتمكين لمستقبل أفضل. ويتفرع عنه ذم الإحباط والتخذيل، ومنع إفشاء مفردات الهزيمة النفسية التي يكرسها الأعداء في نفوس المسلمين. ولا يخفى ذلك ما جرى في سيرة الرسول الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حادثة الإفك على سبيل المثال لا الحصر.

إن الأعداء لا يستطيعون النَّيْل من الإسلام ولا من حَمَلَة الدعوة إلا من خلال بثّ

الرعب وروح الهزيمة في قلوبهم، ولذا تجدهم يهتمون بتزيين وتنويع تلك الأساليب ودون كلل أو ملل؛ لأنهم يعتبرونها الخط الأول لمواجهة دعاة الإسلام.

10- ربط الحاضر بالماضي:

والمقصود بذلك توثيق الصلة بين تاريخ الأمة؛ من خلال قراءة القرآن والتأمل في قصص الأولين، وقراءة سيرة النبي ﷺ وسِيَرَ الخلفاء والصحابة والتابعين؛ لاستنتاج العبر والدروس، واستخدام كل ذلك كخلفية مهمة ومقدمات أساسية للدعوة السليمة في زمان انقطع فيه الوحي وقلَّت القدوات ورحل الكثير من العلماء العاملين. فما على من بقي مع المربين إلا دراسة ما عاش عليه السابقون وماتوا عليه، والعيش والموت على ما عاشوا وماتوا عليه، مع إضفاء نظرة عصرية في الوسائل والأدوات والأساليب التي لا تقدح في أصل المعتقد، ولا تؤثر في صلب المنهج.

المحور الثالث:

البرنامج التنفيذي المقترح لتطبيق وتطوير المهارات القيادية للمربين:

ورغبةً في وضع البرامج في المحورين السابقين موضع التنفيذ، وتحويل هذه الأفكار النظرية إلى واقع عملي؛ نقترح اعتماد وتنفيذ البرنامج التنفيذي التالي:

1- حضور دبلوم تدريبي في تنمية المهارات القيادية والإدارية ووسائلها للمربين؛ يشتمل على دورات متنوعة تهدف إلى ترسيخ المواضيع السابقة من خلال الدورات التدريبية وورش العمل وحلقات النقاش التعليمية المركزة.

2- برنامج مصاحب في القراءة والاطلاع والتلخيص.

3- برنامج مصاحب لزيارة الدعاة المشهورين.

أولاً: محتويات دبلوم تنمية المهارات الإدارية ووسائلها:

ويهدف إلى الارتقاء المنهج بالمهارات والوسائل الإدارية، ويتم ذلك بأخذ ما لا يقل عن (50-60) ساعة تدريبية، ويمكن حضورها من خلال الدورات الحضورية للمدربين مباشرةً أو عبر منصات التدريب الإلكتروني أو المسجلة في المنصات التدريبية المشهورة، أو غيرها.

ومن أهم هذه المحتويات ما يلي:

1- الرؤية الاستراتيجية وأهميتها في استشراف المستقبل.

2- التخطيط التربوي وبناء الأهداف والوسائل التربوية.

3- التنظيم والترتيب للحلقات التربوية.

4- مهارات القيادة والتوجيه والتحفيز.

5- مهارات تنمية روح الفريق.

6- مهارات بناء القيم والتربية عليها.

7- مهارات استخدام وسائط التواصل الاجتماعي في الدعوة والتربية.

ثانيًا: برنامج القراءة والاطلاع والتلخيص:

ويهدف إلى تنمية المعارف وتوليد القناعات بمنهج وأساليب الدعوة النبوية، ومنهج وطريقة الأنبياء في الدعوة إلى الله، واستخدام الوسائل المعاصرة، وذلك بالاطلاع والتلخيص للمواضيع التربوية التالية:

1- مختصر السيرة النبوية في مكة.

2- مختصر السيرة النبوية في المدينة.

3 – مبادئ القيادة والتخطيط في هجرة النبي ﷺ.

4 – القِيَم وأثرها في تربية النشء.

5 – قراءة في سِيَر الأئمة الأربعة.

6 – قراءة في تاريخ الدعوة المعاصرة.

7 – وسائل التطوير والتحسين المستمر في الدعوة والتربية.

8 – أهمية وسائط التواصل الاجتماعي في الدعوة والتربية.

9 – تجارب الدعاة المعاصرين في استخدام الوسائل الدعوية.

10 – الوسائل الدعوية الأهمية والأثر.

ثالثًا: برنامج زيارة الدعاة المشهورين:

ويهدف البرنامج إلى صقل مهارات المربين؛ من خلال الاطلاع المباشر وعن قرب على تجارب وخبرات الدعاة العاملين المؤثرين، والاستماع إلى توجيهاتهم وإرشاداتهم، ويتم ذلك باتباع الخطوات التالية:

1 – تحديد العلماء والدعاة المستهدفين بالزيارة.

2 – تحديد أهداف الزيارة.

3 – تحضير الأسئلة في الموضوعات التي يرغبون الاستفادة فيها.

4 – تصميم وتنفيذ البرنامج الزمني للزيارات.

5 – تقييم وقياس أثر البرنامج من خلال عقد اختبار حقيقي وليس مجرد أخذ الانطباعات.

والله الميسر والهادي إلى سواء السبيل.

تطوير المشرفين والمربِّين وتدريبهم وأثره في العملية التربوية

د. كمال الدين عكود

رئيس شعبة البحوث والإفتاء في موقع الشبكة الإسلامية

من المعلوم أن مهمَّة تربية الأجيال من أكبر المهمَّات، بل هي مهمَّة الأنبياء والرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، ولمن وفَّقه الله تعالى أن يكون في هذا الميدان فعليه بعد شكر الله -عزّ وجلّ- أن يقوم بهذا الأمر خير قيام، ولا يتمّ له ذلك إلا إذا امتلك الأدوات والمعينات الّتي تؤهّله للقيام بدوره.

ومِن أهمّ المهمَّات في ذلك: التَّطوير المستمرّ، والمواكبة للمستجدّات، خاصّة في هذا العصر الّذي يتسارع فيه كلّ شيء، فالوسائل الّتي كانت في وقت قريب هي الرّائجة وتؤدّي المهمَّة؛ تجاوزها الزّمن بسرعة إلى وسائل جديدة مؤثّرة في العمليّة التّربويّة، ولذلك كان لزامًا على مَن هُم في ميدان التّربية مراعاة ذلك.

ومن هنا يحتاج المشرف والمربي التّربويّ إلى أن يتعرّف على ما يستجدّ في ميادين التّربية، كما أنّه يحتاج لتطوير مستواه باستمرار، ومواكبة مستجدّات العصر في هذا المجال، وإذا قارنّا ما يقوم به بعض المشرفين والمربّين الآن فلن تجد فروقًا كبيرةً بينه وبين ما كان يحدث قبل سنوات عِدَّة باستثناء بعض الحريصين والمهتمّين، لذلك كان على المربّي أن يعتني بعملية المواكبة ليطوّر نفسه أوّلاً، ومَن يقوم عليهم ثانيًا، ومن ثَمّ يحسُن بالمربّين أن يفعّلوا أساليب الإشراف التّربوي الّتي من خلالها يتعرّف الوضع الحقيقي الحالي لمن يقومون بتربيتهم،

ثمّ يقوم بعد ذلك بوضع خطة مسترشدًا بما سبق عن التّخطيط التّربوي؛ ليتمكّن من تحديد مسار التّدريب التّربوي الّذي يحتاجه للمستفيدين منه، ولنفسه قبل ذلك، مراعيًا في ذلك الاستفادة من خبرات مَن سبقه من المربّين والمشرفين على المراكز التّربويّة، وبحسب إمكانيات الخطّة الّتي وضعها.

التدريب الذاتي:

كما نقترح أن يكون هناك برنامج للتّدريب الذّاتي يمكن أن يقوم به المربّي وحده، أو بالتّعاون مع بعض زملائه من المربّين والمشرفين، فيكوّنون فريق عمل يقوم بتجميع أهمّ المهارات والخبرات الّتي يحتاجها المربّي والمشرف، ثمّ تكون تحت أيديهم كالمنهج الّذي يكون كالمرجع للجميع.

كما يمكن أن تسجّل ضمن نشرة تربويّة أسماء مواقع مميّزة تقدّم دورات مفيدة في المجال توزّع على المربّين الّذين يحتاجون إلى دورات عاجلة في جوانب من احتياجاتهم الّتي يرونها.

الاستفادة من التقنية الحديثة:

ومن خلال هذا يمكننا أن نستفيد من التقنية ونوفّر مصدرًا غير مكلف للتّدريب، يكتسب من خلاله المتدرب -أيًّا كان- مصادر تدريب أخرى غير الجهات الرّسميّة؛ ما سيعمل على توسيع أفقه، ويحفّزه على البحث عن مصادر تدريب جديدة، تساعده على النّموّ التّربوي والملكة في هذا المجال، كما أنه سيكون على اطلاع مستمر على ما يُستجد من أفكار تخدمه في مجال عمله التّربوي.

وكما نأمل هنا أن تضطلع إدارات المراكز التّربويّة الحكوميّة والأهليّة بدورها الحقيقي، ولا تظل تراوح مكانها على برامج تربويّة غير مدروسة -في غالبها- أو متكرّرة، وعلى مربّين يراوحون مكانهم من غير تطوير ولا تأهيل ولا تدريب ولا مواكبة.

دراسات ميدانية لرفع الواقع:

وعلى مَن هم في الميدان تجميع الاحتياجات العمليّة من خلال زيارات الأندية والمدارس وأماكن وجود المستهدفين عمومًا، وإقامة لقاءات عامّة مع العاملين في الميدان للتعرّف على حاجاتهم عن كثب، ثمّ لا تكتفي بذلك، بل يجب أن تحدّث معلوماتها باستمرار. ولا يوجد مانع من أن تستفيد من إدارات التّدريب في المؤسّسات الكبرى النّاجحة.

كما أن الدّورات الّتي يتمّ القيام بها ينبغي أن يكون التّسجيل فيها بناءً على حاجة المتدرّب الفعليّة، فلا يرشّح المربّي المحتاج للتّطوير إلا عن طريق مسؤوله ومشرفه المباشر؛ لأنّه أدرى بحاجته وبالمَوَاطِن الّتي تحتاج إلى تطوير عنده، كما أنّه من الضّروري أن توضع البرامج المناسبة لدوره وحاجته، حتّى يرشّح لها.

بمعنى أنّنا يجب أن نركّز على الجانب الاحترافي في التّدريب وتطوير البرامج، وتصميم الحقائب، بخلاف ما هو موجود الآن من أعمال لا تَرقى لتتناسب مع حاجة الميدان في عصر المعرفة.

ويمكننا أن نستثمر أدوات التّقنية الحديثة الّتي تساعدنا على التّدريب عن بُعد، والتّدريب الآلي من خلال تقسيم البرامج التّدريبية وتصميمها بحسب الوقت والكمية والمحتوى الّذي نستطيع أن نتحكّم فيه بشكل أكثر دقّة وأعظم فائدة.

وباختصار فإننا بحاجة إلى الآتي:

أولاً: تحديد دقيق لاحتياجاتنا من التّدريب والتّطوير في ميادين التّربية.

ثانيًا: تصميم حقائب مميّزة من فِرَق متخصّصة يُنتقى لها مدربّون متخصصّون مناسبون.

ثالثًا: كلّ ذلك يحتاج إلى ميزانية وافرة. وبغير ذلك فسيبقى الحال على ما هو عليه،

والمراكز التربوية الّتي لا تعرف قيمة التّدريب ستبقى بخيلةً في الإنفاق عليه؛ ما يضرّ بالميدان التّربوي.

وختامًا: فإنّنا نرتقب ذلك اليوم الّذي يتّجه فيه المربّون والمشرفون -على تربية الأجيال- إلى التّدريب وإلى تطوير أنفسهم، وإلى المواكبة، حتّى لا تتجاوزهم هذه الأجيال بوسائلها المتجدّدة السّريعة الإيقاع؛ إذ يجب أن يبقى الأصل في التّوجّه نحو التّدريب هو النّمو المهني، واكتساب المهارات الجديدة المعينة على هذه المهمّة الكبيرة العظيمة.

واللهَ نسأل التّوفيق والسّداد للمربّين والمعلّمين والمشرفين على الشّباب، وأن يجعل اللهُ ما يقومون به في موازين حسناتهم، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

المتابعة الإلكترونية الفعَّالة

في المحاضن التربوية

د. علاء حسني

باحث ومستشار تربوي ومدرب في التنمية الذاتية

تُعدُّ المتابعة والتقويم من الركائز الأساسية في إدارة العملية التربوية، كما أنها من العوامل المهمة لتحسين الإنتاجية التربوية؛ حيث تتسم العملية التربوية بالاستمرارية والتنوع والتطور، فلا يكفي فيها توجيهٌ عابرٌ من المربي -مهما كان مخلصًا-، إنما تحتاج إلى المتابعة والتوجيه المستمر بهدف تقويم السلوك وتطوير المهارات وتوظيف القدرات.

إن الطالب في المحضن التربوي نفسٌ بشرية وليس آلة تضغط أزرارها وفق نظام بَرْمجه المربي، بل هي دائمة التقلب، متعددة المطالب والاتجاهات، وكل تقلُّب، ومطلب، واتجاه، بحاجة إلى رصد ومتابعة وتقييم بغرض التوجيه والتقويم، كما أن المربي نفسٌ بشرية له أعباؤه الحياتية، بالإضافة إلى وظيفته ذات الرسالة السامية في التربية ونشر القيم وبث الوعي بين الطلبة؛ ما لا يتصور معه أن يمتلك ذاكرة تحفظ سلوك وأداء جميع الطلبة.

وعلى الرغم من ذلك كان من صفات ووظائف المربي الناجح: المتابعة والتقويم للطلبة في المحاضن التربوية، كما أن من القيم المحورية في العملية التربوية المسؤولية عن الطلبة؛ مصداقًا لقول رسول ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

إن صور المتابعة في المحاضن التربوية تتعدد وفق طبيعة المحضن وسياسات المظلة التي

(1) أخرجه البخاري (893)، ومسلم (1829).

يندرج تحتها، سواء كانت ربحية أم خيرية، وما يترتب على المربي -بالإضافة إلى التعليم المعرفي والمهاري والوجداني- من متابعة أثر كل من القيم وتنمية الذات على سلوك الطلبة وتعاملهم في المواقف الحياتية. فالمتربي لا يمكن أن ينشرح صدره للتلقّي من شخص يحسّ أنه لا يهتم به، فقد يترتب على ضعف المتابعة والتقويم في المحاضن التربوية ضعف العمل والإنتاجية في المحضن نفسه، وتساقط بعض الشباب عن طريق الحق والخير وعدم الاستمرار فيه، وإهدار كثير من الطاقات والأوقات في بعض الأعمال الدعوية والتربوية، وتخريج جيل هشّ بعيدٍ عن القيم، يحمل أمراض القلوب، لا يتصف بالجدية، ولا يستطيع الصمود أمام الفتن والمغريات والشهوات.

إن الرسالة التربوية لدى المربي تقتضي أن يبذل وسعه في تصميم العملية التربوية وتقييمها ومتابعتها وتقويمها، ولا يدّخر جهدًا في استخدام ما يسهل عليه عمله في المحضن التربوي، بل يعطي من وقته لتعلم ما يمكنه من متابعة محضنه التربوي بشكل حثيث ودقيق لتقويم سلوك الطلبة وصياغة شخصيات صالحة في ذاتها نافعة لغيرها.

وقد أثبتت التجارب العملية أن التكنولوجيا ببرامجها وتطبيقاتها الإلكترونية قادرة على تنفيذ رسالة المربي مع طلابه؛ من خلال توظيفها بالشكل الصحيح في المتابعة الدقيقة والتقييم المستمر وصولاً إلى صورة حقيقية لسلوك الطلبة السلبي والإيجابي، ورصد مهارات وقدرات الطلبة.

ومن تلك البرامج والتطبيقات التي يُنصح باستخدامها في المحاضن التربوية بدءًا من البيت مرورًا بالمدرسة وانتهاءً بالمحاضن التربوية في الجمعيات الخيرية والتطوعية، عملاق تقييم السلوك ورصد المهارات Class Dojo وهو «تطبيق إلكتروني مجاني صُمِّم لإدارة السلوك بطريقة عملية وسهلة وسريعة، يُستخدم لتعزيز السلوك الإيجابي للطالب، ورصد السلوك السلبي؛ من خلال مجموعة من الرموز والنقاط التي تُمْنَح للطالب بناءً على معايير

سلوكية يحدّدها المربي، مع إمكانية تمثيل هذه النقاط برسوم بيانية وتقارير ترسل للطالب وولي الأمر بشكل مباشر».

ويمكن الاستفادة من Class Dojo لكل من: المربين وقادة المحاضن التربوية، وأولياء الأمور، والطلبة. لوجود مزايا وخصائص تعود بالنفع على المستفيدين، ومن تلك المزايا ما يأتي:

أولاً: المزايا المتعلقة بالمربين:

يُمَكِّن Class Dojo المربي من الأمور الآتية:

- رصد مشاركات الطلاب فرادى ومجموعات بدقة.
- استخراج تقرير حضور وغياب الطلبة، تشمل حضور الطلبة وغيابهم وتأخرهم ومغادرتهم خلال الفترة الزمنية التي يحددها المعلم؛ ما يولد قيمة الانضباط لدى الطلبة.
- إضافة قيم وسلوكيات إيجابية (كالتعاون والمثابرة)؛ لتعزيزها.
- رصد السلوكيات السلبية (كالإهمال في الحفظ والتقصير في العبادات) لتعديلها.
- إدراج مهارات (كالحفظ والبحث والتواصل) لتحفيز الطلبة على تنفيذها واكتشاف مقدارها عندهم وتعزيزها.
- إضافة ملاحظات -عند رصد أيّ سلوك إيجابي أو سلبي- تُمكّن المربي من تذكُّر الموقف الذي تم فيه السلوك مِن قِبَل الطالب.
- قياس وتقييم أداء الطلبة بشكل دقيق ومستمر وبنائي من خلال استخراج تقارير

إحصائية بصيغتي :(Excel) أو (PDF)، للفترة الزمنية التي يرغب المربّي بدراستها وتسجيل ملاحظته عليها؛ ما يظهر الفاعلية في المتابعة لدى المربي.

- التواصل الفعَّال مع أولياء أمور الطلبة من خلال إمكانية إطلاعهم على التقرير اليومي أو المرحلي للطالب، وإجراء المحادثات الإلكترونية المباشرة والآمنة مع المربي للاستفسار عن الطالب أو تسجيل ملاحظتهم عن ولدهم للمربي.

ثانيًا: المزايا المتعلقة بقادة المحاضن التربوية:

في حال استخدام المربي برنامج Class Dojo فإن ذلك ينعكس إيجابًا على إدارة المحضن التربوي وشركاء التربية من مربين ومشرفين، ومن ذلك:

- استخراج تقارير الحضور والغياب للطلبة بطريقة إلكترونية سهلة المتابعة والتسجيل، يمكن الاحتفاظ بها وأرشفتها والرجوع لها عند الحاجة مما يُستغنى به عن التسجيل والمتابعة الورقية.
- تعزيز القيم الإيجابية لدى الطلبة؛ من خلال اتفاق قادة المحضن التربوي على سلوكات إيجابية تحتاج إلى غرس وبناء، وأخرى سلبية تحتاج إلى تعديل أو توجيه، خلال فترة زمنية معينة.
- إمكانية اشتراك مجموعة من المربين مع بعضهم أو مع قائد المحضن في الاطلاع على ملف المجموعة التربوية، ورصد سلوكهم ومهاراتهم.
- التنظيم الإداري الإلكتروني لأعمال المحضن التربوية، وإثبات فاعلية المتابعة والتقييم المستمر للطلبة من خلال تقارير Class Dojo .

ثالثًا: المزايا المتعلقة بالطلبة:

ينعكس أثر استخدام المربي برنامج Class Dojo على الطلبة، ومن ذلك ما يأتي:

- زيادة الدافعية للمشاركة والتعلم لإظهار القدرات والمهارات، ومراعاة الاحتياجات النفسية والاجتماعية والخصائص النمائية لدى لطلبة.
- تحقيق الذات لدى الطالب وشعوره بالإنجاز لمشاركته أعماله على قصته في Class Story واطلاع الآخرين عليها، أو حفظ أعماله في محفظته الإلكترونية الخاصة.
- الشعور بجدية المتابعة؛ ما يُولّد الانتظام وينمّي الشعور بالمسؤولية لديه.
- متابعة ملف الإنجاز الخاص به، والمتعلق بسلوكه ومهاراته عن طريق رمز سريّ لا يستطيع غيره استخدامه.
- تحقيق عنصري التشويق والانتباه لدى الطالب من خلال استخدام المربي لبعض أدوات موقع Class Dojo؛ كالاختيار العشوائي، وكأس التميز في إحراز النقاط (Pick a goal)، وصانع المجموعات، وساعة التوقيت، ومقياس الضوضاء.
- المرح والمتعة وكسر الجمود في التعلم الفردي والتعاوني، والحرص على إنجاز المهمات والتعاون للحصول على أعلى الدرجات والفوز بالطالب المثالي أو المجموعة المثالية.

رابعًا: المزايا المتعلقة بأولياء الأمور:

لاستخدام المحاضن التربوية برنامج Class Dojo أثر فعَّال على أولياء الأمور، ومن ذلك ما يأتي:

- التواصل الفعَّال بين أولياء الأمور والمربين من خلال خاصية الرسائل

المتوفـرة في البرنامـج.

- إشراك وليّ الأمر في العملية التربوية؛ وذلك بإطلاعه على سلوك ولده وملف إنجازه، من خلال رمز سري لا يستطيع غيره استخدامه.
- التعايش الإيجابي والمتابعة المستمرة لأعمال الطلبة في المحضن التربوي بشكل عام، وأعمال ولده بشكل خاص، وإمكانية الإعجاب بها أو التعليق عليها مع التحفيز على إنجازات الطلبة.

وبعد هذا التوضيح لمزايا Class Dojo على المستفيدين، يمكن الإشارة إلى المزايا العامة لهذا البرنامج؛ حيث إنه يدعم اللغة العربية، ويُمَكِّن المربي والطالب من تعديل الصورة الشخصية له على البرنامج، ومتوفر على شكل تطبيق إلكتروني يمكن تحميله عن طريق App Store لأجهزة iphone، و Google Play لأجهزة Android، كما أنه سهل الاستخدام وقليل المعوقات الفنية، وهو اقتصادي لا توجد تكاليف مادية لاستخدامه، ويتناسب مع غالب البيئات التعليمية والتربوية، وأخيرًا فيه دمج حقيقي -غير متكلف- للتكنولوجيا في العملية التعليمية والتربوية.

وختامًا؛ فإن المربي الناجح في عمله هو إداري ناجح في المحضن التربوي، وسرّ نجاحه لا يُعزى إلى ما يملكه من مهارات تعليمية وتربوية فقط، بل إلى قدرته ومهارته في إدارة مجموعته أو صفّه بفاعلية كاستخدام مهارات؛ التفكير، والتوجيه والإرشاد، وإثارة الدافعية والتحفيز للمشاركة الإيجابية في الموقف التعليمي، والمتابعة والتقويم، وكل ذلك أصبح مهمةً ممكنة أثناء اللقاء التربوي، بل صار عملاً يسيرًا في ظل توافر التقنيات والتطبيقات والبرامج الإلكترونية الحديثة التي تخدم العملية التربوية؛ إن أحسن المربي تعلمها وتوظيفها في خدمة الجيل الواعد المنشود.

ثلاثيات النجاح في المحاضن التربوية

نبيل النشمي

ماجستير في الإدارة التربوية

أرأيت زرعًا نبت في غير بيئته، وعاش حتى اكتملت دورة حياته؟!، أو رأيت زرعًا نبتَ دون رعاية وسقاية وعاش حتى كمل نضجه وآتى ثمره؟!، قلَّما يكون ذلك، وكذلك هي المحاضن التربوية بيئة ورعاية للمتربي حتى يؤتي ثمره بإذن ربه؛ فالمحضن التربوي هو أحد أهم أماكن التربية الجماعية التي تحقّق فيها أهداف التربية المنشودة من خلال برامج وأنشطة مركزة ومخطط لها بحيث يتميز المحضن بتوفير البيئة المناسبة وتفريغ المستهدف وتوفير الاحتياجات البشرية والمادية لتقديم الخدمات التربوية مباشرة وفي المحاضن تسهل عملية التربية، وتتوفر كثير من الجهود والأوقات باعتبار اجتماع المربي والمتربي في مكان أو بيئة واحدة لوقت كافٍ إلى حدٍ ما «فالمحضن هو الموقع والموضع الذي ينال فيه الفرد الحفظ والعناية، والتربية والرعاية، والإعداد والتهيئة للقيام بمتطلبات التكوين، ومقتضيات الوجود، ومقومات الاستخلاف».

والمحاضن التربوية تتكون من أركان رئيسة يقوم عليها أساسه، ويتم به بنيانه، وهي :

1- المربي .

2- المتربي .

3- البرامج .

4- الإدارة .

وهذه الأركان يقوم عليها نجاح العملية التربوية، وكل واحد منها يؤثر في مستوى النجاح وتحقيق الأهداف، ولذا سنقف عند كل ركن منها ننظر كيف يمكن أن يساهم في تفعيل ونجاح المحضن التربوي ويؤثر في تحقيق الأهداف :

أولاً: ثلاثيات المربي :

إذا كان من نافلة القول أن المربي هو السبب الرئيس والعمود الفقري لنجاح العملية التربوية على أي مستوى، فمن فرضية القول أن المحضن التربوي الناجح يقوم على المربي الناجح، وحتى يتحقق دور المربي المنشود ينبغي أن يجد المتربي عنده ما يلي :

1- **التمكن**: تمكن المربي يعطي انطباعًا يصعب تغييره عند المتربي، ويعتبر سببًا رئيسًا لاقتناع المتربي وتأثره بالمربي والاقتداء به واحترامه، فالمربي الذي يملأ العين والعقل والقلب يستحوذ على أفئدة المتربين ويسهّل عليه مهمته، ولذا كلما كان المربي متمكنًا علميًّا وتربويًّا ومهاريًّا؛ كانت علاقته بالمتربين أمتن وولوجه إلى قلوبهم أسهل؛ فجدير بالمربي أن يُعدّ نفسه ويوسّع مداركه ويتقوى في معارفه، كما ينبغي أن تقوم الجهات المختصة بتأهيل المربي وتطويره باستمرار لتساعده على التمكن ما أمكن .

2- **الحرص**: حرص المربي على من يقوم بتربيتهم يظهر في تصرفاته وحركاته وسكناته، وهو دليل على شعور المربي المرهف نحو المتربي، فيحرص عليهم علميًّا وتربويًّا وأخلاقيًّا ونفسيًّا وصحيًّا، ويكون قريبًا منهم يتفقد غائبهم ويعين محتاجهم ويؤنس خائفهم ويواسي حزينهم، ويتألم لآلامهم ويفرح لفرحهم، يحمل قضية تربيتهم في قلبه وعقله وقيامه وقعوده، وتكون قضيته ورسالته، ومهمته وهمته، فيقوم بمهمته التربوية بدافع الحب لهم والحرص عليهم وليس كموظف يؤدّي عمله ضمن ساعات دوام أو مهام عملية محددة سلفًا، بل هو الأب والأخ والمستشار والطبيب النفسي والمدرس والصديق لهم .

3- **الأسلوب**: لو وجد المتربي مربيًا فاضلاً ومتدينًا ومتمكنًا علميًّا، ويَعرف من النظريات التربوية ويُجيد استخدام وسائل التقنية، بل ووجده يحمل من العاطفة الجياشة نحو المتربين، ويحرص عليهم بشكل كبير؛ لكنه لا يملك مهارات التعامل وأسلوب تقديم المعلومة وممارسة التربية فإن تلك الصفات التي يملكها تفقد حيويتها مع الأيام؛ فطريقة التنفيذ وأسلوب التعامل ومهارات توصيل المعلومات وتنفيذ المهام التربوية لها الأثر البالغ في تقبُّل المتربي للمربي، وتفاعله معه واستمراره بنفس الروح والناشط والإقبال.

فاجتماع هذه الثلاثة (التمكن والحرص والأسلوب) في المربي يعني تقديم نموذج عالٍ، وتوفير عامل جذب للمتربين، وسبب رئيس في نجاح المحضن .

ثانيًا: ثلاثيات الإدارة:

مهما كان العمل تربويًّا خالصًا إلا أنه لا بد له من إدارة تقوم عليه، وتسعى إلى توجيه كل المدخلات لتحقيق الأهداف، وتوجيه المسار والمحافظة على السير العام، والإدارة الحقيقة لا تمثل عبئًا، بل عونًا ولا تعني تحكمًا بل تحسينًا في العمل وتطويرًا للجميع، وحتى تكون إدارة المحضن عامل بناء وتطوير يتطلب منها:

1- **المتابعة**: تعتبر المتابعة أحد أهم عناصر الإدارة الناجحة إذا كانت قائمة على معايير، ويتم الاستفادة من نتائجها بشكل جيد ومستمر، فما من جهد ولا عمل جماعي إلا ويحتاج إلى متابعة واطلاع عن قرب، لا أن تتحول المتابعة إلى تتبع العورات ورصد الزلات والبحث عن الأخطاء، بل عملية إدارية تبحث عن المواطن الإيجابية فتنميها وتشجعها والمواطن السلبية فتسعى إلى إصلاحها والتخلص منها بطرق تربوية وعلمية راقية، وحتى تثمر لا بد أن تكون هادفة ومستمرة وشاملة.

2- **التحفيز**: مثلما أن تحفيز المتربي يرفع فاعليته ومشاركته؛ فكذلك المربي يحتاج إلى تحفيز ليستمر عطاؤه وتبقى حيويته ولا تخفت طاقته، وتحفيزها بما يناسب مقامه ومهمته .

3- **التطوير**: مهما كان الإنسان مبدعًا وقادرًا على القيام بالمهام على أفضل وجه إلا أن القدرة البشرية لها حدود، ولن يكمل أحد فالمرء بحاجة إلى تطوير مستمر، وخاصة في عصر تتسارع فيه الأحداث والعلوم، وتتجدد فيه النظريات، وتتطور الوسائل، ولذا كانت مواكبة كل جديد، والاستفادة منه من لوازم التطوير، وبالذات في المجال التربوي؛ فالمربي والمتربي يتأثرون، ولا شك، بما حولهم من جديد، وكذا لا ثمرة من المتابعة إذا لم تكن سببًا للتطوير والتحسين، ولا يوجد مَن لا يحتاج إلى تطوير ولو كان متميزًا؛ فالتجديد والتطوير عملية مستمرة لا تتوقف، فينبغي أن تحرص إدارة المحاضن عليها وتوليها اهتمامًا يناسب الأهمية، وبقيام إدارة المحاضن بالمتابعة الحقيقية والتربوية وتحفيزها وتطويرها للمربي والمحضن؛ فإن ذلك يساهم بشكل كبير وفعَّال في نجاح المحضن تميزه بإذن الله تعالى .

ثالثًا: ثلاثيات البرامج:

البرامج التي تُقدَّم للمتربي لا تُؤتِي ثمارها بمجرد سردها وتقديمها دون معايير وضوابط ولا مراعاة لما يناسب منها مما لا يناسب، فليس كل ما يُقدّم يكون نافعًا؛ وليس كل ما يُعتبر نافعًا يكون وقته مناسبًا، وليس ما كان وقته مناسبًا كان طرحه مناسبًا، وهكذا؛ فحتى تؤدي البرامج غرضها وتحقق هدفها فلا ينبغي أن تخلو من هذه الثلاث:

1- **الحاجة**: من أقوى الدوافع للمشاركة وتفاعل المربي مع البرامج أن تلبّي حاجته، وتحقق لها رغبة في نفسه سواء علمية أو نفسية أو فكرية أو حتى اجتماعية وبدنية، فعند وضع البرامج وفق حاجات المستهدف بعد دراسة الحاجات ومعرفتها، يكون لها الأثر الأقوى في

نفوس المتربين، واختلاف الحاجات حاصل، ولا شك، لكن هناك حاجات مشتركة يتفق فيها الأغلب؛ خاصةً إذا اشتركوا في المستوى العمري والعلمي، وكانت البيئة واحدة أو متقاربة .

2- **الإمكانية**: ما لا يمكن تنفيذه لا يصح وضعه ولا التخطيط له؛ فالبرامج وإن كانت تلبّي الحاجة ومناسبة للزمان والمكان، لكنَّ هناك ما يمنع تنفيذها لسبب أو لآخر فينتقل إلى غيرها، وسواء الإمكانية المادية أو النظامية أو الزمانية أو المكانية، وعليه يراعى في البرامج أن تكون ممكنة حتى تحقّق هدفها فلا يقدم في محضن برنامج غير مناسب لوقت المتربين أو لسنهم؛ فهو غير ممكن بالنسبة لهم كذلك قد تكون تكاليف البرنامج أكبر من قدرة الإدارة المالية، وعليه ينبغي المرونة ووضع خيارات وبدائل في التخطيط حتى تقدم البرامج بحسب الممكن .

3- **المشروعية**: عندما يتعارض البرنامج مع القوانين والتشريعات بما قد يعرض المحضن إلى المسألة القانونية فلا داعي لتنفيذه، وإن احتاط القائمون لأنفسهم فالحفاظ على المحضن أولى من مصلحة تنفيذ برنامج يمكن أن يعوض عنه بآخر إلى جانب ما سيولد لدى المتربين من تساؤلات أو استفسارات أو ربما يسبب لهم شعور نفسي حيال ما يعرفون منعه أو يشكون في مشروعيته، وربما يرسخ في أذهانهم نظرة سلبية عن المحضن والقائمين عليه، وقبل ذلك وبعده مراعاة عدم مخالفة البرامج والأنشطة للشرع الحنيف، بحيث لا يكون فيه ما يتعارض معه، وخاصة في الأمور المتفق عليها أو ما فيه خلاف لكن عدم مراعاتها يؤثر سلبًا على سلوك وأفكار المتربين؛ فالأصل في المحضن أنه يربّي على الجدية والأخذ بمعالي الأمور، ويحقق الاستقرار والاطمئنان النفسي.

وعليه فكلما كانت البرامج ملبية للحاجة ويمكن تنفيذها، ولا مخالفة فيها للشرع ولا للأنظمة؛ كانت القناعة بها والتفاعل معها كبيرًا، وثمارها يانعة بإذن الله تعالى، وتحقيقها لنسبة كبيرة من الأهداف متوقعة .

وتبقى المحاضن التربوية هي الرافد الصافي والمنبع النقي لتخريج جيل محافظ على قِيَمه ومبادئه قائمًا بواجبه واثقًا بنفسه حاملاً هَمّ أُمّته، واعيًا بما حوله، فلا بد من الاهتمام بالمحاضن، والعمل على توفيرها ورعايتها رسميًّا وشعبيًّا، والبذل لأجلها والصبر على قيامها .

سدَّد الله الجميع لما يحب ويرضى.

وصلى الله على نبيه وآله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

جذورنا التربوية

المنهج التربوي للمماليك..

وأثره الاستراتيجي على العالم الإسلامي

شريف عبد العزيز

باحث في التاريخ الإسلامي

نهضة الأمم بوجه عام تحتاج إلى سلاح الأفكار والمناهج، فلم ينجح مشروع نهضوي عبر التاريخ من غير أقلام قوية أو أفكار نَيِّرَة تُعبِّر عن قلوب صادقة تدعو إليها وتنشر مبادئها بين الناس، وهذا يدخل ضمن سُنَّة التدافع في الأفكار والعقائد والثقافات والمناهج، وهي تسبق التدافع السياسي والعسكري، فأيّ برنامج سياسيّ توسعيّ طَمُوح يحتاج لعقائد وأفكار وثقافة تدفعه، فالحرف هو الذي يقود السيف، واللسان هو الذي يشحذ السنان، والكتب هي التي تنتج الكتائب.

ومن الدول المثيرة للدهشة والعجب بين الباحثين والدارسين والتي نجحت في ميدان الفكرة والمنهج أن تؤسس لنفسها مُلكًا فريدًا ومكانةً مميزة وسط الأمم: دولة المماليك؛ تلك الدولة العريقة القوية التي أسَّسها مجموعة من الجند الأرقاء الذين تحوَّلوا إلى أحرار وقادة وسلاطين وحُكَّام وأدباء وفقهاء وساسة من الطراز الرفيع، وشيَّدوا بسيوفهم وحميّتهم للدين والأمة الإسلامية حضارة تحتاج لمن يعيد تقييم تجربتها بعيدًا عن التأثر بالنظرة الاستشراقية لهذه الدولة العظيمة التي ظلمتها كثيرًا، وحصرت إنجازاتها في المجال العسكري فقط.

وسوف نعرض في هذه المقالة إلى المنهج التربوي للمماليك، وأثره في قيام دولتهم والعالم

الإسلامي في القرون الوسطى وما تلاها.

دولة المماليك حكمت مصر والشام والعراق وأجزاءً من الجزيرة العربية أكثر من قرنين ونصف القرن، وبالتحديد من 1250 إلى 1517م. ومن أبرز سلاطينها: عز الدين أيبك، وقطز قاهر التتار، والظاهر بيبرس قاهر التتار والصليبيين، والمنصور قلاوون بطل معركة حمص الكبرى، والناصر محمد بن قلاوون بطل معركة شقحب، والأشرف صلاح الدين خليل الذي استعاد عكا وآخر معاقل الصليبيين في بلاد الشام، والظاهر برقوق الذي تصدَّى فيما بعد لتيمور لنك، واستعاد ما احتله التتار في بلاد الشام والعراق ومنها بغداد، ثم ابنه فرج وإينال والأشرف سيف الدين برسباي فاتح قبرص، وقايتباي صاحب القلعة ومرعب الصفويين، وقنصوه الغوري وطومان باي.

أصل المماليك:

المماليك: جمع مملوك، وهم من الرقيق البيض الذين كانوا يُشترون ويُستخدمون لأغراض عديدة في المجتمعات منذ القدم. وكان المصدر الرئيس لجلب هؤلاء المماليك هو بلاد تركستان في وسط آسيا، وكان الأتراك يُعرفون بقوة الأجساد وإجادة القتال، وبدأ استقدامهم في العصر الأموي ثم العباسي، عن طريق الأَسْر في الحروب أو الشِّراء من تجار الرقيق، وبدأ الاعتماد عليهم في عهد الخليفة المأمون، ثم استكثَر منهم بصورة واضحة الخليفة المعتصم العباسي (218هـ- 227هـ) كبديل عن عنصري العرب والفرس؛ بسبب عصبية العرب وتحزبهم، وطموح الفرس باستعادة مُلكهم القديم، وبنَى لهم مدينة سامراء شرقي دجلة سنة 221هـ؛ لتكون خاصة بهم، وقيل: إن عددهم وصل في عهده إلى سبعين ألفًا، وكان لهؤلاء الأتراك دور كبير في التاريخ منذ ذلك الحين.

مراحل تطور المنهج التربوي للماليك:

نستطيع أن نقول: إن وجود المماليك في الدول الإسلامية مرَّ بثلاثة مراحل رئيسة، كان لاختلاف المنهج التربوي فيها دور حاسم في إيجابية أو سلبية هذا الوجود؛ حيث تدرج المنهج في النضوج والتكامل حتى وصل إلى أعلى صوره وقمة نضوجه في أواخر عصر الأيوبيين؛ ما أهّل المماليك للانتقال من مرحلة القوة العسكرية إلى مرحلة قيادة الدولة وتأسيس الكيان السياسي الذي استمر لأكثر من قرنين ونصف من الزمان.

المرحلة الأولى: المماليك في عصر الأمويين والعباسيين:

ذكر المؤرخون أن أول من استقدم المماليك واستعملهم هو (نصر بن سيار) والي الأمويين على خراسان، وذلك بعدما اشتعل الإقليم بالصراعات العصبية بين القيسية واليمانية، وشعر بتحركات العباسيين، فاشترى ألف مملوك من الترك، وأعطاهم السلاح، وحملهم على الخيل.

أما في العصر العباسي فكان الخليفة المعتصم العباسي (218 – 227هـ) أول من شكَّل فرقًا عسكرية ضخمة من المماليك الأتراك وأحلهم مكان العرب والفرس، وقد بلغت مماليك الخليفة المعتصم بضعة عشر ألفًا، وبنى لهم مدينة سامراء لتكون عاصمة لهم، ومقرًّا لجيوشه التركية من المماليك.

ولأن التركيز في هذه المرحلة كان على الاستفادة من القوة العسكرية للماليك، فلم يتلقّوا خلالها الإعداد التربوي والإيماني والأخلاقي الكافي ليلعبوا الدور الصحيح في نهضة الأمة ورعاية مصالحها، فكان ضرّهم أقرب من نفعهم، وسلبياتهم أكثر من إيجابياتهم.

فسرعان ما أخذ أولئك المماليك في التدخل في شؤون الدولة بعد وفاة الخليفة المعتصم

العباسي، حتى أمست في أيديهم يفعلون بها ما يشاؤون، وأصبح منصب الخليفة منذ مقتل المتوكل سنة (247هـ/ 861م) في أيديهم كالأسير، إن شاؤوا خلعوه وإن شاؤوا قتلوه، وهكذا أصبح هؤلاء الجنود عنصر تمرد مستمر ضد الخلفاء، فأساؤوا التصرف في شؤون الإدارة والحكم، فانفضت الولايات من حول العاصمة، وطمع عمّال الأطراف إلى الاستقلال بولاياتهم، وصار الجيش وقادته من الأتراك وسيلة الخلفاء للقضاء على الحركات الاستقلالية المختلفة، فازداد المماليك الأتراك في الدولة العباسية أهمية على أهميتهم، وأضحى منهم الولاة والوزراء وأرباب الدولة، واستمر تدخل وسيطرة القادة العسكريين الأتراك في ازدياد حتى رأت الخلافة العباسية أن تستعين بقومية أخرى -وهي الديلم البويهيون-، وكان ذلك فاتحة شرور عظيمة على الخلافة العباسية وزيادة في وهنها وذهاب ريحها.

المرحلة الثانية: المماليك في عصر السلاجقة:

الدولة السلجوقية دولة تركية الأصل، قامت في بلاد ما وراء النهر، ثم توسعت وورثت كل الدول القديمة في خراسان، ومازالت في علو شأن واتساع ملك حتى استطاعت أن تُسدي خدمة كبرى للخلافة العباسية والعالم الإسلامي بالقضاء على الدولة البويهية الشيعية، وتُعيد للخلافة العباسية هيبتها -ولو بصورة رمزية- بعد أن داسها البويهيون بالأقدام.

ويُعدّ الوزير الكبير (نظام المُلك) أول من أسّس نظامًا تربويًّا لاستيعاب طاقة المماليك وتوجيهها للصالح العام وخدمة الدولة والدين، وقد وضع خلاصة تجربته في كتاب (سياسة نامة)، الذي شرح فيه وظائف المماليك، وكيفية إعدادهم وتهيئتهم نفسيًّا وبدنيًّا واقتصاديًّا لخدمة الدولة.

ويُعد (نظام المُلك) أول مَن أقطع الإقطاعات للمماليك الأتراك، وبعد أن كان عطاء الجندي يُدفع نقدًا صار يُعْطَى إقطاعًا، فتُسلّم الأرض إلى المقتطع الذي يضمن عنايتها وعمارتها؛ ما يحفظ قوة وثروة الدولة، والجدير بالذكر أن الوزير (نظام الملك) أول مَن لُقِّب بلقب (أتابك)، وهو لفظة تركية معناها (مربّي الملك).

وقد أسهمت هذه السياسة الحكيمة من الوزير نظام الملك في ظهور العديد من القيادات المملوكية الماهرة، والتي عُرفت باسم (الأتابكة) نسبة إلى الأتابك نظام الملك. على رأس هؤلاء الأتابكة: عماد الدين زنكي، والذي أسَّس دولة ضمَّت الموصل وحلب وديار ربيعة، وكان رائد الجهاد ضد الصليبيين وفاتح الرها، وبعد مقتل عماد الدين زنكي على يد الباطنية الخونة، خلفه ابنه نور الدين محمود الملقب بـ(الشهيد)، أحد أعظم سلاطين الإسلام، وقد توسَّع بالدولة وضم دمشق وقضى على الدولة الفاطمية، وأصبحت مصر من ضمن حدود دولته.

وقد استكثر نور الدين محمود من شراء المماليك حتى صاروا غالبية جيشه، وبعد الزنكيين جاء الأيوبيون فأكثروا من المماليك واستخدموهم في الجيش.

المرحلة الثالثة: المماليك في آخر عصر الأيوبيين:

حدثت في عهد الأيوبيين نقلة كبيرة في الاعتماد على المماليك؛ حيث صاروا القوة الأساسية الضاربة في الجيش وعماده ومعظم قادته، وكانت مدة آخر سلاطين الأيوبيين في مصر (الصالح نجم الدين أيوب) بداية عهد جديد من مناهج إعداد وتربية المماليك، اتسم بالتكامل والإتقان والجدية والمؤسسية، لذلك لم يكن مستغربًا أن تقوم دولتهم، ويعتلي أحد خريجي هذا المنهج التربوي سُدَّة الحياة السياسية عقب وفاة نجم الدين أيوب.

وكما فعل المعتصم مع مماليكه فبنى لهم مدينة سامراء لتكون قاعدة لهم، فقد اتخذ الملك الصالح أيوب لمماليكه قاعدة في جزيرة الروضة تُعرَف بقلعة الجزيرة أو قلعة الروضة، وجعلها مقرًّا لهم، وشرع في حفر الأساس وبنائها سنة 637هـ، ولتطوير هذه الثكنات هدم الكثير من الدور والقصور والمساجد التي كانت في الجزيرة، وأدخلت في نطاق القلعة، مشيدًا فيها مباني كثيرة؛ منها ستون برجًا، وأقام بها مسجدًا، وغرس بداخلها أنواعًا شتَّى من الأشجار، ومن ثَمَّ شحنها بالسلاح وآلات الحرب وما يحتاج إليها من الغلال والأزواد والأقوات. وقد أنفق السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب على عمارتها أموالاً كثيرة، وكان السلطان يقف بنفسه ويرتب ما يعمل بها، وقد عمل كل ذلك من أجل أن ينتقل من قلعة الجبل ويسكن مع مماليكه الذين عرفوا بعد ذلك باسم المماليك البحرية، وكان معظمهم من الأتراك المجلوبين من بلاد القفجاق شمال البحر الأسود ومن بلاد القوقاز، قرب بحر قزوين.

منهج الإعداد والتربية والتعليم للمماليك:

وضع السلطان الصالح أيوب منهجًا تربويًّا فريدًا لإعداد مماليكه، سار عليه فيما بعد كلّ سلاطين الدولة المملوكية، وينقسم إلى ثلاث مراحل؛ كما ذكر المؤرخون -وعلى رأسهم المقريزي كبير مؤرخي الدولة المملوكية-:

1- **المرحلة الأولى**: تبتدئ من الصغر إلى سن البلوغ، وتركز على الجانب الروحي والديني، حتى يترسخ حبّ الإسلام في نفوسهم؛ حيث كان المماليك يُجلبون عادةً صغارًا، ثم يوزعون على طباق القلعة حسب أجناسهم، تحت إشراف جهاز إداري محكم يتولى شؤونه في التعليم والتدريب والإعداد العسكري، وكان هذا الجهاز يتكون من الموظفين المختصين بشؤون الجيش، ويتقنون لسان هؤلاء المماليك، فأول ما يبدأ به المماليك في المرحلة

الأولى تعليمهم ما يحتاجون إليه من القرآن الكريم، ولكل طائفة فقيهٌ يأتيها كل يوم، ويأخذ في تعليمها القرآن ومعرفة الخط والتمرين على آداب الشريعة الإسلامية، وملازمة الصلوات والأذكار. وكانت الصلاة تؤدَّى في أوقاتها تحت المراقبة الدقيقة حتى تُؤدَّى على وجهها الصحيح، وحتى تصبح مَلَكَة عند المماليك من صغرهم.

2- **المرحلة الثانية**: والهدف منها المزواجة بين الإعداد البدني والأخلاقي السلوكي، وهي التي تبتدئ بسن البلوغ؛ حيث يشرع في تعليمه فنون الحرب من رمي السهام ولعب الرمح، والضرب بالسيف وركوب الخيل، ويُراعى في هذ المرحلة الأخذ بشدة، فلا يُتسامح مع المملوك إذا أخطأ، فيعاقبه مُعلّمه عقابًا قاسيًا إذا بدا عليه الشذوذ في أخلاقه أو الانحراف عن المبادئ الدينية، ثم يقسمون إلى فِرَق يتولى كلاً منها معلمٌ في العلوم الرياضية والتدريبات العسكرية، فيتمرنون على فنون من الرياضة العنيفة مثل المصارعة والسباحة والمبارزة، ولعب الكرة راجلين وراكبين، وأما في أوقات الفراغ فإنهم يُتركون إلى هواياتهم العملية أو الدينية أو الأدبية. ومن هنا ندرك السر في ظهور عدد من المماليك في صفوف الفقهاء والشعراء والكتاب البارزين.

وقد كان لهم خدام وأكابر من النواب يفحصون الواحد منهم فحصًا شافيًا، ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على تحركاته وسكناته، فإن عثر أحد مؤدبيه الذي يعلمه القرآن أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه أنه اقترف ذنبًا، أو أخل برسم، أو ترك أدبًا من آداب الدين أو الدنيا؛ قابله على ذلك بعقوبة شديدة بقدر جُرمه، فلذلك كانوا سادة يدبّرون الممالك، وقادة يجاهدون في سبيل الله، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل ويردعون مَن جارَ أو تعدَّى.

وكان لتعليم المماليك نظام دقيق؛ فليس لهم أن يخرجوا من مقرهم إطلاقًا، لا سيما

ليلاً، وكان عليهم أن يذهبوا إلى الحمام يومًا في الأسبوع، ويكون أكلهم اللحم والأطعمة والفواكه والحلوى، لكن منذ عهد السلطان برقوق سمح للمماليك بالخروج من الطباق والمبيت خارجها في القاهرة، بحيث أصبحت فقط مكانًا لتعليمهم، ويلاحظ المقريزي أن ذلك جرَّ إلى نسيان تقاليد المماليك في التعليم بالطباق وأنهم أخلدوا إلى البطالة، وانعكس ذلك بالسلب على الدولة.

3 – **المرحلة الثالثة**: وهي مرحلة انتقاء المواهب والكفاءات، وهي مرحلة ظهور المواهب العسكرية، ووضوح الاتجاهات والكفايات السياسية، وفي هذه المرحلة تعقد المبارزات بين المماليك، لمعرفة مقدار المهارة الفنية والعسكرية في صفوفهم، ثم يرسلون إلى ميادين القتال ليعرف بلاؤهم هناك، ثم يكافأ المبرزون منهم بمنحهم الحرية، وعتقهم من الرق، وقد يترقى فيها المملوك حتى يبلغ الإمارة، فيمنحه السلطان لقبها، ثم يترقى في سلكها، حتى يصل إلى كبريات المناصب.

والمملوك لا يحصل على الإمارة إلا بعد أن ينتقل من مرتبة إلى مرتبة، فلا يليها إلا وقد تهذبت أخلاقه، وكثرت آدابه، وامتزج بروح الإسلام، وبرع في الشؤون الحربية، بحيث كان منهم مَن يصير مِن كثرة علمه في مرتبة فقيه أو أديب أو محاسب، لذلك كانوا سادة يديرون المماليك، وقادة يجاهدون في سبيل الله. ولعل كلمات السلطان برقوق التي ردّ بها على تهديدات تيمور لنك المغولي سنة 796هـ تكشف عن مفهوم الدولة والأمة الواحدة عند المماليك؛ فقد كتب له يقول: (إن خيولنا برقية، وسهامنا عربيَّة، وسيوفنا يمنيَّة، وليوثنا مصريَّة). فارعوى تيمور لنك عن خطط الهجوم على المماليك.

وبفضل هذا المنهج التربوي المتكامل أجاد كثير من هؤلاء المماليك اللغةَ العربية إلى درجة عالية، حتى إنهم اشتغلوا بالعلم والأدب وقرضوا الشعر، قال المؤرخ ابن إياس

عن الظاهر جقمق: (كان فصيحًا بالعربية متفقهًا، له مسائل في الفقه عويصة يُرجَع إليه فيها). وقال عن السلطان الأشرف قايتباي: (كان له اشتغال بالعلم، كثير المطالعة، وكان متقشِّفًا فيه نزعة صوفيَّة). كما ظهر من أبناء المماليك عدد من العلماء والمؤرخين، منهم: أبو المحاسن بن تغري بردي صاحب كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، وابن دقماق صاحب كتاب (الانتصار لواسطة عقد الأمصار)، وابن إياس صاحب كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور).

وعصر الدولة المملوكية كان عصر تدوين العلم ونضوج المذاهب الفقهية، كما كان عصر أساطين العلماء، منهم على سبيل المثال: النووي، وابن دقيق العيد، وابن تيمية، والمزي، والذهبي، وابن كثير، وابن القيم، وابن جماعة، والسبكي، والبقاعي، وابن حجر، والسيوطي، والسخاوي... وغيرهم.

وبفضل الله ثم هذه التربية المتميزة نبغ من بين هؤلاء مَن خلَّد التاريخ بطولاتهم، وسجَّل على صفحاته أمجادًا عظيمة للمسلمين مِن تصديهم للمشروع المغولي، والقضاء على الوجود الصليبي في ديار المسلمين، يقول المستشرق بروكلمان في شأنهم: (وعُدَّت الأجيال التالية عصر بيبرس -كما عُدَّت عهدي الرشيد وصلاح الدين- أحد العصور الذهبية في الإسلام).

إنفوجراف وكاريكاتير

رواحل
إنما الناس كإبل مائة

انفوجراف

خصائص

راوي قصّة الأطفال

- أن يكون محبًّا للأطفال بشكل كبير.
- توفر الموهبة مع الخبرة والتدريب المستمر.
- القدرة على اختيار القصة المناسبة.
- القدرة على التخيل والابتكار.
- القدرة على مزج النفْس بأفكار الشخصيات وأحاسيسها والتعبير عنها.
- الحفاظ على روح الطفولة خلال عملية الحكي بتقليد الشخصيات أو التحكم في الأصوات.
- أن يتمتع بروح الدعابة والمرح.
- الإحساس الواعي بالأطفال والقدرة على الارتقاء لمستواهم.
- أن يكون لديه قدر كبير من الثقة بالنفس.
- التحكم في اللغة وجعلها مناسبة للأطفال.
- أن يكون ذا صوت متميز، ويوظفه توظيفًا جيدًا.

روافد
إنما الناس كإبل مائة

مراحل رواية القصّة للأطفال

انفوجراف

أولاً: مرحلة الإعداد (تعلُّم القصة):

اختيار القصة المناسبة، وقراءتها عدة مرات.

ثانيًا: مرحلة المقدمة:

- التهيئة وحسن الاستهلال بسؤال مشوق مثلاً.
- جلوس الأطفال بالقرب من بعضهم، في شكل نصف دائري.

ثالثًا: مرحلة الحكي بسعادة وإحساس:

- التحكم في طبقة الصوت لإحداث تأثير نفسي في الأطفال.
- الحفاظ على صلة بصريَّة مع الأطفال طوال عملية الحكي.

رابعًا: مرحلة إنهاء القصص:

سؤال الأطفال عن أفضل ما أحبوه في القصة، والشخصيات، والأحداث.

خامسًا: بعد الانتهاء من رواية القصة:

- الإجابة على أسئلة الأطفال، مع الحوار حولها.
- تكليف الأطفال بتلخيص القصة، وإعادة روايتها، وتمثيل بعض أحداثها.

@rawahelweb

www.rawahel.org

آداب الدعوة الإسلامية
مقارنة بالأدب العالمي

@rawahelweb
www.rawahel.org

رواحل
إنما الناس كإبل مائة
www.rawahel.org
@rawahelweb

البناء التربوي

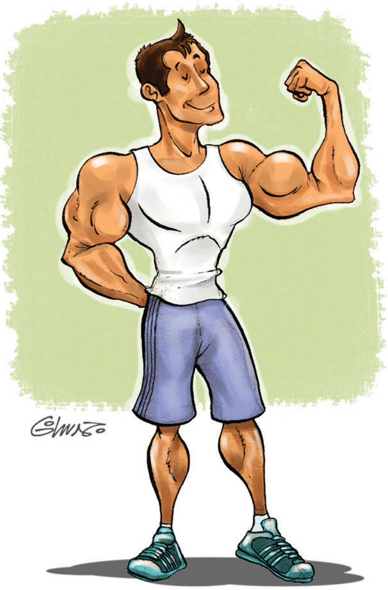

المنظم

العشوائي

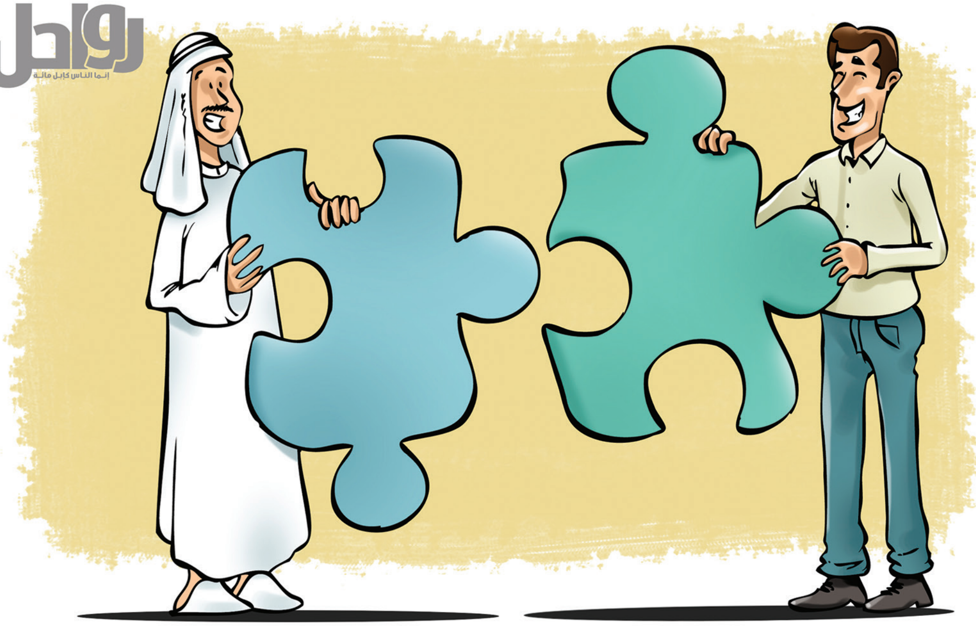

اختلاف التنوع والتكامل

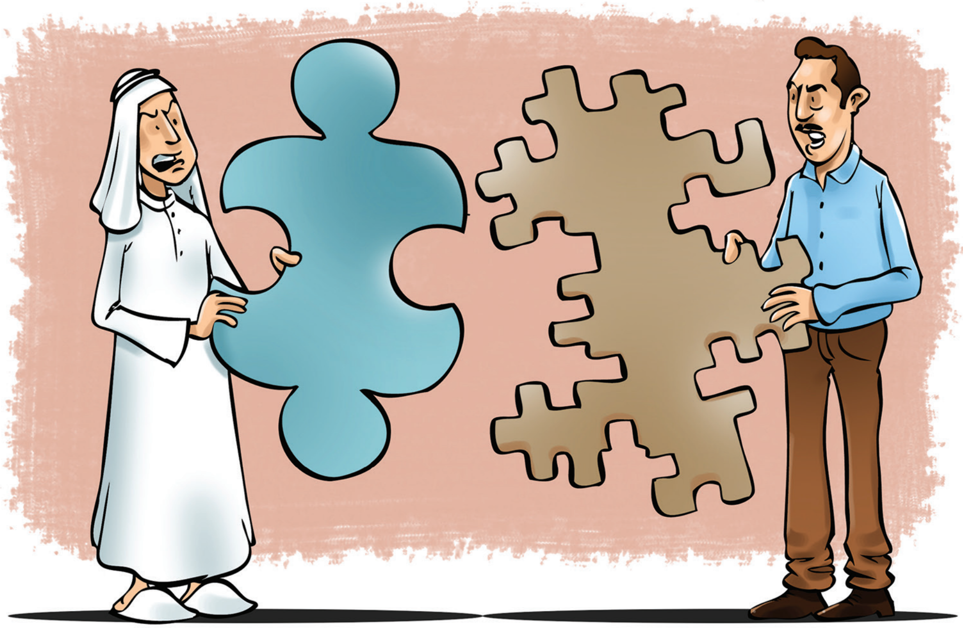

اختلاف التضاد والتنافر

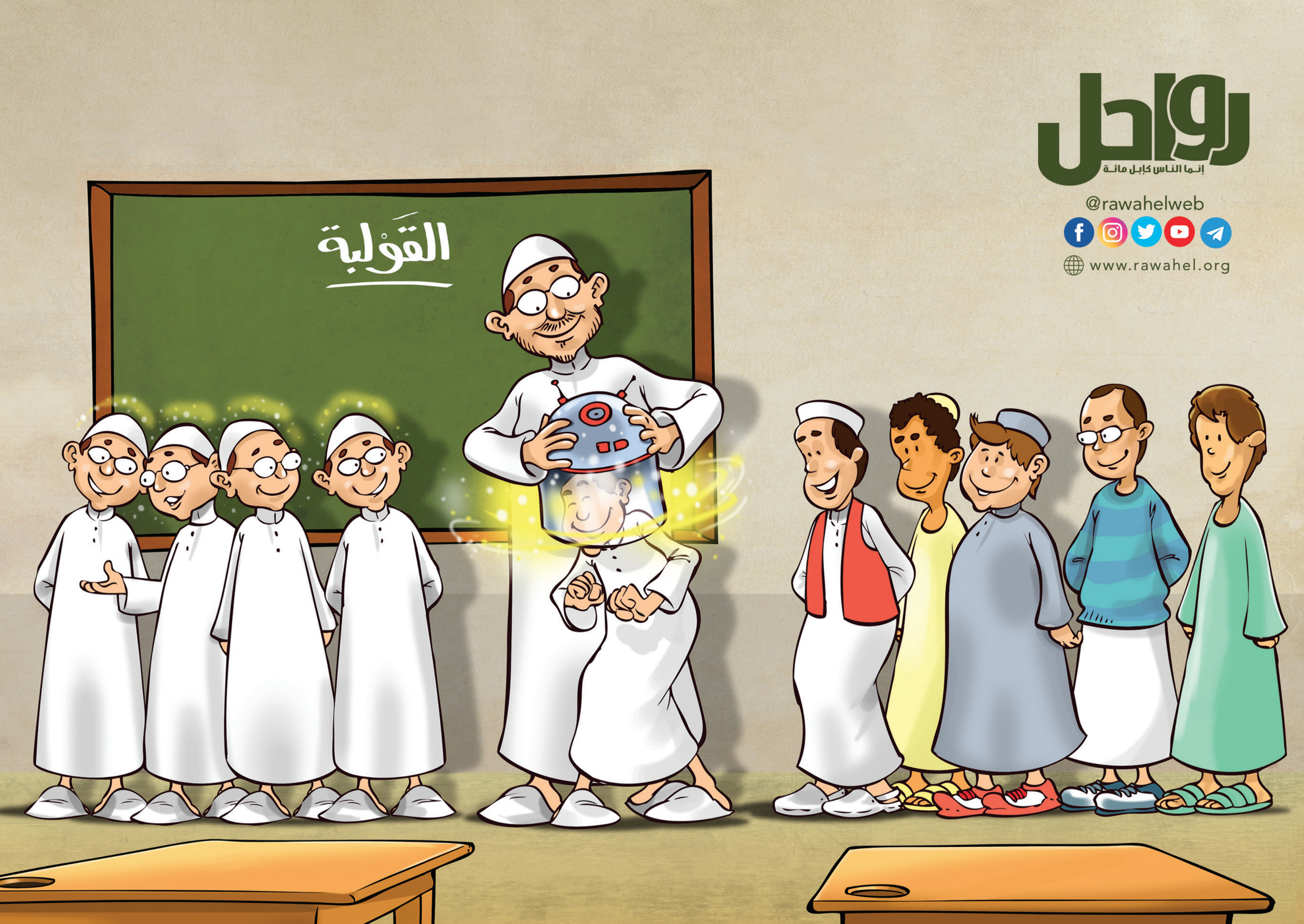
القَوْلبة
رواحل
إنما الناس كإبل مائة
@rawahelweb
www.rawahel.org

يتبدد من لا يتجدد

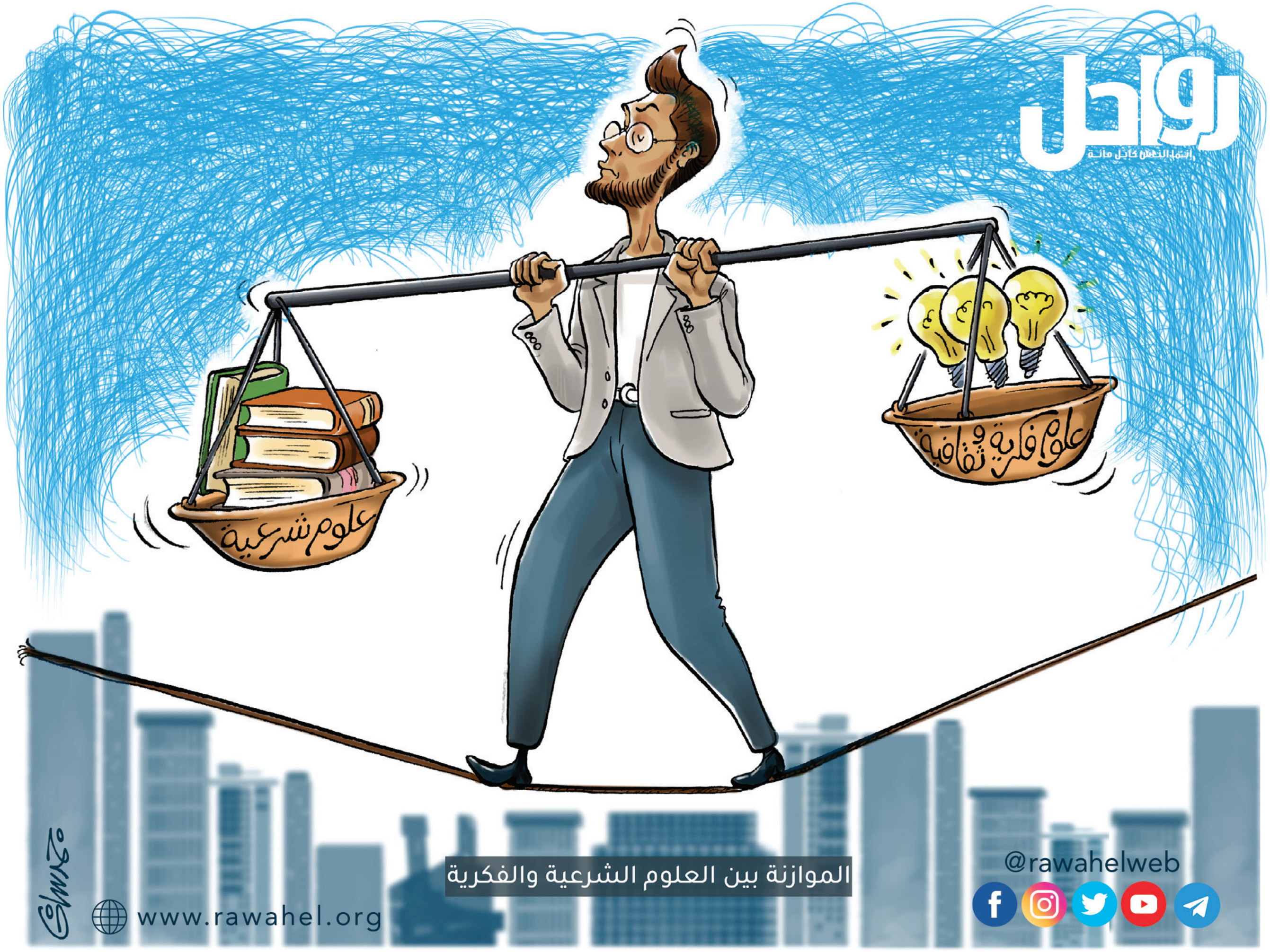
رواحل
علوم شرعية
علوم فكرية وثقافية
الموازنة بين العلوم الشرعية والفكرية
@rawahelweb
www.rawahel.org

رواحل
إنما الناس كإبل مائة

مشروعاتنا التربوية

مع التخطيط

بدون التخطيط

أبي، لا تشتمني إن أخطأت

يكفي أن توجهني لخطئي بلا إهانة
أو سباب لكي تقوِّم سلوكي
فأنا أتعلم منك الخطأ
كما أتعلم منك الصواب.

رواحل
إنما الناس كإبل مائة
فضفضة مع فارس و فيروز
بسم الله الرحمن الرحيم
قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ
تعني أن الله واحد
ليس هناك رب آخر لنا
معلمي الغالي
سهُل علينا حفظ القرآن أنا وزملائي
حين فسرت لي الآيات تفسيرًا مبسطًا
فأرجو أن تفسر لنا كل الآيات
بعد ذلك بالطريقة نفسها
@rawahelweb
#بأقلام_أبنائنا
www.rawahel.org

رواحل
إنما الناس كإبل مائة

فصفصة مع فارس و فيروز

أبي الغالي

لا تجعلني أعتمد عليك وعلى أمي في كل شؤوني
كلفني ببعض المسؤوليات حتى لا أصبح اتكاليًا
وأكون واثقًا من نفسي

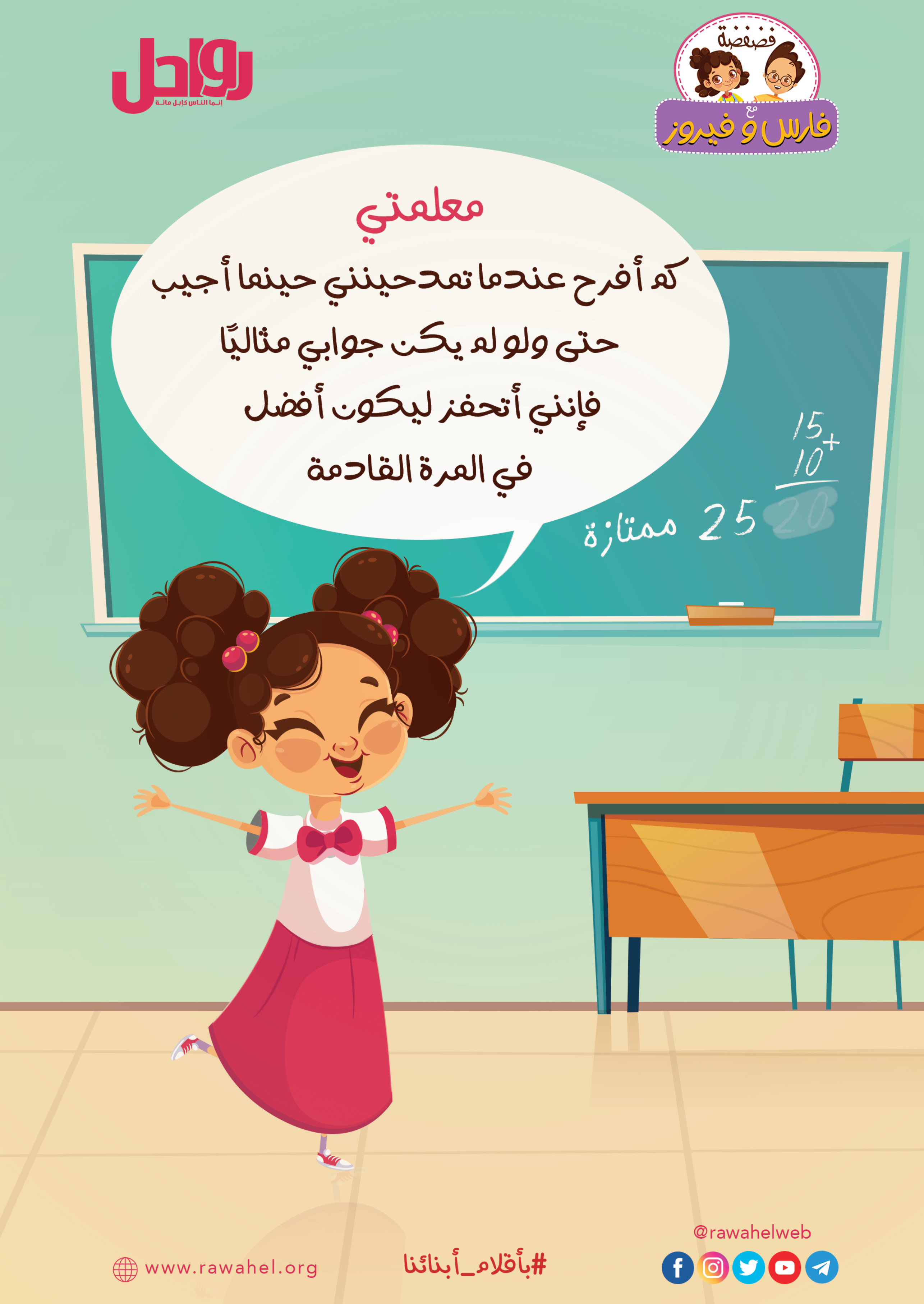
رواحل
إنما الناس كإبل مائة
قصقصة مع فارس و فيروز
معلمتي
كم أفرح عندما تمدحينني حينما أجيب
حتى ولو لم يكن جوابي مثاليًا
فإنني أتحفز ليكون أفضل
في المرة القادمة
15
10+
20
25 ممتازة
@rawahelweb
#بأقلام_أبنائنا
www.rawahel.org

رواحل
إنما الناس كإبل مائة

قصقصة مع فارس و فيروز

رواحل
إنما الناس كإبل مائة
قصقصة مع فارس و فيروز
معلمتي العزيزة
إقناعي بارتداء الحجاب لن يكون بكثرة عتابي
على عدم لبسه أو تشبيهي بالفتيات غير المهذبات
امدحيني حينما أرتديه ومهدي لي الطريق
كي يكون سهلاً عليَّ

رواحل
إنما الناس كإبل مائة

اعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشاً في نفوسكم فهو زائل.

محمد البشير الإبراهيمي
رحمه الله

@rawahelweb
www.rawahel.org

رواحل
إنما الناس كإبل مائة

ومضة

﴿ قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾

غياب المعلم والمربي عند رواج الشبهات يتيح الفرصة للمنحرفين فكريا لإضلال الأتباع والتلاميذ.

د. ناصر العمر

@rawahelweb

www.rawahel.org

رحمه الله

@rawahelweb

www.rawahel.org